قصة

الكونت دي مونت كرستو

مترجمة عن اللغة الفرنسوية

سُبكت في قالبٍ عربي وضُبطت

بقلم

نخلة افندي قلفاط



وطبعت بنفقتهِ وبنفقة الخواجا لطف الله الزهار صاحب المكتبة الوطنية

طبعت في بيروت في مطبعة المعارف سنة ١٨٨٢

مقدمة

بسم الله العارف ما في الزوايا من الخبايا

اشكر الله سبحانهُ على كرمهِ اذ هداني الى ان اعتني بهذه القصة بقدر ما اعطاني من المعرفة وبقدر ما وهب عقلي من الادراك . وبحوله تعالى قد جاءت مقبولة عند الخاص والعام . سهلة العبارة قريبة المنال لم اتكلف في تهذيبها وضبطها اكثر مما في وسعي . وقد سبكتها في قالب عربي علماً بان الراي العام بين مطالعي الروايات والقصص مبالٌ الى هذا المشرب بحيث يمكنهم مطالعتها واردين بواطن ظواهرها وظواهر بواطنها . ومن ثم التمس المعذرة من كل مهذب كريم ولا اسال عن قدح ذميم لئيم . لان

لكل امرء من دهرهِ ما تعودا   وكل اناء بالذي فيهِ ينضحُ

واسال الله اولاً واخراً مساعدتي على كل مشروع بهِ الخير لي وللسوى فهو حسبي ونعم المجيب

الفصل الاول

في مبادي هذه السيرة

انهُ في اليوم الرابع والعشرين من شهر شباط من سنة ١٨١٥ كان رجل فرنسا الشهير نبليون الاول اسيرًا في جزيرة البا وكان كثيرمن اهل فرنسا يطلبون عودتهُ ويتمنون رجوعهُ اليهم وذلك لما لهُ عليهم من الافضال وما لهُ عندهم من المحبة الراسخة في الافئدة واذهان الفرنسويين ما عدا العائلة البوربونية وهي عائلة ملوك فرنسا القدماء وبدسائسهم وضع في تلك الجزيرة ومعهُ نحو ٦٠٠ رجل من اشد رجالهِ واصدقهم حبًا اليهِ واقيم عليهم الحرس كما هو مشهور في تاريخهِ الا ان مراكب كثيرة من الاهالي كانت تمر بتلك الجزيرة رغمًا عن انتباه وتنبه الحكومة الحالية وكان من جملة هذه المراكب مركب كبيرة اسمها فرعون وهي لرجل من تجار مرسيليا المعتبرين اسمهُ موريل وهو ذو لطف وكرم اخلاق واسم رئيسها الاول دكلرك والثاني ادمون دانتاس صاحب هذه السيرة وهو من الشبان الاذكياء اصحاب الهمم العلية وطن ماهر حسن السجايا وكان اذ ذاك في سن ١٩ سنة فذات يوم كانت هذه المركب آتية من ارميرو تريستة ونابولي مارَّة بتلك الجزيرة ولما قربت منها اعترت رئيسها الاول رعدة وشعر باضطراب في جسمهِ وتعاجي قوية اكدت لهُ حلول اجلهِ فدعى اليهِ ادمون دانتاس الرئيس الثاني وقال لهُ اعلم اني قد قاربت الموت الذي ليس منهُ مفرٌّ ولا مهرب ولا بد من ان تكون انت مكاني في الرئاسة الاولى فهاك حساباتي فقدمها عني الى الخواجه موريل صاحب المركب وايضًا عندي سرٌّ عظيم احب ان اطلعك عليهِ بشرط ان تتعهد لي ان لا تبيحهُ لاحد مطلقًا ولولا ثقتي باستقامتك وصداقتك لما كلمتك بذلك. فاقسم لهُ ادمون انهُ يحافظ على ما يودعهُ اياهُ من السر ولا يبيح بهِ لاحد ولو اضطرهُ الامر الى الموت ومقاساة اشد الاخطار واصعبها فحينئذٍ قال دكلرك اعلم اني من حزب نابوليون الماسور في هذه الجزيرة ومثل ذلك صاحب هذا المركب الخواجه موريل ومعي الان مكاتيب لجلالة الامبراطور نابليون وتاكدت الان اني عاجز عن ان اقدمها اليهِ لان الحياة لم تعد تساعدني على ذلك فقم انت بهذه الخدمة المهمة فقال ادمون كيف لي ان اتوصل الى جلالتهِ وانا رجل نوتي مهمل الذكر فقال له دكلرك خذ هذا الخاتم فمتى رآه الامبراطور عرف المراد فهو يوصلك اليهِ وعند ما تقف بين يديهِ قبّل حذي قدميهِ واخبرهُ بما حل بي وكيف وافاني الاجل قبل تشريفي بكمال خدمتي ولم يتم دكلرك هذا الكلام حتى

انقطعت انفاسهُ وجمدت عيناهُ وفي نحو نصف ساعة فقد الحياة وفارق الدنيا فبكى عليهِ كل من كان في المركب لا سيما ادمون الذي كان يحبهُ حباً اكيداً. هذا ولما رست المركب نزل ادمون الى الشاطئ لبتمم وصية رئيسهِ المتوفى فاتى الماريشال وبعد ان حياهُ اظهر لهُ الخاتم ففهم مقصودهُ واخذ منهُ التحارير وكتب لهُ اجوبتها ثم قال لهُ ادمون ان مرادي ان اتشرف بالوقوف بين يدي جلالة الامبراطور فاوصلهُ اليهِ فبلغهُ رسالة الرئيس واعلمهُ بوفاته فتاسف عليهِ الامبراطور لانهُ كان يعلم صدق خدمتهِ ومحبتهِ لهُ وبعد ذلك رجع ادمون الى المركب فنشر شراعهُ ورفع راية الحزن وسار قاصداً مرسيليا ولما دخلها ونظر الاهالي الراية وعلموا بموت القبطان اظهروا الكدر والاسف لانهُ كان معروفاً ومحبوباً من الجميع واما موسيو موريل صاحب المركب فقد بكا بكاء الثواكل وحزن عليهِ حزن النساء ثم سال ادمون عن سبب موته فاخبره بكل ما طرأ عليهِ فعند ذلك قال لهُ موريل حيث قد قضى رئيس هذا المركب الذي كنت اعزه جداً وهو كان دائماً يمدحك لي ويصف لي لياقتك واقدامك وقد تاكدت كل ذلك فيك فقد عهدت اليك رئاسة المركب الاولى عوضاً عنهُ فما صدق ان سمع ادمون هذا الكلام حتى خر على وجههِ شاكراً الله تعالى على منهِ وكرمهِ ثم بعد ذلك شكر الخواجه موريل على تقليده اياه ذلك المقام السامي الذي كان يحسبهُ عظيماً جداً

وكان في المركب كاتب محتال خبيث رديء الطباع اسمهُ دنكلار فلما نظر ارتقاء ادمون امتلأ بهِ الحسد وكاد فؤادهُ ينفطر واضمر في نفسهِ العداوة ووقوع الاذى بادمون مع ان ادمون مدحهُ جداً امام الخواجه موريل وسالهُ ان يكافئهُ ويحسن اليهِ. وبعد ذلك عاد الخواجه موريل الى البر وبصحبتهِ ادمون فطلب اليهِ ان يصحبهُ الى بيتهِ ويصرف ذلك النهار ضيفاً عندهُ فاعتذر اليهِ وقال لهُ مرادي ان اتوجه لانظر والدي الذي لا شك انهُ ينتظرني بفروغ صبر ومثلهُ خطيبتي مرسيداس الجميلة. فطلب اليهِ موريل انهُ بعد ان يفرغ من مشاهدة ابيهِ وخطيبتهِ وينتهي من كل عملهِ يرجع اليهِ فوعدهُ بذلك ثم ودعهُ ادمون وسار الى ان دخل على ابيهِ فوجدهُ في اسوء حال يتقلب على نار الهموم والغموم فارتمى عليهِ وقبل يديهِ وكذلك الوالد رمى بنفسهِ اليهِ وجعل يقبلهُ وهو لا يصدق ان يراهُ وقد بل دمعهُ ثيابهُ وبعد ان جلس ادمون سال اباهُ عن حالهِ وما هو سبب تغيير احوالهِ فقال لهُ اعلم يا ولدي ان الدراهم التي اعطيتني اياها المصروف في تكفيني لاكثر من ٦ اشهر غير انهُ بعد غيابك بقليل حضر اليَّ جارنا الخواجه كادروس وبيدهِ سند عليك بمائتي فرنك وطلب مني المبلغ فحفظاً لشرفك وخوفاً على اسمك من الفضيحة والعار دفعت لهُ المبلغ واخذت السند منهُ ففرغت لهذا السبب مني الدراهم مع اني وفرت في مصروفي جداً ولي الان اكثر من يومين لم اذق طعاماً فتالم ادمون من حالتهِ واغرورقت عيناهُ بالدموع ثم وضع امام ابيهِ الدراهم التي حصلها في سفره ففرح

بها ابوهُ واندهش من كثرتها وقال لهُ من اين لك كل هذه قال من جدّي واجتهادي وفضلاً عن ذلك فاني ابشرك يا ابي اني ببركة دعاك تيسر لي ان اكون رئيساً اول في المركب فرعون حيث ان رئيسهُ موسيو دنكرك قد توفي بقرب جزيرة البا ففرح والدهُ بهذه البشارة ودعا لهُ بالنجاح والتوفيق وحسن المستقبل

ثم استاذن ادمون والدهُ في المسير الى خطيبتهِ مرسيداس التي كانت على جانب عظيم من الرقة والوداعة والجمال فاذن لهُ فسار بعد ان قبل يديهِ وفيما هو سائر صادف في الطريق كادروس جاره ودنكلار كاتب المركب فسمعهما يتحدثان بحديثهِ وقد قال دنكلار لرفيقهِ هل نظرت الرئيس الجديد ادمون دانتاس فقال نظرتهُ عند ابيهِ وقد تعجبت من هذا التوفيق الذي صحبهُ مع ان اباهُ من ادنى الناس وافقرهم فقال دنكلار لا بد من قهره وتحويل فرحه الى كدر وراحتهِ الى عذاب طويل لا خلاص لهُ منهُ

الفصل الثاني

في المؤامرة على ادمون والغدر بهِ

فلما سمع ادمون كلامهما تاثر في باطنهِ وعرف طويتهما الا انهُ اعرض عنهما لانهُ كان صافي السريرة لين العريكة لا سيما وهو يعلم ان الشر يعود فيقع باهلهِ. واما دنكلار وكادروس فغيرا حديثهما عندما نظراهُ قريب منهما وحياهُ بهز راسيهما وبعد ان بعد عنهما قال دنكلار لرفيقهِ اظن ان ادمون ذاهب الى بيت خطيبتهِ الى قرية الكاتالان (قرية خارج مرسيليا في مقاطعة كاتالونيا كان يقطنها جماعة من الاسبانيول) قال نعم فان شئت هيَّا بنا نكمن قرب بيت مرسيداس لنسمع ما يكون بين ادمون وخطيبتهِ وبينهُ ايضاً وبين ابن عمها فرنان الذي تعلق بحبها موخراً وهو يعد نفسهُ بزواجها ويتردد اليها في كل آن ويشرح لها عن حبهِ وعشقهِ لها ثم سارا واقاما بحانوت ملاصق لبيت مرسيداس يترصدان ما يصل اليهما من خبر ادمون. واما ادمون فانهُ وصل الى بيت خطيبتهِ وقبل ان يطرق بابهُ سمع كلاماً جعلهُ ان يصغي اليهِ بتأنٍ وفهم ان القائل يقول. يا بنت عمي اللطيفة والمحبوبة ان عيد الفصح قد قرب وقربت الايام التي تطيب بها الافراح والاعراس وحيث انك تعلمين عظم محبتي لك وانعطافي عليك فارجوك ان تعطيني يدك وتعديني بخلوص نية انك تكونين لي اهلاً واكون لك بعلاً بحيث يمكننا ان نعيش مع بعضنا كزوجين محبين. واما من جهة تعلقك بخطيبك ادمون فهذا عين الغلط لانهُ غريب عنك فاجابتهُ مرسيداس اني لا انكر حبك لي وولوعك بي وذلك من جهة القرابة والسابقة الواقعة بيني وبينك ولا انسى انك ابن عمي من اخي ابي واما من جهة اعطائك يدي فهذا بعيد عنك لاني اعطيتها لشاب قبلك ولا يمكن ان تعطى يدي لاثنين وهو الشاب الوحيد الذي ارتبط قلبي بحبهِ ومال اليهِ وجعلت اتكالي

يعد الله عليه وهو الذي سيكون شريك حاتي وعضدي و نصيره لا ارضى مطلقًا فاجابها فرنان اني لاعجب منك مع انك من التمثل والانتباه على جانب عظيم كيف اعطيت يدك لرجل نوتي تقيد يصرف كل ايامه في الاسفار تحت المخاطر والاهوال وربما غرق او انكسرت به المركب وقد ندر من يموت على فراشه من اولئك النوتيين الذين يحاولون بضعف قوتهم ان يقاوموا صدمات تلك الامواج القوية ويردوا ضربات تلك العواصف الشديدة. فقالت اني اعلم ذلك ولكن لا اجهل ان مرجع الامور هو الخالق وهو وحده المتكفل بتدبير الكون ولهذا فليكن معلومك اني لا ابتغي عن ادمون بدلاً فهو حبيبي وحده وهو ابي ومالكي فتكدر فرنان من كلام مرسيداس وظهر في وجهه الغضب وقال لها بحنق أكدي يا مرسيداس اني لا اتركه اقترانك بخليلك يهنى ولا بدلي من هلاكه ومحو اثره ان رجع سالمًا من سفره ولا اتركه يصل اليك وانا حيّ فقاطعته بالحديث وقالت له اني لا اجهل قباحتك وسوء فعلك وانت قبلاً كنت تجهد نفسك لتوهمني انك من الانقياء فما قد ظهر عكس ذلك وتأكد من قولك رداءة طويتك واذا تمما اشرته اليه فتأكد يا فرنان اني اسلم نفسي الى الموت قبل ان اسلم يدي الى غير ادمون فصمت فرنان عند سماعه كلامها برهة واذ ذاك طرق الباب ادمون ففتحته مرسيداس ولما رأته التمت نسيها عليه تقبيلاً وقد اندفعت من اعينهما بغزارة دموع الفرح والسرور واصابه ايضًا ما اصابها وبقيا على ذلك مدة من الزمان وهما تارة يتعانقان وتارة يتباكيان وتارة يتمادحان ويتشاكيان ثم التفت ادمون الى فرنان واعتذر اليه وقال له لا تؤاخذني عن قصوري في السلام عليك فاني لم انتبه اليك ولا علمت انك جالس هنا فقالت مرسيداس هذا ابن عمي فرنان واني اعزه كأخي فيجب ان تسلم عليه وتعتبره اعتبار اعز الاقرباء فتقدم ادمون اليه بتهور وتقصد ان يسلم عليه فنفر وخرج من البيت غضبانًا وهو يشتم مرسيداس وادمون ويتوعدهما بالاذى والشر ولما نظره كادروس ودنكلار حاربيناه ثم تقدمان شرار النار وعلامات الغضب والكدر من فوق جبهته السوداء علما ان سبب ذلك ادمون فصاحاه وطلبا اليه ان ينتظم في سلكهما فاجابهما وجلس معهما والوقت احضر له الخمر لشربه واخذ كل من كادروس ودنكلار يظهر له المحبة ويتعذب في مدحه ويمالي في حسن صفاته ويعاطيانه الخمر حتى سكر وكاد يغيب فعند ذلك قال دنكلار اني متكدر جدًا من حالة صاحبي فرنان الذي انذى مالي وروحي امامه وقد يظهر من علامات وجهه ان بنت عمه مرسيداس قد طردته وادخلت اليها ذاك النذل ادمون فاجابه كادروس ان مرسيداس لها الحق بذلك لان ادمون شاب لطيف وذو اموال وافرة لاسيما وقد صار قبطانًا على المركب فرعون. وما زالا يتكلمان بمثل هذا الكلام حتى هيجا فرنان ثم قال له دنكلار يا اخي الا تعجب مني كيف عزّ ادمون على مرسيداس الجميلة صاحبة القد الاهيف والخصر الناحف والخد الاصيل [illegible] النحيل الذي لا يوجد

بين البنات مثيل فقال فرنان لايمكن ان يكون هذا وانا حي ولا بد لي من هلاك ادمون اذا ساعدتني المقادير ولو هلكت معهُ ولا اترك زفافهُ على مرسيداس ينتهي وبينما هم على مثل ذلك واذا بادمون ومرسيداس خرجا من البيت وقصدا التنزه في حدائق تلك القرية فصاح دنكلار على ادمون فحضر اليهِ فاعطاه كاساً من النبيذ وطلب منهُ ان يجلس معهم دقيقة فجلس مع انهُ يعلم عداوتهم لهُ ثم قال لهُ دنكلار متى يكون زفافك على السيدة مرسيداس خطيبتك فقال قريباً وان شاء الله في غد ناخذ في تهيئة اللوازم ثم اتوجه الى باريس لقضاء حاجة لي هناك وعند عودتي يتم الزفاف فقال دنكلار وهل نحن من المدعوين قال نعم ومعكم ابن عم خطيبتي فرنان ثم ودعهم ورجع الى مرسيداس التي كانت واقفة تنتظرهُ فوضع يدهُ بيدها وسار وتركهما ينظران اليهِ باعين ملآنة من الشر والفساد ولا سيما دنكلار فانهُ طرق ذهنهُ انهُ سيذهب الى باريس لتقديم التحارير الذي اخذها من جزيرة البا من نابوليون الاول ولذلك تبين لهُ وجه الشر فاضمرهُ لهُ وعول على الانتقام منهُ والحاق الاذى بهِ ثم التفت الى فرنان فوجدهُ مطرقاً الى الارض متغير اللون فقال لهُ ما هذه الحالة التي انت فيها وقد يظهر انك كثير القول قليل الفعل عديم الصبر قال اني افكر في حيلة اتوصل بها الى ما اريد فلم ارَ وجهاً الا اني اقتل ادمون واعدمهُ الحياة غير اني اعلم ان مرسيداس تموت بموتهِ فاكون قد اضعتها وما الطريقة ياصديقي غير قتلهِ فقال دنكلار لا لزوم لقتلهِ فان طرق المهالك عندنا كثيرة وقاصد الشر لا يتعذر عليهِ وجودهُ . فقال فرنان امدد يدك يا اخي لمساعدتي واعني على هذا المغتصب الذي مزمع ان يختطف من امامي جوهرة من اثمن الجواهر ويغتصب مني ابنة عمي مع اني احق بها منهُ واشفع واذا كان قد لاح لك وجه الانتقام فابدهِ لي ولك عليَّ اكبر فضل واعظم معروف لا انكرهُ ما دمت حياً فقال دنكلار انهُ لاح لي وسائط عديدة لهلاكهِ واهمها واسطة عظمى لا اقدر ان ابيح بها لاحد فقال فرنان اعمل معي معروفاً واتخذني لك عضداً واخاً مدى الايام والليال وان شئت فاني اقبل يديك ورجليك ولا ابخل بشيء عليك فعند ذلك قال دنكلار وقد اظهر الابتسام اعلم يافرنان اني اقدر ان اضع لك ادمون في السجن مؤبداً قبل ان تنتهي ايام خطبتهِ وقبل ان يفرح بعرسهِ وعروسهِ . هذا وكان كادروس كل ذلك الوقت مشغلاً بشرب الخمر حتى كاد يقع الى الارض ولما سمع بسجن ادمون اعترض وقال لا احد يقدر ان يسجن جاري ادمون فضحكا من كلامهِ وحالتهِ وناولاهُ خمراً فشرب ثم عادا الى حديثهما فقال دنكلار وعندي طرق كثيرة لاخماد انفاسهِ وهلاكهِ ولكن هذه الطريقة التي ذكرتها هي اقرب الطرقات واسهلها فقال فرنان اني اراك عدواً الدّاً لادمون فهل لك عليهِ ثار او بينك وبينهُ ما يحوج الى ذلك فلما سمع دنكلار هذا الكلام اظهر على نفسهِ الكدر ونفر بوجههِ وقال لهُ اني كنت اعهد انك عاقل فقد ضاع تعبي باطلاً فماذا ياترى بيني وبين ادمون وانا وهو في مركب واحد

وهنية واحدة وما تكلمت هذا الكلام وقصدت كيد ادمون الا حبًا بك واملاً باتمام غاياتك ومقاصدك واما الان فلا حاجة الى ذلك ولا يجب ان اعمل معروفًا مع غير اهلهِ فعند ذلك وقع فرنان عليهِ واقسم بالله العظيم انهُ لم يتكلم ذلك الا ليمتحنهُ ويعرف منزلتهُ عندهُ وايهما ارجح لانهُ لا يكاد يصدق بان يسمع ان ادمون تنتهي بهِ الحاجة الى هذه الحال واذا تم حبسهُ او هلاكهُ فيكون اكبر سعادة احاطت بهِ ثم اقسم فرنان على دنكلار ان يشرح لهُ ما هو في فكره من جهة ادمون وادباره . فعند ذلك رضي دنكلار واظهر البشاشة وقال لهُ اعلم اني لا اخفي عنك شيئًا وساظهر لك ما قد عزمت عليهِ ولكن بشرط ان تحفظ في ذهنك ما اقولهُ لك وتنقاد الى كل ما اطلبهُ منك . فقال فرنان اني مطيع لكل ما تامرني بهِ وشاكر لمعروفك وجميلك فابدِ ما تريد فقال فرنان اعلم انهُ في المدة الاخيرة بينما كنا في سفرنا عند شطوط جزيرة البا توفي رئيس مركبنا الاول واستلم ادمون رئاسة المركب عوضًا عنهُ وحين وقفت المركب على جزيرة البا اجتمع ادمون بنابوليون الاول ولا بد من ان يكون اخذ منهُ مكاتيب برسم احزابهِ المقيمين بباريس على ان هذا الامر هو ممنوع بالكلية من قبل الحكومة الحالية وتعتبر ذلك من اكبر الجرائم فاذا اخبرنا بذلك المدعي العمومي (وكيل الملك) فانهُ يهلك ادمون لا محالة وقد جرى ذلك على كثيرين مثلهُ . فصفق فرنان من الفرح وقال نعم الطريقة فاني متيقن ان ادمون صار من الهالكين لا محالة فهكذا تكن التدابير والا فلا غير انهُ يلزمك الى ذلك تقديم برهان يؤيد قولك ويبين للحكومة ان ادمون من المتوامرين فهل تسند قولك هذا الى دليل واضح ثابت لا سيما اذا شئت ان تكتب عرضًا فلا بد من امضائهِ فباسم من تمضيهِ . فقال مالك وللفضول ان ما قلتهُ لك اكتبهُ في العرضحال دون ان تضع اسم احدٍ لاني لا اريد ان يظهر اني خصم ادمون ولي بذلك مقاصد خفية فاتفقا على ما تقدم وقررا طريقة هلاك ادمون واذ ذاك التفت كادروس وقد سمع كلامهما وهو في حالة سكر عميق وقال كيف تعملان هذا العمل مع ادمون وهو جاري فاني لا اقبل منكما هذا الامر ولا بد لي من اطلاعهِ على هذه الدسيسة فقال دنكلار اشرب الان فانا نمزح وهل تظن ان ادمون عدونا وان كنت قد اوهمت من هذه الورقة التي بيد فرنان فها انذا انزعها منهُ وامزقها ثم تناول العرضحال من يده ورماهُ الى الارض وناول كادروس خمرًا فشرب وثانيًا وثالثًا حتى غاب ثم تناول فرنان العرضحال ووضعهُ في جيبهِ وبعد قليل تركوا الحانوت وسار كلٌّ منهم في طريق وبعد ساعات قليلة اجتمع فرنان بدنكلار فاكملا كتابة العرضحال واخذه فرنان الى البوسطة وارسلهُ معنونًا باسم وكيل الملك (المدعي العمومي) موسيو دوفليفور

الفصل الثالث

في وليمة ادمون وخطبتهِ والقبض عليهِ

ولما اصبح صباح اليوم الثاني عزم ادمون على الخطبة فجعل يهتم بامر الوليمة اللازمة لقيام الخطبة ودعا اليها كامل اصحابهِ واقربائهِ وملاحي المركب وصاحبهُ موريل ومن جملة المدعوين كان دنكلار وفرنان وكادروس وقدكان يوم احتفال عظيم ار بقت بهِ الكووس ولعب السرور بعقول الجميع حتى حسبوا ذلك اليوم من اعظم الايام التي مضت عليهم لان الجميع كانوا يحبون ادمون ويتمنون سرورهُ وفرحهُ ما عدا حسادهُ فانهم كانوا في حالة رديئة وكادت اكبادهم ان تنفطر وهم ينتظرون انقلاب تلك الافراح الى اتراح وتحويل سرور ادمون الى كدر وفي اثناء الوليمة قام موسيو موريل واقفًا وقال امام الجميع هيا ايها القبطان ادمون صاحبي وعزيزي لنسير الى المحكمة ونعقد عقدك على خطيبتك مرسيداس ذات الصفات اللطيفة ومن اراد من الحاضرين ان يسير معنا فلا مانع ومن اراد ان ينتظرنا فلينتظر وبعد عودتنا نكمل فرحنا هذا العظيم . وكان فرنان جالسًا بقرب دنكلار فقال لهُ يا اخي اني لا اقدر ان اطيق هذه الحالة وقد صممت ان اضرب بهذا الخنجر صدر ادمون فاميتهُ ولو قتلت بعد ذلك فمنعهُ دنكلار وقال لهُ اصبر قليلاً فان الفرج قريب وفي تلك الساعة طرق باب البيت وسمع غوغاء خارجهُ ففتح الباب ودخل جماعة من انفار الضابطة ثم تقدم رئيسهم وقال من منكم يدعى ادمون دانتاس . فارتبك الجميع وعلا وجوههم الاصفرار وتكدروا من تلك الحالة المكربة ومن ذلك المصاب الذي وقع عليهم بغتة واما موسيو موريل فانهُ تقدم الى رئيس الضابطة وقال لهُ لاي حضرت في هذا الوقت . قال اني ماذون من قبل وكيل الملك بالقبض على ادمون دانتاس واما ادمون دانتاس فانهُ لشجاعتهِ وبسالتهِ لم يرتبك ولا خاف بل تقدم الى المتكلم وقال انا المطلوب فهيا بنا الى حيث تشاء واذ ذاك تقدم والد ادمون وارمى نفسهُ على رئيس الضابطة وطلب منهُ ان يترك ولدهُ فاجابهُ ان امر القبض عليهِ لا بد منهُ واما مرسيداس خطيبة ادمون فانها اسندت راسها الى الحائط وقد اصفر وجهها وكادت رجلاها لا تحملها لتقف وقلبها جعل يخفق ويرتعش وقد سال دمعها على خدها ولم تعد تعرف بماذا تتكلم وقد جرى عليها ما لم يجرِ على قلب انسان قبلها . واما كادروس فانهُ التفت الى دنكلار وفرنان وقال لهما اهذه نتيجة مزاحكما يا خبيثان فقال لهُ دنكلار اسكت واذا تكلمت اتهمناك انك من حزبهِ وفعلنا معك كما فعلنا معهُ فسكت كادروس وقد خاف جدًّا من ان ينسبوا اليهِ تلك التهمة . ثم سار الشرطة بادمون وسار معهم موسيو موريل بعد ان قال للحاضرين ابقوا انتم هنا فانا اسير وانظر الى ماذا طلب ادمون وان شاء الله اعيدهُ معي حالاً

الفصل الرابع

في خطبة موسيو دوفيلفور وكيل الملك ووقوف ادمون بين يديه وما يتعلق بذلك

ومن العجب الصدف ان اليوم الذي كان فيه احتفال خطبة ادمون كان ايضاً فيه احتفال خطبة مدعي عمومي المملكة دوفيلفور وكانت قاعة الجلوس عنده تجمع اكابر رجال المملكة واعضاء المجالس وجميعهم من حزب الملكية وكانت مفاوضاتهم باعمال نابوليون المغايرة لصالح المملكة الداخلي وكان اكثرهم يندد به ويذمه وينسب اليه البغض والعداوة للشعب الفرنسوي وفي اثناء ذلك فتح الباب ودخل منه خادم حاملاً تحريراً وبعد ان وقف هنيهة ونظر يميناً وشمالاً دفع التحرير الى موسيو دي فيلفور فشخصت اليه كل عين واصبح الجميع ينتظرون اتمام قراءة التحرير غير ان دي فيلفور بعد ان وقف على ما في التحرير وقف حالاً وقال للحاضرين ارجوكم يا اسيادي ان تسمحوا لي بالذهاب فان سبباً عظيماً يدعوني الى ذلك وساعود اليكم حالاً وعند عودتي سانهيكم عن النتيجة فعارضته خطيبته وقالت له اني لا اقدر ان اتمالك نفسي وقد رايتك في هذه الحالة وكيف تذهب بغتة ومهما كان الشغل عظيماً اظن انه لا يحول بينك وبين يوم فرحك هذا المنتظر من زمان وماذا يا ترى تكون حالتي اذا لم تعد بوقت قريب واني احذرك يا عزيزي من الظلم والغدر فقال لها ان اشغال المملكة التي تتعلق بعنقي تدعوني الى ان افضلها على اعظم الاشياء غير اني ساعود قريباً ثم قبلها وقبلته وخرج من البيت فنظر رئيس البوليس وبعض الانفار بانتظاره فقال له هل قبضتم على الرجل الذي ارسلتكم للقبض عليه قال نعم قال وهل وقفتم على الدلائل التي فوضتها اليكم قال فتشناه فوجدنا معه اوراقاً وتحارير فختمنا عليها بالشمع الاحمر وها هي واما الرجل فاسمه ادمون دانتاس عمره ١٩ سنة لم يدخل العسكرية قط غير انه بوظيفة قبطان في المركب فرعون الذي كان قد مرَّ في اثناء رجوعه من ازمير الى الاسكندرية فشحن قطناً ثم مرَّ ايضاً على جزيرة البا . وبعد ذلك سار المدعي العمومي وفي اثره البوليس فصادفه موسيو موريل وبعد ان حياه سأله بادمون وطلب منه ان يقبل شفاعته به فقال له لا اظن ان من كان مثلك يهتم بامر رجل متحزب لعدو المملكة نابليون الظالم العاتي ولولا اني اثق بانك من محبي الوطن لتيقنت انك من احزابه فارتبك موسيو موريل وقال اعذرني يا سيدي فاني كنت لا اعرف قوة جرمه . ثم عاد موسيو موريل واخبر اباه وخطيبته والحاضرين فتكدر الجميع وانصرف المدعون يذمون الحاسدين ويتاسفون على ادمون واما والده فوقع على ارجل موسيو موريل وقال له ارحمني يا سيدي ولا تترك ولدي فان رجلاي تكادا لا تحملني الى خارج بيتي فوعده ببذل جهده وخرج حزيناً على حالة ذاك الشيخ الضعيف الصالح واما مرسيداس فكانت لا تعرف ماذا تتكلم لانها ارتبكت .

وجعلها تختنق ويبست رجلاها وجمدت عيناها وتقلصت شفتاها . فهذا ما كان ... فانه سار الى ان دخل دار الحكومة فامر باحضار ادمون فحضر فنظر اليه و... في جبهته سمة الصدق والشجاعة فسأله ما اسمك وما هي مهنتك فاجاب دون ارتياب ولا خوف اسمي ادمون دانتاس ووظيفتي رئيس ثاني بالمركب فرعون . فقال المدعي . ماذا كنت تصنع عند ما قبض عليك البوليس قال كنت باحتفال يوم خطبتي على السيدة مرسيداس محبوبتي التي تعلقت بها من نحو اكثر من ٤ سنين . فتعجب دوفيلفور من هذه الصدفة العجيبة ورثى لحاله لانه كان عاشقاً نظيره واضمر في نفسه انه يخلصه وقد تذكر كلام خطيبته ثم قال له اني اريد ان اسالك سؤالاً بان تصدقني به قال اني افضل شرف الصدق ولو كان فيه هلاكي . قال هل انت بالحقيقة من احزاب نابليون بونابرته وهل كنت تتعلق بخدمته في زمن تسلطه . قال لست من احزابه ولا اخدمته مطلقاً . قال المدعي . وما هي مقاصدك السياسية هل تميل الى عائلة ملوكنا الاصلية او تميل الى ذاك المغتصب نابليون . فقال ليس لي فكر سياسي قط لاني رجل نوتي لا اعرف من السياسة اصلاً ولا فرعاً لا سيما واننا في اول ادراكي وبلوغي ولم اهتم قط في حياتي كلها الا بامر والدي وخطيبتي فتاثر دوفيلفور من كلامه ورق له وقد عزم على اطلاقه وقال له الا تعرف لك عدواً او حاسداً قال ياسيدي لا اعرف عدواً ولا فعلت مع احد اذية . فعند ذلك دفع اليه صورة العرضحال فاخذه وقراه وتبين له باطن القضية وظاهرها وقال له قد تاكدت ياسيدي اعدائي وقد تبين لي عدوان احدهما يطمع في وظيفتي وهو دنكلار والاخر يزاحمني في خطيبتي وهو فرنان ولا ريب في ان هذا العمل عملهما غير اني اشكر الله الذي وقعت بيديك لانك رجل حليم عادل . فقال المدعي . احك لي كيفية دخولك على جزيرة البا وما هو الداعي الى ذلك فاخبره بان الرئيس الاول قبل وفاته اوصاه بالدخول الى الجزيرة وان يسلم الخاتم الى المارشال مراد ويعطيه التحارير ويأخذ منه الاجوبة وقد تم امر الرئيس دون ان يعرف ما ضمن التحارير وما هي . فقال المدعي العمومي قد صدقت كلامك ولا بد لي من اطلاقك لتذهب الى ابيك وخطيبتك غير اني اطلب اليك ان تعطيني التحرير الذي اخذته من جزيرة البا واذهب انت وعندما ادعوك فاحضر . فقال ياسيدي ان التحرير هو بين اوراقي التي اخذتها مني انفار الضابطة وها هي امامك . ففتح دوفيلفور الاوراق واخذ التحرير وقرا عنوانه (الى موسيو نوارتيه بشارع كوكهرون نمره ١٣) وما اكمل دوفيلفور قراءة العنوان حتى سال العرق بارداً من جبينه واضطرب في داخله وارتبك وظهرت عليه دلائل الكدر . ثم قال لادمون هل تعرف موسيو نوارتيه بالذات . قال كلا فاني لم اذهب الى باريس قط ولا اعرفه ولا يعرفني وقد اخبرتك اني دخلت الى الجزيرة وخرجت منها وانا كالاعمى لا اعرف شيئاً ولا انظر شيئاً غير اني اراك ياسيدي ترتجف عند قراءة عنوان التحرير . قال هل اطلعت

احداً عليهِ. قال كلاّ . ثم فتح دوفيلفو ر التحرير وشرع في قراءته وكان يقرأ ويرتجف ويده على جبينهِ والعرق يسيل من اشتغال وجهه (ولا يخفى ان موسيو نوارتيه صاحب التحرير المذكور هو والد فيلفور مدعي عمومي المملكة ولهذا كان خائفًا من اظهار القضية وكشف هذا السر الذي يودي بهِ الى الهلاك مع والده الذي كان رئيسًا لحزب البونابرتيين) وعلى هذا فقد لعبت بدي فليفو ر عواصف الخوف والكدر فصبر يفتكر برهة الى ان هدأ روعهُ وسكن جاشهُ ثم قال لادمون قد ظهر من هذا التحرير انك قد ارتكبت امرًا خطيرًا وخامرت على الملك واتحدت مع اعدائهِ الا اني اجتهد في ان اجد سبيلاً الى خلاصك فانتظرني وساعود اليك فشكره ادمون ثم ان المدعي العمومي رمى ذلك التحرير بالنار وصبر عليهِ الى ان تحقق اعدامهُ وقال لادمون ولتتحقق كلامي قد احرقت التحرير امامك كي لا يظهر خبره فيما بعد غير اني احذرك ان لا تذكره لاحدٍ ابدًا وان ذكرتهُ هلكت لا محالة فقال اني لا اذكره لاحد مطلقًا وذلك انفاذًا لاوامرك وحفظًا لحياتي ثم ان دي فيلفو ر احضر رئيس البوليس وهمس في اذنهِ فاحضر بعض انفار واخذوا ادمون من امامهِ وقد عزم ان يطلع الملك على تلك الاحوال لينال منهُ الشرف والفخار ويوكد لهُ صدق خدمتهِ وحبهِ لهُ ولعائلتهِ

الفصل الخامس

في سجن ادمون دانتاس

واما رئيس الضابطة فانهُ بعد ان خرج بادمون امر اثنين من اتباعهِ ان يحيطا بهِ وان لا يكلماهُ ابدًا ولا يخبراهُ بمكان مصيرهِ ففعلا حتى وصلا بهِ الى سجن مظلم فسلماهُ للحارس فادخلهُ وكان فكر ادمون معلقًا بالنجاة استنادًا لمواعد المدعي العمومي الذي كان قد تعهد لهُ بالخلاص ولم يعلم ان التحرير هو سبب نكبتهِ وان المدعي العمومي قصد هلاكهُ لاخفاء حالة ابيهِ وخوفًا على منصبهِ . فكان ادمون ينتظر كل دقيقة اتيان من يطلبهُ لاطلاق سبيلهِ وكان تارةً يفتكر بحالة اعدائهِ لاسيما وقد عرف ان خط العرضحال هو خط دنكلار كاتب المركب فكان يشتعل فوادهُ لهبًا منهُ وتارةً يفتكر بوالدهِ وخطيبتهِ فيهفو اليهما وكان يرى الدقيقة يومًا والساعة سنة حتى فرغ صبرهُ . ولما كانت الساعة العاشرة من الليل فتح باب السجن ودخل منهُ اربعة انفار متقلدين السلاح فدعوهُ فاسرع اليهم وقال لهم انتم اتون من قبل وكيل الملك فقال احدهم نعم فسكن خفقان قلب ادمون وارتاح فكرهُ نوعًا وخرج معهم فوضعوهُ في مركبة مخصوصة بالمجرمين وساروا بهِ الى شاطىء البحر فانزلوهُ في قارب معدٍ هناك واحاطة بهِ الانفار احاطة الهالة بالقمر . فلما راى ادمون تلك المعاملة السيئة التي يعاملونهُ بها اسودت الدنيا في عينيهِ وعزم على ان يرمي نفسهُ الى البحر فراى نفسهُ غير قادر على ذلك ولا سيما عندما تيقن بعدهُ عن والدهِ وعن خطيبتهِ التي كان يعد نفسهُ بانها عن قريب تمسي في حوزتهِ وتصبح زوجًا لهُ الا ان سعة صدرهِ وطول بالهِ حملاهُ على التصبر والتاني

فالتفت ادمون الى الانفار وقال لهم الى اين ذاهبون بي فاجابه احدهم اننا ذاهبون بك الى مكان ستعرفه قريبا ولسنا مأذونين ان نكلمك فسكت ادمون برهة وهم سائرون به الى ان كاد ينقطع صبره ثم تقدم الى احد الانفار وقال له اني اقسم عليك بشرف الانسانية واستحلفك بالله العظيم ان تخبرني بالصريح الى اين انتم ذاهبون بي فقال له النفر المذكور كيف تدعي انك من سكان مرسيليا ولا تعلم الى اين نحن سائرون لاسيما وانت نوتي ومختبر حالة البحار فقال ادمون وحق الاله العظيم اني لا اعرف حالي الان في اي جهة من جهات الدنيا لاسيما وانا ضائع العقل مرتبك الاحوال كل فكري وقلبي عند والدي الشيخ وخطيبتي المحبوبة . فقال النفر قف وانظر امامك فتعرف الى اين ينتهي مسيرك . فوقف ادمون ونظر واذ يرى امامه قلعة شاتوديف التي كانت سجنًا للذين يحكم عليهم بالحبس موبدًا فلما راى تلك القلعة صاح بملء راسه وامصيبتاه هل استحقيت ان اوضع بهذه القلعة فما هي الجريمة ياترى التي اجترمتها فاني لم اقتل احدًا ولا قمت بثورة ولا دخلت بفتن سياسية مخلة بداخلية المملكة ولا بخارجيتها فهل اوصلني حسد الحاسدين الى الوقوع بالهلاك ثم عول ان يرمي بنفسه الى البحر فمسكه الضابطون ومنعوه وقالوا له ان ابديت ادنى حركة فانا مامورون باطلاق الرصاص عليك فسكت وسلم امرهُ الى الله وفي برهة قليلة وصلوا به الى قلعة شاتوديف فسلموهُ للسجان فادخله السجان الى حجرة مظلمة في ظاهر القلعة ثم تركهُ السجان وغاب قليلاً ثم عاد ومعهُ قليلاً من الاكل والماء فوضعها له وغاب وتركهُ يقاسي عذاب الهون فكان تارة يصيح ويستغيث وما من مجيب وطورًا يطرق في الارض متفكرًا في حالته وما جرى له على غير ذنب وكانت تلك الليلة الاولى التي صرفها في سجن القلعة من اطول الليالي لان افكارهُ كانت تتلاعب بين الرجا والياس وكان كلما خطر في فكره والدهُ الشيخ العاجز وما يحل به اذا عرف انه في سجن موبد يفقد عقلهُ وتهيج نار الغضب في احشائه . ولما اصبح اليوم الثاني اتاهُ السجان فسمعهُ يصيح وينادي كالمجنون فقال له ما هذه الاعمال هل انت محتاج الى اكل او الى ماء فان كان هذا الاكل لا يكفيك فانك تقدر ان تحصل على اكثر بشرط ان تدفع الثمن فقال ادمون لا ارغب شيئًا من ذلك انما ارغب في مواجهة مدير القلعة فان لي كلامًا احب ان ابلغهُ اياهُ . فقال السجان دع عنك ما لا يتم فهذا لا رجاء فيه واذا كنت على ما انت عليه فاني اتركك ولا اتيك ابدًا فتموت جوعًا وما انت الا مجنون . فقال نعم انا مجنون وهاك برهان جنوني وتناول كرسيًا ورفعها ليضربه بها السجان فخاف السجان وهرب وقفل الباب خلفهُ وقال له ان كنت مجنون لا بد لي من ان انقلك الى سجن اعمق من هذا قريب راهب مجنون مثلك فقال اذهب واخبر المدير بان مرادي اواجهه وان عدت اليَّ بخلاف ذلك فاني اميتك لا محالة . فقال اصبر وسوف اتيك بالمدير الى هنا ثم غاب برهة وعاد ففتح الباب ودخل معهُ خمسة انفار من العسكر حاملون

الملاح فاخذوا ادمون وانزلوهُ في سلم يبلغ ١٥ درجة وادخلوهُ الى مخدع ليس فيهِ الا نافذة صغيرة . وقال لهُ السجان بتهكم وسخرية الان ستواجه المدبر فانتظره هنا والان صرت بجوار رجل مجنون مثلك . وكان مسجونًا بغرفة ثانية كاهن اسمهُ الخوري فاريا بتهمة سياسية فنسبوا اليهِ الجنون وكان كل من يكلمهُ لا يشك انهُ مجنون ثم قفل السجان الباب وسار بالانفار وبقي ادمون داخلهُ في هم ونكد وقد سلم امرهُ للعليم الخبير

الفصل السادس

في سياسة المدعي العمومي موسيو دي فيلفور

فلنترك الان صاحبنا ادمون يقاسي آلام السجن ويتوجع من فراق والدهِ وخطيبتهِ ومن حالتهِ التعيسة ونرجع الى موسيو دي فيلفور وكيل الملك او بالحري المدعي العمومي . فانهُ بعد ان انتهى من ظلم ادمون والجور عليهِ رجع الى منزلهِ حيث كانت خطيبتهُ ووالدتها والجمهور المدعو ينتظرون عودتهُ فلما دخل قاموا لهُ وقوفًا احتفالاً بهِ وسرورًا بعودتهِ وسألوهُ عن سبب غيابهِ فاخبرهم انهُ قبض على رجل من احزاب نابليون كان يذهب اليهِ بالكتب والتحارير ويعود منهُ بالاجوبة وبعد ان جلس هنيهة اعتذر من الجمهور وقال لهم ان مرادي اذهب الى باريز لاخبر الملك قبل ان يصلهُ الخبر من الغير فودعهم وذهب وعند نزولهِ من القصر صادف مرسيداس عند الباب فحيتهُ فقال لها من انت وماذا ترومين قالت انا مرسيداس خطيبة ادمون الذي ارسلت واخذتهُ من بيتهِ ليلة زفافهِ وقد عرفت انك اودعتهُ السجن فقصدت ان اقبل اقدامك مرتجية منك ان تشفق عليهِ وترحمهُ فانهُ بريء وان لهُ والد شيخ عاجز ليس لهُ من يعولهُ ولا من يلتفت اليهِ سوى ادمون المسكين فبالله عليك تحنن عليهِ فقال لها ان الشاب الذي تطلبين خلاصهُ قد اذنب ذنبًا كبيرًا لا خلاص لهُ منهُ ثم ركب مركبتهُ وتركها تبكي وتتحسر من كلامهِ ثم رجعت الى بيتها فوجدت فرنان ابن عمها فقالت لهُ لماذا انت هنا فقال اني سائر في اثرك ولا يهون عليَّ ان اتركك اهل تظنين ان ادمون يتخلص من سجنهِ فذلك محالٌ لاني عرفت ممن اثق بهِ انهُ لاذ بنابليون فحكم عليهِ بالحبس موبدًا فلا عدتِ تنظرينهُ بعينيكِ فيما بعد فصفقت على يدها ولطمت على وجهها وهي تبكي وتندب خطيبها

واما موسيو دو فيلفور فانهُ لا زال حتى وصل الى باريز ودخل على وزير الملك لويس الثامن عشر واخبرهُ بان قومًا من المملكة يكاتبون نابليون وقد مسك رئيس احد المراكب التي تمر بتلك الجزيرة فاتى الوزير واخبر الملك فقال لهُ دعهم يفعلون ما يريدون افهل تظن ان الخواجه نابليون عاد يقدر ان يرجع الى المملكة وقد ترك فيها اثارًا رديئة ومن يعلق آمالهُ بذلك فلا ريب انهُ مجنون . فقال فهمت ذلك من وكيل عظمتكم في مرسيليا فقال اني بهِ فدعاهُ واستعاد منهُ الخبر

فاخبرهم بالتفصيل وزاد من عنده اضعاف حتى شكره الملك على عمله وقال له لا ريب انك مستقيم الخدمة صادق في محبة المملكة وليس كابيك الذي يتهمه اكثر الناس بانه من محبي نابليون فبينما هو على مثل ذلك اذ دخل عليه رئيس ضابطية المدينة وقال له سرًّا لا يخفى عظمتكم ان نابليون المختلس قد تخلص من محل منفاه وهو قادم علينا وقد صار بقرب من المدينة فارتجف وصاح بوزيره وقال له ويلك ياخائن كيف تيسر لذاك المختلس هذا الامر على ان جيشنا عظيم وكلة مستعد للحرب والنزال وكيف لم تعرف بماذا كان خروجه ومن هم مساعدوه وكيف يمكنه بجيشه القليل ان يزحف علينا . فلم يمكن الوزيران يجاوبه بشيء انما اظهر الكدر والغضب والحيرة فقال له الملك اذهب الى ناظر الحربية وبلغه اوامري بان ينهض حالاً ويردع نابليون فقال له سافعل ذلك واسير اليه بنفسي ثم عول على الخروج فقال له الملك اهل وقفت على قاتل الجنرال كاستل الذي وجد امس مقتولاً في احدى الشوارع قال الذي ظهر لي بالتخمين لا باليقين انه اخذ بحيلة الى المحلات التي يجتمع بها احزاب نابليون وهناك قتلوه ورموه بالشوارع وقد اجهدنا انفسنا بالتفتيش على الذي دعاه ليذهب معه فلم نجده لان خادم الجنرال دي كاستل اخبرنا بصفات ذلك الرجل انه كان لابسًا ثوبًا طويلاً وفي صدره نيشان وانه طويل القامة واعطانا شرحًا مستوفيًا نقدر متى وجدناه ان نعرفه فقال الملك اجتهد الآن في تدبير كل ما نحن واقعون به ولا تكن بليدًا كعادتك والا اوقعتنا في اسوء الاحوال فاحنى له براسه وخرج ثم التفت الملك الى وكيله دي فيلفور وقال له حيث اني متيقن فيك الصداقة والاستقامة فقد البستك هذا النيشان فشكره موسيو دوفيلفور وخرج فركب مركبته وسار الى اللوكاندة ولم يرد ان يذهب الى بيت ابيه خوفًا من ان يشترك باعماله وما استقر حتى دخل عليه الخادم وقال له ياسيدي انه يوجد شخص يريد مقابلتك فقال من هو وما هي صفاته قال لا اعرفه وهو شخص اسمر اللون طويل القامة شعر راسه وعارضيه اسود يبلغ عمره نحو الخمسين سنة وعليه ثوب طويل وعلى صدره نيشان . فعرفه دوفيلفور انه والده فاصفر لونه وخجل وارتعش وبقي صامتًا حتى دخل عليه ابوه وهو يلومه ويعنفه بقوله كيف تمنعني من مشاهدتك فقال اني وصلت تعبان ولم يعلمني الخادم انك ابي فاجلس يا والدي ثم قبل يده وحياه فقبله والده ثم جلسا يتحادثان فقال الوالد لماذا لم تخبرني بخطبتك في مرسيليا ولما حضرت بغتةً وفي ٣ من هذا الشهر صرت في باريس فقال حضرت لاسباب لها اعظم تعلق فيك لانقذك من امور ربما كانت تقودك الى اعظم المهالك فقال نوارتيه ولما ذلك ياولدي هل تظن ان خطرًا يتهددني وانا رئيس حزب نابليون بطل فرنسا ومنشيء شرفها . قال هو لاجل ذلك وقد عجبت ياابي من هكذا جسارة فانك تفوه بكلام لا يتكلم به الا كل فاقد العقل لا سيا في ظروف واوقات قد ماتت بها سلطة ذلك

الرجل الذي تعظمونهُ اكثر مما يستحق .قال اني لا ارى مانعاً من ان افوه بحرية تامة بكل ما اريد وابادي بهِ بالاسواق . ولكن اخبرني ماذا جرى وماذا وجدت عند الملك . قال قد سمعت عند الملك ان الجنرال دوكاستل خرج من منزلهِ بطلب احد الناس المشهورين ووجد مقتولاً وجثتهُ مطروحة بالنهر وقد امر الملك بالتفتيش على القاتل فضحك الوالد حتى استلقى على قفاهُ وقال اكد ياولدي ان نبليون خرج من جزيرة البا بصولة وعظمة فقاطعهُ دوفيلفور وقال لهُ اسكت يا ابي حذراً من ان يسمعنا احد فيوصل خبرنا الى الملك فنقع في بلاء عظيم .فقال لا تخف فما من مانع . قال كيف لا اخاف وقد قيل انك من مقاومي الملك وقد وقفت على تحريرٍ وارد باسمك من نابليون ولولا اسرعت واحرقتهُ لربما وقع بيد الملك او احد رجالهِ فتقع تحت طائلة القصاص ثم اخبرهُ بخبر ادمون دانتاس وما كان من امرهِ وقال لهُ اخيراً لا ريب انكم انتم الذين قتلتم الجنرال دي كاستل وخادمهُ قد وصف الرجل الذي دعاه باوصاف تشابهك وقد خفت من القاء القبض عليك. قال لا خوف عليَّ من احدٍ ولا سيما ان نابليون قد خرج من جزيرة البا وغداً او بعد غدا سيدخل باريس وانني متيقن ان الوزير الاول هو من اشد المائلين الى مصالحة الامبراطور وعموم العساكر الذين بدون شك عندما يقابلوهُ يطرحون سلاحهم بين قدميهِ واكد اني عارف بكل الاسباب التي تجرى وبرهان ذلك اني عرفت بخروجك من مرسيليا يوم خطبتك ومقابلتك الملك ونزولك في هذه اللوكندة قبل ان تخبرني انت والدليل حضوري اليك حالاً وسؤالك . واما قتل الجنرال دي كاستل فانا دعيناهُ واطلعناهُ على سرنا وطلبنا منهُ ان ينضم الينا فابى واصر على ميلهِ للملك لويس فاخذنا عليهِ الميثاق بعدم الاباحة فحلف وفي الغد سمعنا انهُ وجد ميتاً في النهر ولا نعرف من قتلهُ فاضطرب دوفيلفور من كلامهِ وقال لهُ ما هذا الكلام وهل صحيح خروج نابليون من جزيرتهِ . قال بدون ريب . قال اذاً فماذا اعمل انا . قال الاجدر بك ان تسير الى الملك وتامرهُ ان يفوز بنفسهِ وينجو والا قبض عليهِ ودفع في يد عدوهِ او بالحري اذهب الى مرسيليا وتعاطى مصلحتك واكون انا محامياً عنك اذا كان الفوز لنابليون والا فتكون انت المحامي عني وتشفع لي اذا وقعت في يد اخصامي وعلى كل فينفع احدنا الاخر . وبعد ان اتفقا على هذا الامر رجع نوارتيه الى منزلهِ وعاد ابنهُ الى مرسيليا وكان كلام نوارتيه عن نابليون في محلهِ فانهُ اخبر الجنرال بارنير ان نبليون عاد من محل منفاهُ (كما هو معروف في تاريخهِ) ودخل مدينة كارنويل وليون واما العساكر الذين كان قد ارسلهم الملك لويس لمحاربتهِ فانهم عندما وصلوا اليهِ واظهر لم نفسهُ وخاطبهم صاحوا بصوت واحد فليحيَ فليحيَ الامبراطور وطرحوا سلاحهم عند اقدامهِ مظهرين خضوعهم لهُ وهكذا قد رجع الامبراطور ثانياً الى عرش فرنسا وسادت احزابهُ واما موسيو دوفيلفور فانهُ بقي في وظيفتهِ وكيلاً عنهُ احتراماً لوالدهِ الذي كان يوكد نابليون انهُ من اخص

احزابه. وفي تلك الاثناء تذكر موسيو موريل ان رجوع الامبراطور اكبر سبب لخلاص ادمون فتهدد موسيو دي فيلور مرارًا مؤملاً منه ان يطلق سبيله فكان يعده المواعيد الكاذبة . فقال له انه انكم حبستم هذا المسكين الفقير بتهمة انه من احزاب الامبراطور فهل يحق لكم الان ان تبسطوا احزابه وهو الحاكم عليكم . فقال له ان هذا يتعلق بالوزير الاكبر فيجب ان تكتب عرضحالاً وتقدمه له ولا ريب في انه يخلي سبيله فقال اخاف ان لا يصل العرضحال الى الوزير فقال فيلفور اكتبه واعطني اياه وانا اوصله اليه مصحوبًا بتحرير مني فكتب موريل عرضحالاً ودفعه الى دي فيلفور وبات ينتظر الجواب واما ذاك فانه اخفى العرضحال لانه علم انه اذا وصل الى الوزير تخلص ادمون وكان لا يحب تخلصه لا سيما وقد كان ينتظر رجوع لويس الثاني عشر الى كرسي فرنسا فكان يحفظ مثل هذه الاوراق ليقدمها له عند رجوعه وينال بذلك الشرف والفخار وما ذلك الا مكرًا ودهاء وقد تم ما كان ينتظره فان نابليون بعد ثلاثة اشهر انكسر في واقعة واترلو وانحطت سلطنته فرجع لويس الى المملكة فقابله دوفيلفور واظهر له خدمته فانعم عليه وثبته في مأموريته ولذلك بقي ادمون المسكين في سجنه مدفونًا تحت الارض ليس له من يسال عنه ولا من يلتفت اليه مظلومًا مأيوسًا بعيدًا عن الاصدقاء والخلان ولا سيما موريل فانه كان في ايام الامبراطور يتردد على دي فيلفور ويسعى بخلاصه واما بعد تغيير الحال فلم يعد يتجاسر ان يفوه بكلمة من ذلك خوفًا من ان يقع في شرك المهالك

ولما راق الحال لموسيو دي فيلور المدعي العمومي تزوج بخطيبته وراق له الزمان وطابت اوقاته . واما دنكلار الذي كان كاتبًا في المركب فانه كان قد خاف في بادىء الامر من ان يتخلص ادمون من السجن فينتقم منه فطلب من موسيو موريل تحرير توصية لاحد عملائه في اسبانيا فاعطاه تحريرًا لبساطة قلبه ولم يكن يعرف شيئًا من خبثه وخداعه وهناك دخل كاتبًا وسياتي ذكر ما صار له فيما بعد واما فرنان ابن عم مرسيداس فانه التزم ان يسافر مع العساكر لكونه تحت سن النظام العسكري وازداد لسفره غم مرسيداس لانها وان كانت لا تحبه كخطيب لكنها كانت تحبه كابن عم وكان يسليها نوعًا في بعض الاحيان ولذلك اوصته بالاحتراس والتيقظ وعدم المخاطرة فتيقن فرنان من كلامها انه اذا رجع من العسكر وكانت لم تتزوج بالمحبوس ادمون ياخذها هو . وكانت مرسيداس في اكثر اوقاتها تاتي الى ابي ادمون فتخدمه وهو هرم عاجز قد اضعفته الهموم ولوعة فراق ولده الوحيد وعذابه لا سيما وكان قد قطع رجاءه اخيرًا من لقاء ولده لما علم ان سجنه بالقلعة موبدًا ولما شعر بقرب اجله رفع عينيه نحو السماء وصاح . يا الهي اني اتألم الان على فراش شيخوختي آلامًا تصدع الصخور لا لظلم منك ولا لكونك نسيتني بل لاستحقاق جبلتك البشرية المجبولة بالاثام وحيث الان قد شعرت بانحلال جسمي فاسلم روحي اليك طالبًا من عدالتك ان لا تترك

ولدي بايدي الظالمين وها انا الان اموت بعيداً عنهُ محروماً من ان انظرهُ النظرة الاخيرة ولكن آه ياولدي اهديك البركة . . . . ثم غشي عليهِ و بعد برهة مات وكانت مرسيداس عندهُ فلم تقدر ان تضبط نفسها عن البكاء والنوح مدة ليست بقليلة وفي تلك الساعة حضر الخواجه موريل فبكى عليهِ ثم دفنوهُ وعادت مرسيداس الى بيتها ولم تعد تنظر ذلك البيت فيما بعد وبقي الخواجه موريل يصرف جهدهُ في خلاص ادمون ولكن بلا فائدة . واما كادروس فانهُ دخل في العسكرية على انهُ كان كبيراً في السن فلاقى مشقات عظيمة وهكذا قد انتهت حالة ذلك المكان وتفرقت سكانهُ ولعبت بهم ايدي الحوادث

الفصل السابع

في وصف سجن ادمون

ومضى على ادمون سنة وهو في السجن يقاسي اعظم الشدائد واشد العظائم وكان يرى الهموم والغموم محيطة بهِ من كل جانب ومع كل ذلك كان لا يزال رجاؤهُ معلقاً بالخلاص ومؤملاً ان العزة الالهية لا تتركهُ في عمق ذلك السجن وهو بريء من كل ما هو متهم بهِ . ولما رجع الملك لويس الثامن عشر واستقر على عرش فرنسا ارسل ماموراً مخصوصاً يتفقد المحبوس ويرى حالة المحبوسين فبحث ذلك المامور كل السجون حتى انتهى الى قلعة شاتوديف وتفقد من كان بها من المسجونين حتى وصل الى ادمون دانتاس فحياه ببشاشة وقال لهُ لماذا انت محبوس هنا ومن اي زمان بداءة وضعك في هذه القلعة. قال حبست من نحو سنة بامر من مدعي عمومي المملكة موسيو دوفيلفور دون حكم ولا محاكمة فالتفت المامور الى السجان وقال لهُ ما هي اسباب حبسهِ . فقال لهُ حبس لكونهِ من احزاب الامبراطور نابليون فانتهر ادمون السجان ولامهُ وشتمهُ فنهاه المامور فوقع على رجليهِ يقبلها وقال لهُ ياسيدي اني مظلوم لا ذنب اذنبت ولا جريمة اجترمت انما بلغ بعض المفسدين وكيل الملك اقوالاً اختراعية فلم يفحصها ولا حقق ذلك غيرانهُ ارسلني حالاً الى هنا ولا شك انهُ نسيني ولم يكن لي من يذكرهُ بي فقال ان موسيو دي فيلفور في باريس فيجب ان نصبر ليحضر فنقف منهُ على الحقيقة ونعرف اسباب سجنك فقال ادمون لا ريب ان غيابهُ هو الذي انساهُ اياي مع انهُ كان يعاملني باللين ووعدني بانهُ لا يتركني فقال المامور اتقبل ان اعاملك باشارات موسيو دي فيلفور قال نعم اني ارضى بذلك . قال الان اراجع دفتر المحابيس وانظر ما اشار الى سجنك فاذا كان لك وجه تتخلص بهِ فاني اطلق سبيلك وكان قد شفق المامور على حالتهِ وتاكد ظلمهُ من اشارات وجههِ ومعنى كلامهِ غيرانهُ كان لا يحب ان يجري شيئاً يضاد بهِ اعمال واوامر موسيو دي فيلفور فاقتبل تشكرات ادمون و بعد عنهُ قاصداً الخروج من القلعة فقال لهُ السجان انهُ قريب غرفة ادمون غرفة راهب مسجون اسمهُ فاريا لهُ كلام مضحك يهدس دائماً بالاموال ويستخرج كنوز

الارض فيوزعها على من يشاء فدخل المامور على الخوري فاريا الذي اشار اليهِ السجان فوجده واقفاً بازاء زاوية سجنهِ وهو يكتب على الحائط وكان ذا ثياب رثة بالية وشعر طويل قد كاد يستر وجههُ الذي قد صبغ بالاصفرار مهزول الجسم لقلة الاكل وإنشغال الفكر. فلما راى الخوري المامور نظر اليهِ بطرف عينهِ ثم عاد الى حساباتهِ التي كان يجمعها على حائط ذلك السجن فصاح بهِ المامور فالتفت نحوهُ فقال لهُ اتريد اكلاً او هل لك حاجة فاحكها فاني مامور من قبل الملك بالتفتيش عليك . فقال الخوري لا اريد شيئاً لكن اتعرف من انا . قال هذا لا يهمني معرفتهُ فقل لي من انت قال انا الخوري فاريا رفيع المقام صاحب الاموال والكنوز والجواهر المذخرة . وقد قبض عليَّ ووضعت في السجن دون ذنب فاذا اخرجتني اعطيتك ملايين من اموالي فقال المامور ما معنى هذا الكلام فاننا الان لسنا بذكر مال بل بذكر حالتك وسبب وقوعك في هذا السجن . فقال تظهرون العفة وانتم تحبون المال وتفضلونهُ على مخافة الله فمالي كثير وبهِ شفاء الغليل . فقال المامور وهل مالك بعيد من هنا . قال مسافة ثلاثة ايام او اربعة ايام فقال قد بان لي من كلامك ان قصدك الفرار والهرب فما لنا الان ومال المال فاخبرني هل الاكل يكفيك او هل تحتاج الى اكثر فقال اصغَ الى قولي فاني اريد منك ان تسير الى المحل الذي اصفهُ لك فتاخذ منهُ هذه المبالغ وبذلك تصير غنياً وتستغني عن هذه المامورية بشرط انك تخلصني فاني اسامحك بكل شيء . فقال المامور بعد ان ضحك اننا نسالك عن الاكل فتشرد الى المال فانا لا ارغب في مالك فغضب الخوري فاريا من كلامهِ وقال اني اراك خبيثاً كغيرك من الذين لا يحبون ان يفعلوا الا غاياتهم ولا يلتفتون الى كلامي وهكذا عمل المحتالين والمنافقين فاخرج من امامي ايها النذل فاني لا اريد منك شيئاً ثم التفت الى الحائط ورجع الى وضع ارقام حساباتهِ وخرج المامور وهو يضحك من قول الخوري فاريا وقد اعتبره من اعظم المجانين ثم طلب سجلات المسجونين فدفعها اليهِ السجان فوجد ان سبب سجن ادمون هو كونهُ من احزاب نابليون بونابرته وكونهُ من اعداء الملك لويس الثامن عشر وقد منع من كل مواجهة وان يحبس موبداً في اضيق حبس . فلما عرف المامور ان هذا هو سبب سجن ادمون وضع تحتهُ علامة المصادقة وسار الى سبيلهِ وبقي ادمون على ما هو عليهِ يقاسي العذاب الاليم بعد نفسهُ بالخروج قريباً وقد علق املهُ بوعد المامور الذي كان كبرق خلب لم يرَ لهُ من نهاية فكان ينتظر اليوم بعد اليوم والاسبوع بعد الاسبوع والشهر بعد الشهر ولما مضت عليهِ الايام والشهور قطع رجاءهُ من الخلاص وتيقن انهُ هالك لا محالة فاخذ يصلي والقى كل اتكالهِ على الله الذي وحده قادر على كل شيء وانقطع عن الاكل نحو ٣ ايام وهو راكع رافع يديهِ الى العزة الالهية يتوسل اليها ان تدفع عنهُ هذه الخطوب او تقبل نفسهُ في الامجاد وبينما هو على ذلك وقد خارت قواهُ وضعفت عزيمتهُ اذ سمع صوتاً خفيفاً كصوت مطرقة تضرب في حائط سجنهِ فانتبه وطرق

فكرهُ ان احد المسجونين يثقب الحائط ليفر موملاً ان وراءه خلاءً فقام واكل شيئًا وعند ذلك دخل السجان بالطعام فحياهُ ادمون بصوت عالٍ وشاغله ريثما خرج من عنده خوفًا من ان يسمع صوت المطرقة التي كانت تضرب على الحائط والصوت يقرب شيئًا فشيئًا من خلف سريره الذي ينام عليهِ وكان ادمون قد تيقن الفرج وفرح فرحًا لا يوصف ولعظم فرحهِ خطر في فكره ان يضرب الحائط من جهة الصوت ليعلم الفاعل ان هناك من يساعده فضرب برجلهِ ويديهِ بكل قوتهِ وبعد برهة لم يعد يسمع للصوت ادنى حركة فصبر وبات ينتظر عودة العمل في وقت اخر ودام في قلق واضطراب نحو ٣ ايام حتى كاد يقطع الرجا من وجود انسان يفعل هذا وان سببًا اخر لاجلهِ كان صوت هذا الحفر وفي اليوم الرابع بينما كان متفكرًا بهذا الامر اذ سمع الصوت المذكور فرفع سريره واذ تبع الصوت فرقعة حجر تحت السرير طار قلبهُ وكاد يصيح من الفرح غير انهُ تجلد وافتكر ان يساعد الحافر فلم يجد عنده من آلة تفعل ذلك فعمد الى الجرة فكسرها واخذ قطعة منها وجعل يوسع من جهة مكان الحجر المكسور الذي كان لرطوبتهِ يفتت بسهولة كلية ثم شعر بدخول السجان فارجع السرير بسرعة وجلس فوقهُ ولما دخل السجان ونظر الجرة مكسورة شتمهُ وقال لهُ لماذا كسرتها فاعتذر اليهِ بانها كسرت غصبًا عنهُ فاحضر لهُ غيرها فانسر لاتمام العمل دون ادنى صعوبة فرجع الى التوسيع واتمام رفع الحجر التي من جهتهِ فداوم على ذلك النهار بطولهِ والليل وقد صادف اواسط الحجر صلبًا لا تقطع فيها الةُ الخزفية ولما كان الصباح حضر السجان واحضر لهُ الطعام والماء حسب عادتهِ فافتكر ادمون ان يترك الصحن في طريق السجان فيكسره فيلتزم ان يبقي عنده الطواية الحديدية ذات المسكة القوية فتساعده على عملهِ فاسرع ووضع الصحن ورجع بينما كان السجان مشغل بوضع الماء في جرتهِ واذ عزم على وضع الطعام في صحنهِ وقصد ان يتقدم الى نحوهِ عثر بالصحن فكسره وهو لا يراه فتكدر وقال لادمون لماذا الصحن هنا اجابهُ اني غسلتهُ وابقيتهُ هناك فكان يجب ان تنظر امامك وتنتبه غير انهُ يلزم ان تبقي الطواية فهي لا تنكسر ابدًا فالتزم السجان ان يترك الطواية عنده . ثم قفل على ادمون الباب وذهب فقام ادمون واكل الطعام كله واخذ الطواية وجعل يزيل بمسكتها الحجر الذي كان يشتغل فيهِ قبلاً حتى اتم عملهُ فيهِ وشكر الله على ذلك وقد كاد يطير من الفرح وقال في نفسهِ لماذا كنت متغافلاً كل هذه المدة عن السعي بخلاص نفسي ولي الان نحو ٦ سنين اقاسي عذاب هذا السجن ثم رفع صوتهُ وقال اشكرك يا الله على التفاتك اليَّ فانت الذي اخرجت يوسف من السجن وصيرتهُ ملكًا فلا تترك مظلومًا ولا تساعد ظالمًا . وبينما هو يشكر الله اذ سمع صوتًا يقول لهُ من انت ايها الحاكي المبتهل فانذعر ادمون ورجف وخاف من الفضيحة غير انهُ تشجع لما راى ان الصوت غريبًا حيث كان من نحو ٦ سنين لم يكلم سوى سجانهِ فقال قل لي من انت . قال صاحب الصوت لا بل قل لي من انت اولاً قال

انا ادمون دانتاس قد سجنت من ٦ سنين في هذا المكان فقال له وما سبب سجنك فقال ادمون بأني من حزب نابليون فقال وهل نابليون لا يزال جالسًا على كرسي فرنسا قال لا اعرف قال كيف لا تعرف ولك من سنة ١٨١٤ وانا لي من سنة ١٨١٥ وقد جرت معركة عظيمة في تلك السنة وقد رجع فيها نابليون الى فرنسا ولا اعرف ما صار بعد ذلك فقال ادمون انا مسجون من سنة ١٨١١ فما لنا ولذلك ولكن اخبرني من انت ليرتاح بك ضميري فقال قل لي اولاً من انت قال انا ادمون في اوضة ١٤ . قال اوصيك يا ادمون ان تترك الحفر لاني انا الخوري فاريا وقد يزعمون اني مجنون وقد اشتغلت بالحفر من زمن طويل املاً باني اصل الى البحر حيث يمكنني من هنالك الفرار فاقتادني الحفر الى حجرتك فلا امل لي ولا لك ولا نفع بذلك ولكن قل لي يا ادمون كم سنة عمرك. فقال لا اعرف عمري ولكن اظن اني في سن ٢٧ فارجوك ياسيدي ان تتم الحفر لانه ان لم يتيسر لنا الفرار فاننا نتعاون عليه في المستقبل وانا اخدمك بكل جهدي واعدك بكل امانة فاسالك بالله ان لا تتركني وكن مرتاحًا من جهة الحفر فان بابه واقع تحت سريري ولا احد عالم به ولا يمكن ان يظهر فقال الخوري اذًا من كان في سنك فيجب ان يكون امينًا فاذا اطلعتك على سري هل تبوح به لاحد قال ادمون لا ابوح بما تودعنيه ولو قطعت اربًا فوثق الخوري بقوله وقال له انتظر فاني قريبًا اكون عندك فصبر كل ذلك النهار ولما اقبل الليل سمع دقًا على الحائط فاجابه ادمون بمثل دقه وكان قصد الخوري ان يعلم اذا كان مستيقظًا . ثم قال له انتبه يا ادمون فاني سأكسر ما بقي من هذا الحجر و يرتفع الحاجز بيننا فاخذ ادمون بكل قوته يساعده في عمله وفي برهة قليلة فتح دهليز بين حجرة الخوري وحجرة دانتاس فدخل الخوري عليه وحياه ثم ذهبا الى تحت نافذة ينبعث منها قليل من اشعة كواكب السماء ليرى كل منهما صاحبه و يعرف صفات وجهه ثم قال الخوري لادمون ارفعني الى هذه النافذة لانظر ما وراءها وهل يمكننا اذا حفرنا هذا الحائط ان نجد سبيلاً للفرار فرفعه ادمون الى ان صار باعلى النافذة ثم اشار اليه ان ينزله فانزله فقال لا سبيل من هنا للفرار فقد نظرت الخفير واقفًا وقد كاد ينظرني لو لم اسرع في النزول فهل انت لا توجد عندك آلة للحفر كالآلة التي عندي قال كلاً فمن اين لك هذه الآلة . قال الخوري قد استصنعتها من مسامير سريري ولي الان نحو سنتين اداوم الحفر املاً باني انتهي الى جهة البحر فارمي بنفسي هناك وحيث احسن السباحة فاتخلص الى احدى الشواطئ ومنها اسير الى استخراج كنزي الذي ساطلعك على قصته قال ادمون وما هو سبب سجنك قال اني كنت آخذ بعمل سياسي يعود نفعه على الفقراء فاتهموني بالجنون ولكن دعهم يفعلون ما يريدون. فقال ادمون وهل لم تزل مصمما على الفرار فقال ان ذلك راجع للعناية الم اقل لك اني قد اشتغلت اكثر من سنتين بحفر هذا الدهليز وكان ما يقع من التراب اثناء حفري ارميه من النافذة العليا لئلا يظهر اثره ولما تم

عملي وتيقنت الفرج وقست في سجنك وقادني حظك اليك ثم وقع الخوري مغشياً عليهِ فاسرع ادمون ونهضهُ ورش الماء على وجههِ حتى فاق هذا وادمون يفتكر بذاتهِ كيف ان هذا الشيخ يجد سبيلاً لنفسهِ ويسعى بالخلاص وهو هامل لا يفتكر من نحو ست سنوات بايجاد طريقة للهرب مع ان الشيخ اذا رمى نفسهُ بالبحر ربما يضعف جسمهُ ويغرق ولا يحسن السباحة كادمون الذي صرف كل حياتهِ في لجج البحار ثم قال للخوري انهُ طرق ذهني طريقة جديدة اظن بها يتسهل لنا الفرار فقال الخوري وما هي . قال هي ان نثقب هذا الحائط وعند النهاية منهُ اضرب انا الحارس الذي يحرس الباب الخارجي فاقتلهُ واذ ذاك فلا يعود يعوقنا احد فقال لهُ الخوري وقد اظهر الكدر الا تعلم ان قتل النفس حرام فلا يمكننا ذلك فاذا وجدت طريقة خلاف هذه فابدها قال لم ارَ غير ما ذكرت . ثم مضى عليهما مدة طويلة وهما على هذه الحالة يجتمعان ويفترقان دون الحصول على طريقة الفرار فعند ذلك قال الخوري لادمون اعندك قوة كافية لنوال المقصود قال هي فوق ما تظن . ثم اخذ قطعة الحديد فانثناها ثم ردها كما كانت . فقال الخوري كفانا ذلك غير انهُ ينبغي ان تعاهدني انك لا تقتل الحارس الا بعد اليأس والعجز عن كل الوسائل فاقسم لهُ ادمون ان لا يضر احداً بسبب فرارها . فقال اذاً يمكننا الان ان ناخذ في العمل ولو كنا نحتاج الى سنة او اكثر ولا ينبغي ان نضيع الفرصة بالبطالة . فقال ادمون كان يجب ان نقول ذلك من قبل هذه المدة التي اضعناها بالكسل . قال وان كنا لم نعمل فيها عملاً انما كانت سبباً لتعلمك اموراً كنت تجهلها ويجب ان نكون صبوراً على حوادث الايام فخجل ادمون وقال اعذرني ياسيدي فقد غشي على بصري فرحي بالفرار لاني متلهف الى مشاهدة الاحباب . ثم توجه كلٌ منهما الى محلهِ واقاما برهةً في سجنيهما ثم اجتمعا واعتمدا على ان يحفرا بزاوية السجن تحت الارض حتى ينتهيا الى الخلاء ومن هناك يدبران ما ينبغي ففرح ادمون واستبشر بالخلاص بعد قطع الرجا وباشرا العمل عند كل فرصة لاسيما في الليل وكانا يرميان التراب الذي يخرج من الحفر من طاقة سجن ادمون العالية المطلة على البحر وبكل اعتناء وحكمة تمّا العمل وانتهى الحفر بعد مرور سنة وكان الخوري في كل هذه المدة يدرس ادمون ويعظهُ ويهذب اخلاقهُ كاعظم اساتيذ المدارس الكلية حتى مهر وتمدن . ولسوء حظ الخوري فاريا اعترتهُ حمى في ختام فراغهما من الحفر . وساعة عزما على النزول فيها استحصل ادمون على قطعة خشب ووضعها معارضة لتساعدهما في النزول ثم نظر الى استاذهِ فوجدهُ يرتجف وهو في حالة مرض شديدة فقال لهُ ما هذه الحالة ياسيدي فاشدد عزمك وساعد نفسك على النهوض فالان وقت اظهار العزيمة . فقال الخوري قد مرضت الان فلا سبيل الى الفرار فاصبر ولا تعرض الى الموت نفسك واعمل معروفاً خذني الى سجني واسقني من زجاجة هناك فيها شراب احمر خوفاً من ان اكون عندك فيطلع السجان على دسيستنا فيفرق بيننا . فذهب بهِ

الى سجنهِ ووُضعهُ على فراشهِ الى ان زالت عنهُ الحمى قليلاً . ثم قال لادمون كلما نظرت الحمى قد اشتدت عليَّ اسقني من هذه الزجاجة خمس او ست نقط واذا رايتني قد اخذت في الصراخ فلا تخاف بل ضع يدك على فمي وبينما كان يكلمهُ اشتد عليهِ دور الحمى فصار يصرخ فوضع ادمون يدهُ حالاً على فمهِ وجعل يسقيهِ من ذلك الشراب الى ان استكن قليلاً واذ ذاك فتح الخوري عينيهِ قليلاً واشار بيده الى باب غرفتهِ فالتفت ادمون فسمع صوت مشي وفي الحال رجع الى غرفتهِ شاكرًا فضل معلمهِ الذي لم يلههِ المرض عن الانتباه والتيقظ . وبعد ان خرج السجان من عند الخوري ذهب الى ادمون كعادتهِ ثم رجع الى سبيلهِ فرجع ادمون الى الخوري وقال لهُ اني اشكرك كل الشكر ياسيدي فقد ايقظتني ونبهتني مع اني من عظم كدري من حالتك وغمي من مرضك لم اعد اقدر ان اعرف نفسي في اي محل انا . فقال الخوري بالحقيقة انك مستقيم وصادق فارجوك ان تسامحني على سوء ظني بك لاني تصورت انك تفر من الحفرة وتنجو بنفسك وتتركني وحدي ولا الومك على ذلك اذ لا يمكني انا الفرار ولا ريب في موتي . فقال ادمون معاذ الله فان الحمى ستزول عنك قريبًا وحينئذٍ نهرب سوية قال ان الدور الاول كانت حماه خفيفة جدًا بالنسبة الى الثاني واظن اذا اتاني دور ثالث تضعف قوتي وتنتهي بالاعدام وكيف يمكني الهرب وانا لا اقدر على المشي ولا تساعدني قوتي على السباحة لنصل الى البر الثاني من هذه القلعة . فقال ادمون اني احملك وانجو بك والله يساعدني على ذلك فضحك الخوري وقال اذًا يمكنك الان ان تفرّ وحدك وتتركني فلا رجاء لي بالفرار الان . قال لا اتركك وامضي ولو بقيت حياتي بطولها في السجن فلما راى الخوري منهُ الصدق والامانة على ودادهِ قال لهُ اني لابد ان اكافيك على جميلك هذا متى نجوبا واما الان حيث لا اقدر على الفرار فاذهب وسد باب الحفرة الخارجي لئلا يقف عليهِ الحارس وليس من الصواب ان يبقى مفتوحًا فاسرع ادمون وفعل كما امرهُ استاذهُ الخوري ورجع اليهِ وجدهُ جالسًا على سريرهِ وبيدهِ ورقة رثة وقبل ان يتكلم ادمون قال لهُ خذ ياادمون هذا الكنز العظيم فاخذها وقال كيف تكون هذه كنزًا كما تقول وهي ورقة سودتها حرارة النار وعليها اسطر غير ظاهرة كالواجب . فقال نعم ياولدي هي كنزي الذي لك نصفهُ هبةً مني فتبسم ادمون وقال في نفسهِ رجع الى الجنون كما كانوا يقولون عنهُ وحزن لذلك حزنًا شديدًا وقال كيف تقول هذه الورقة هي كنزك العظيم . قال نعم هي بدون ريب اعظم كنز مثبوت عندي ولا شك في انهُ داخلك الريب من كلامي وظننت ان كلامي هذا هو من قبيل الجنون مع انهُ بالحقيقة ناتجٌ عن عقل ثاقب وهذا الكنز الذي ان سرت اليهِ برفقتي يكون لك نصفهُ وان لم اخرج من سجني فتوجه اليهِ واخرج ما فيهِ فهو لك وينفعك فقال ادمون دعنا الان من هذا الكلام وفي الغد نتحدث بهِ قال يمكن في الغد تاتني الحمى فلا اعود اقدر ان اكلمك كما اكلمك الان فهز ادمون راسهُ واعرض بوجههِ . فقال لي

الخوري انك لا تزال غير مصدق فان شئت قدمت لك برهانًا من سر هذا الكنز ووجوده قال ما هو البرهان . قال اقرا الورقة التي بيدك تقف على الحقيقة قال كيف اقراها وهي كانت ضحية النار وكثير من كلامها مفقود قال اني اعرف الكلام المفقود . فبينما هما على ذلك سمعا صوت مشي السجان فرجع ادمون الى غرفتهِ ودخل السجان الى الخوري فاريا وسالهُ عن مرضهِ فقال لهُ اني مرتاح جدًا ولم اشعر الان الا بتاثيرات خفيفة وقال لهُ ذلك خوفًا من ان ينقلهُ الى سجن غير هذا فيصعب عليهِ انفاذ غاياتهِ فتظاهر امامهُ بالشفاء والعافية . وبقي الخوري وحدهُ الى المساء لان ادمون تركهُ وقد ظن ان كلامهُ ناتج عن جنون لا سيما وللحمى تاثيرات كثيرة مثل هذه . فبينما هو جالس يفتكر في حالتهِ شعر بان الخوري زاحف اليهِ فلاقاهُ ادمون باكيًا فقال لهُ لما لم تاتني قال تركتك لتنام لعلي ان النوم يريحك ويقويك ولتتاكد اني لعظم كدري مما اصابك لم اذق الطعام . فقال الخوري اصغ لي لاتم لك الكلام عن الكنز قبل موتي لانهُ ربما لا تعود تنظرني فيما بعد ولا تظن اني اكلمك عن خرف او جنون لان لهذا الكنز قصة مثبوتة عندي فان شئت اطلعتك عليها قال احكها لي ياسيدي . قال الخوري اعلم ان وظيفتي الكنائسية دعت بعض الامراء ان يدعني اقيم عندهُ لارشادهِ والصلاة لهُ وكان هذا الامير ذا غنى ومال لا يحصى ويهِ ميل للخزن والطمع فلما تغلب نابليون على ايطاليا وكان من اللازم للحروب نفقات كثيرة ولم يكن في وسع الحكومة وقتئذٍ ان تدفع بارة واحدة لفراغ خزنتها وكانت الحكومة تتاكد ان المال المطلوب يوجد اضعافهُ عند هذا الامير فطلبت منهُ فانكر وفي الحال جمع كل ما في وسعهِ ان يجمعهُ من مال وجواهر واخفاه في مكان وكتب وصية الى ولدهِ الذي كان وقتئذٍ غائبًا لا يعلم ماذا عمل ابوهُ ولا يعرف المحل الذي وضع فيهِ المال والجواهر ولم يذكر لهُ بورقة الوصية عن المال شيئًا بل كتبهُ في التحرير واخفاه في كتاب صغير وارسل يطلب ولدهُ ان يحضر ليطلعهُ عليهِ . وتحرير الوصية هو الذي كان بيدك في صباح هذا اليوم وكانت الحكومة كلما شددت عليهِ الطلب امتنع واظهر الانكار واذ كان لهُ اخصام كثيرون من رجال الحكومة ادعوا ان المال الذي عندك هو اختلاس فوضع في السجن وبعد ذلك حضر ولدهُ فطلبوا منهُ المال فلم يكن يعرفهُ لجهلهِ ما فعل ابوهُ فلم تصدقهُ الحكومة وفي الحال اقرنوهُ الى ابيهِ غير ان بعض اعداء الامير اوشوا الى السجان فدس لهما السم في الطعام فمات الوالد والولد معًا وبقي المال مدفونًا واذ لم يبقَ للامير وارث بقيت انا في قصرهِ اصلي لهُ على نفسهِ مدة ايام وسمحت لي الحكومة ان اقيم فيهِ وبقيت ثلاث سنين مقيمًا في بيت الامير المتوفي وكان اكثر عملي مطالعة الكتب الموجودة في مكتبتهِ الى ان وصلت الى مجلد صغير كنت ارى الامير دائمًا يطالع فيهِ فاخذت اتصفح صفحاتهِ وقتًا فاخر حتى عثرت بورقة عليها آثار كتابة غير ظاهرة فلم اعتنِ بها ولا افتكرت فيها الى ان كان ذات يوم بقيت اطالع في ذلك الكتاب حتى

ادركني الظلام فناديت الخادم ان يحضر لي المصباح فلم يجي احدٌ وبقيت الى ان حضرت الخادم فاخذت الورقة لاشعلها من قنديل الدار واشعل بها قنديل حجرتي فريثما ضربت عليها حرارة النار وضحت احرفها وبانت نوعًا فاطفئت ما كان قد التهب منها وبعد استعمالي وسائط اخرى قدرت ان اقرأ كامل ما في تلك الورقة من الكتابة واذا هي وصية الامير الى ولده وقد كانت التهبت فكتبت ما هو ناقص منها فاقراها يا ادمون فتعرف ما قلته لك فقرا ادمون حينئذٍ ما بها واذا هو

اني انا الامير سفبار المحرر امضاه بيده ادناه اوصيت الى ولدي الوحيد كامل الكنز الذي اخفيت فيه اموالي التي مقدارها ١٢ مليون فرنك وجواهري وسبائك الذهب والفضة المدفونة في جزيرة مونتو كريستو في زاوية المغارة الغربية التي زرتها مع والدي في نفس الجزيرة ولولدي وحدهُ الحق في الاستيلاء على كل ما يراه هناك دون معارض ولا مشارك

فلما وقف ادمون على معنى الرسالة داخل عقله صحة قول استاذه وشاركهُ في الرغبة والحصول على ذلك الكنز ثم قال للخوري وبعد ان وقفت على ذلك التحرير وعرفت بالوصية ماذا عملت قال سرت واخذت ابحث في تلك الجزيرة على المغارة المذكورة فلم اقدر ان اعرف مركزها وبقيت الى ان وقعت بيد البوليس وبعدهُ وضعوني في هذا السجن وكنت كلما فهت بكلمة من جهة الاموال والجواهر يضحكون عليَّ وينسبون لي الجنون والان قد نذرت على نفسي اذا خلصني الله من هذا السجن اقسمت موجدات ذاك الكنز بيني وبينك مناصفة واذا قضي عليَّ ومتُّ وفزت انت بالفرار فاقصد ذلك المكان واستخلص المال لنفسك . فقال ادمون وعلى فرض انهُ وجد هكذا كنز كيف يمكني التصرف بهِ وللامير وارث . قال لك البشرى بان لا وارث للامير غير ولده الذي مات معهُ . فقال اذًا انت احق بهِ قال اعلم انك ولدي ووارثي فان تخلصنا فهو لي والك والا فهو ميراثك مني لانك قد شاركتني في سجني وعاملتني معاملة الولد فانت نصيري وساعدي وسلوتي ثم مد ذراعيهِ واعتنق ادمون وهو يرجف من شدة وقوع حمى جديدة وقعت عليهِ وقتئذٍ

الفصل الثامن

في موت فاريا وخلاص ادمون

فلما وقف ادمون على حقيقة الحال ولاح لهُ وجه الصدق في قصة الكنز اخذ الطمع يلاعب افكارهُ حتى صار يتيقن ان ذلك الكنز صار في حوزتهِ وصار يحدث نفسهُ ويقول ما اجمل حصولي على هذا المال فانهُ يمكني بواسطتهِ ان اخفي نفسي بعد فراري واقدر ان اساعد فقر ابي الشيخ الذي لا بد انهُ يكون في حالة صعبة من الضنك والاحتياج ويمكني ايضًا ان احصل على خطيبتي مرسيداس التي لا شك انها تنتظرني في كل دقيقة بفروغ صبر . وعزم اخيرًا ان يحمل

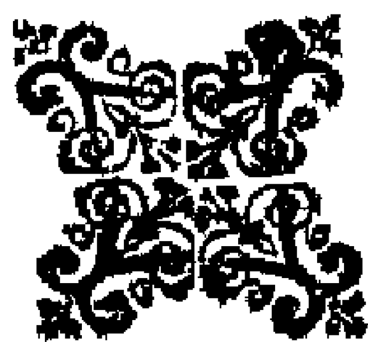
الخوري على اكتافهِ ويفرّ بهِ الى جزيرة مونتوكريستو (وهي جبل صغير بوسط البحر قرب ايطاليا) غير ان الخوري كان لا يطاوعهُ على ذلك حتى بعد ايام قليلة سمعوا صوت بناء خارج الحائط الذي كانا يوملان الفرار من جهتهِ وقد تغير محل الحارس الى جهة اخرى حتى غاب سعي فاريا وادمون فعض ادمون على كفهِ ندمًا وبات ينتظر فرجًا اخر وهو في اشد حزن وكآبة على فوات تلك الفرصة وصارت الايام تمضي عليهما وكل يوم بمقام سنة لا سيما عند ادمون الذي كان قد تأكد الفوز وتامل بالخلاص وملاقاة حبيبتهِ ووالدهِ وكان يصرف كل دقيقة من وقتهِ بالتفكر والهموم الى ان كان بعض الليالي بينما هو في هاجس وهادس عظيمين اذ سمع صوت الخوري يناديه فاسرع اليهِ فوجده في حالة الياس وقد اشتد عليهِ مرضهُ فكان يتوجع ويتململ ويأن فلما نظر ادمون حالتهُ بكى من شفقتهِ عليهِ وعزم على احضار السجان فمنعهُ الخوري وقال لهُ تذكر انك في سجني وان ذلك يضرك جدًا الا اني اطلب اليك ان تسقني جرعة من الزجاجة واذا رايت المرض قد زاد فاسقنيها حالاً كلها واذا لم يجدِ فيَّ ذلك نفعًا وقد قضي عليَّ فاتركني واذهب الى غرفتك خوفًا من الافتضاح فبكى ادمون من كلامهِ وقد توسم في وجههِ علامات التلف فسقاه الزجاجة كلها ووضع يده تحت راسهِ . فنظر اليهِ فاريا نظرة الوداع وقال لهُ الكلمة الاخيرة . لا تنسَ جزيرة مونتوكريستو . ثم شهق شهقة قوية قضى بها نحبهُ وفارق دنياه فصاح ادمون واعزيزاه ثم جعل يقبلهُ ريثما سكن روعهُ ولما تاكد وحدتهُ تركهُ ورجع الى سجنهِ وبات ينتظر ما سيجرى على جنبهِ وبعد مدة حضر السجان كعادتهِ فوجد الخوري قد مات فسار واخبر مامور السجن فحضر ومعهُ الطبيب ففحصهُ واكد موتهُ ثم انهم كفنوهُ وقفلوا عليهِ السجن وذهبوا وبعد ذهابهم دخل ادمون فاعاد عليهِ البكاء والنوح وندبهُ طويلاً وقد تاكد عنده انهُ سيبقى وحده وقد خسر رفيقهُ ومعلمهُ الذي علمهُ فضائل شتى وقد خطر لهُ اخيرًا انهُ ينادي السجان فيقتلهُ ولذلك يحكمون عليهِ بالقتل فيرافق الخوري في مماتهِ ويرتاح من عيشتهِ التعيسة الا انهُ تذكر جزيرة مونتوكريستو فامتنع وطرق ذهنهُ امرٌ تامل فيهِ النجاح وقال في نفسهِ ان كان لا يخرج من الذين يدخلون هذه القلعة الا الاموات فالاوفق ان اشق كفن الخوري الميت واقيم مكانهُ واضعهُ تحت السرير وادرج في الكفن ومتى اخذني الحاملون وقصدوا دفني اشق الكفن بهذه السكين الذي ابقيها معي واقتل بها ايضًا الحاملين . وهكذا فعل . وبقي داخل الكفن بعد ان ادخل السكين معهُ . وبعد مضي ساعات قليلة حضر اثنان من الضابطة والسجان فوقف السجان بالباب واشار الى النفرين ان يحملا الكفن فتقدما اليهِ فحمل الواحد من راسهِ والاخر من رجليهِ وكان ادمون لما شعر بهما قطع تنفسهُ ولما حملاه كان كقطعة من الخشب فلم يلتفتا يمينًا ولا شمالاً ولا نظرا جثة الخوري بل ربما اكرة في رجلي ادمون خارج الكفن ومن ذلك كان يشعر ادمون بثقل عظيم ولكن لا يعرف السبب لذلك الا انهُ افتكر ربما كان عزمهما ان يرمياه الى البحر

وهذه الكرة لتغرقه الى اعماق البحر. وقد اصاب ادمون لانه كان من العادة ان كل من مات في القلعة من المسجونين يربطون رجليه ويدفنونه في بطون الاسماك التي تسكن البحر المحيط بتلك القلعة ولا زال النفران يحملاه والسجان خلفهما حتى وصلوا الى البحر فقال احدهما يا ان الليلة مظلمة جدًّا فلنرمه من هنا ولا سيما ان البحر في اضطراب وهياج. فقال الاخر ارمه فقد مات الخوري غريبًا فكيف يبالي بهياج البحر او سكونه فانتهرهما السجان وقال لا ترمياه من هنا بل تقدما الى فوق العمق لان الميت الذي مات قبلة بقي على الصخور وقد انتن وقاسينا من رائحته شدة الكراهة والضجر فتقدما وكان المكان مرتفعًا والبحر يخبط بشدة على الصخور فيسمع له صوت قويٌّ حتى ان ادمون كاد يصرخ من الخوف لانه تيقن انه هالك لارتفاع المكان وكثرة الصخور غير انه فضل ان يرمى بالنار ولا يعود الى القلعة وتذكر ان السكين معه فيشق الكفن بها قبل وصوله الى الماء وقال في نفسه من لا يخاطر لا يروق له خاطر وبينما هو على ذلك اذ سمع كلام حامليه وسمع ايضًا انهما عدا. واحد اثنان. ثلاثة. وتذفاه فشعر بخروجه من ايديهما وفي الحال مزق بكل قوته وبسرعة كلية الكفن قبل ان يصل الى الماء لانه كان لا يرى ما تحته ولهذا لم يشعر بعد ذلك الا وهو في الماء وقد نزلت به الكلة المربوطة في رجليه الى الاعماق وعند ذلك لم يصح فكره لما وجد نفسه وصل الى الماء حيًّا الا انه لما نظر ان الكرة المربوطة برجليه ربما كانت سبب هلاكه اسرع فقطع الرباط بسكينه وخرج على وجه الماء والامواج تتلاعب به فترفعه تارة وتسقط به اخرى وحيث ان مهنته النوتية كان يقدر على السباحة ويعرفها معرفة جيدة فصار يغطس مرة ويسبح بسرعة اخرى خوفًا من ان يطلع الفجر فيكون حول القلعة منظورًا منها وكان يسرع ايضًا لعلمه ان السجان في الصباح يتفقده فلا يراه ولا بد من ان يرى جثة فاريا فيتأكد ان الذي رموه هو وينظر السرداب ويعرف كل شيء فيطلبونه وان مسكوه ربما لا يعود يتخلص فيما بعد. وكان كما كانت تتلاعب به امواج البحر كانت تتلاعب به امواج الافكار ولهذا كان سابحًا بين تيارين عظيمين قويين ولا زال حتى بعد عن القلعة وقد كلت يداه من التعب وانحلت قواه فكان يتجلد ويصبر على نفسه حتى لاح له عند ما انشق الفجر صخور قريبة منه فقصدها وصعد عليها ليرتاح وهو في اعظم تضايق وتعب ولم يستقر عليها حتى شاهد قريبًا منه مركبًا متضايقة من قوة الامواج وقد وقع شراعها الى البحر ثم تكسر مقدمها وتفرقت الواحها عن بعضها وغرق ملاحوها ولم ينجُ منهم احد فتكدر لذلك وعول على العوم الى هناك علهُ ان يخلص واحدًا من ملاحيه الا ان ضعف قواه منعه لانه تذكر انه غير قادر على ذلك وفي اقل من ساعة رجع البحر الى السكون والهدوء شيئًا فشيئًا واذ ذاك ظهرت له مركب خارجة من مرسيليا وكانت الريح طيبة معها فكانت تفتخر بسرعة مسيرها الموافق فعلم ادمون انه اذا قصد تلك المركب ينجو ولا سيما وكان يعلم انه باقٍ لميعاد دخول السجان الى غرفته نحو ساعة ونصف تقريبًا

فيمكنه ان يدرك المركب بمقدار نصف ساعة ولكن كان يصعب عليهِ ماذا يقول لهم اذا سالوه عن حالهِ و بناءً عليهِ رمى نفسهُ في البحر قاصداً المركب وصار يسبح بسرعة وهو يصيح و ينادي والمركب سائرة دون الالتفات اليهِ فجعل يعلو على وجه الماء باكثر من نصف قامة ويصيح و بالتقادير وجد بربيطة احد ملاحي السفينة المفقودة فجعل يلوح فيها ويكثر من الصياح حتى رآه من بالسفينة فانزلوا قارباً اليهِ فادركهُ وانتشلوه من الماء وفي الحال البسوه من ملابسهم ما ستر بهِ جسمهُ وكان قد لاقى في تلك المرة عذاباً اليماً ولو لم يكن من اشد السابحين واقدرهم لما قدر ان يدرك تلك السفينة السائرة بقوة الرياح حتى لم يعد بينهُ و بينها مسافة مرمى صوت كصوت ادمون ولما صار في القارب كاد ان يغمى عليهِ فاخذوا يفركون رجليهِ ويديهِ ليدفأ ولم يكن الا قليل حتى وعي ورجع الى نفسهِ ففرح بخلاصهِ فرحاً لا يوصف وشكر مخلصيهِ فسالوه عن سبب وقوعهِ في البحر فاظهر انهُ ايطالي وكان احدهم يفهم اللغة الايطالية . فقال انا من بحرية جزيرة مالطة وقد كنت في مركب مشحونة خمراً فانكسرت بنا المركب في هذه الليلة واظن ان القبطان والنوتيين الثلاثة هلكوا غرقاً ولو لم تدركوني لغرقت انا ايضاً فجزاكم الله عني خيراً ثم ساروا بهِ الى المركب واخبروا بهِ الرئيس الاول فوكل بهِ رجلاً نوتياً اسمهُ يعقوب وكان هذا الذي سعى في خلاص ادمون واجهد نفسهُ في اخراجهِ من جوف البحر ولهذا كان يميل اليهِ جداً كما كان يميل هو اليهِ ايضاً لانهُ مخلصهُ بعناية الله ثم قال لهُ الرئيس والآن ماذا تريد ان نعمل بك والى اين تريد ان تذهب فقال حيث اني ماهر في صناعة البحر فان شئت فاقبلني مع نوتييك اخدمكم في هذا المركب ريثما تصلون الى المحل الذي تقصدونهُ وعند الامتحان تعرفون صدق مهارتي في هذه الصناعة فقال احد النوتية وانا ايضاً اطلب من جناب رئيسنا ان يوظفهُ في مركبنا لانهُ يظهر انهُ ماهر جداً ونحن في احتياج اليهِ فقال الرئيس نخاف من ان لا يكون كما يقول فيضيع الصنيع معهُ فقال ادمون عند الامتحان تعرفون حقيقة قولي فقال القبطان نحن ذاهبون الى ليفورنا فخذ شراع المركب ودبر امرها . فاستلم هذه المامورية وغير ترتيب الشراع وشد بعض حبالهِ وارخى البعض فخرجت السفينة تشق البحار وضاعفت سيرها فسر الرئيس بعملهِ وقال لهُ بالحقيقة انك نوتي ماهر فقال ادمون حيث عرفتم ذلك فاني ارجو ان تقبلوني الى ان اصل الى ليفورنا ومن هناك اتركوني فاتوصل الى اهلي فقال القبطان تعاطى الآن مامو ريتك ومتى وصلنا الى هناك ننظر في امرك فعاد ادمون عن الرئيس . وكانت هذه المركب اكثر شغلها تهريب البضائع وتوصيلها الى اصحابها بدون دفع الرسم المعتاد وهكذا كان يعرفها عموم التجار . ثم اعطي ملبوسات كافية لتدفئتهِ وكذلك اعطاه يعقوب بعضاً من البقسماط والجبن فاكل وسقاه قدحاً من الكونياك . وفي اثناء ذلك سمع صوت اطلاق مدفع من قلعة شاتوديف فاصغوا واذا تبعهُ صوت مدفع ثانٍ تعجبوا واصغوا فلم يسمعوا بعد ذلك شيئاً فقال الرئيس اظن ان احد

المسجونين قد فرّ من القلعة فاطلق المدفعان تنبيهًا للتفتيش عليهِ وافتكر انهُ ربما كان ادمون هو المسجون الفارّ غير انهُ قال في نفسهِ ولو فرض انهُ هو المقصود فماذا يعنيني من امره وخلاصهُ ومساعدتهُ لو وُفق من الاخبار عنهُ و رميهِ بالمهالك . واما ادمون فخفق قلبهُ وخاف أن يظن بهِ الرئيس سوءًا فيسالهُ عن ذلك فماذا يجيبهُ وعلى ذلك قال ليعقوب كم يوم مضى من هذا الشهر قال لهُ اليوم الذي نحن فيهِ هو اليوم الثامن والعشرون من شباط فما هو السبب الذي تسال لاجلهِ قال قد نسيت ذلك لعظم ما طرأ عليّ من الاخطار والعذاب في الماء حتى اني نسيت السنة التي نحن فيها . فقال يعقوب هذه سنة ١٨٢٩ فافتكر ادمون انهُ قد مضى عليهِ ١٤ سنة في السجن وكان سجن في سن ١٩ سنة فصار عمره الان ٣٣ سنة . ثم تذكر اباه ومرسيداس خطيبتهُ فتمنى ان يطير ليشاهد ماذا جرى عليهما كل هذه المدة ثم تذكر في عمل دنكلار وفرنان وما اوصلا اليهِ من الاذى والضرر حسدًا منهُ فعزم على مكافاتهما بالشر مقابلة لعملهما معهُ . وبينما كانت السفينة سائرة عرض الرئيس على ادمون ان يكتب معهُ كنتراتو على ثلاثة اشهر لان شجاعتهُ ومعرفتهُ قد اعجبا الرئيس و راى في نفسهِ انهُ محتاج اليهِ بتهريب البضاعة فقبل ادمون وكتب سندًا على نفسهِ بذلك وقبض اجرة الثلاثة اشهر سلفًا ولا زالوا في مسيرهم حتى وصلوا الى ليفورنا فنزل ادمون الى البروجال في المدينة ثم ذهب الى حلاق فازال شعر وجههِ وقص من شعر راسهِ ونظف اوساخهُ و بعد ذلك اشترى بعض ملابس يحتاج اليها وعاد الى المركب فترحب بهِ الرئيس واقام في عملهِ وكل هذه المدة لم يفارق يعقوبًا وكان الوداد يتمكن بينهما جدًا . وطلب الرئيس الى ادمون ان يغير الكونترانو الى مدة اطول فاجاب عند الفراغ من المدة انظر اذا كان يمكن ذلك لاني لا انكر معروفك معي فطمن الرئيس بانهُ اذا لم يصر لهُ مانع لا يترك المركب و بقي الى ان قربت المدة المذكورة وكانوا في تلك المدة يمرّون بجزيرة مونتو كريستو فصعدوا البهامرة في النهار فسال ادمون النوتيين اذا كان في الجزيرة مغارة فلم يعرفها احد وكان يجول في فكره كلام الخوري فاريا الذي ترجح عنده فعول على الفحص والاستكشاف غير ان تلك المرة لم يمكنهُ لانهم كانوا عازمين على السفر فسافروا وقد زادت رغبة ادمون في الوقوف على الكنز ولحسن الحظ توافق قبطان المركب مع قبطان مركب اخر وارد من القسطنطينية على نقل بضائعهِ وتهريبها من الكمرك الى البر وهي بسط وسجادات تركية وشالات عجمية فشاور الرئيس ادمون من اي جهة ينبغي اخراج هذه البضاعة فقال ادمون ان هذه البضاعة هي ثقيلة ونخاف من الاكتشاف عليها فالاوفق اخراجها من جزيرة مونتو كريستو لبعدها عن الخطر وعدم وجود ساكن فيها فاستحسن الرئيس قولهُ وقادوا مركب القسطنطينية الى الجزيرة فنقلوا البضائع من المركب المذكور الى البر حتى فرغوا وقبضوا الاجرة وجلسوا للاكل عند شاطئ الجزيرة فاستاذن ادمون من ارفاقهِ والقبطان وقال لهم ان مرادي انفرج في هذه الجزيرة واتصيد لي شيئًا من الوحوش ثم اخذ سلاحهُ

وجعل يقفز على صخورها مظهرًا على نفسهِ انهُ يطارد الغزلان فاصطاد شيئًا من الماعز ورجع في الحال دفعةً لهم ففرحوا بهِ ورجع هو بعد ذلك واوسع بين صخور تلك الجزيرة وادغالها حتى غاب عن اعينهم فصبروا عليهِ برهة فلم يرجع فداخلهم الخوف عليهِ فتأثروهُ حتى ادركوهُ فوجدوهُ ملقى الى الارض مغشيًا عليهِ فاخذوا يعطونهُ من المنبهات ويغسلون وجههُ بالماء الى ان فاق فطلبوا منهُ ان يذهب معهم الى المركب فابى وقال اتركوني هنا واذهبوا فاني غير قادر على السفر فقال القبطان لا يمكن ان نتركك وحيدًا هنا ونسافر بل يمكننا الاعتناء بك في المركب. فقال ادمون اني اشعر بوجع اليم وضعف غير منتظر فاتركوا لي شيئًا من الطعام يكفيني نحو يومين او ثلاثة ايام لاني اود ان ابقى هنا لعلمي ان البحر والسفر ربما يزيدان مرضي فوافقوهُ على ذلك واعطوهُ شيئًا من البقسماط واللحم المقدد وودعوهُ وساروا متاسفين ما اصابهُ لا سيما يعقوب الذي
لو سمح لهُ الرئيس لكان بقي عندهُ وبعد ان غابوا عنهُ نهض
كالغزال ورجع في التفتيش وكان ادمون قد
اخترع تلك الحيلة فنجح وخلا لهُ الجو
فاخذ في الاستكشاف
منفردًا



الجزء الثاني

الفصل الاول

في اكتشاف ادمون على الكنز

وجال ادمون في الجزيرة كثيرًا فلم يرَ اثر المغارة ولا وقف على ما يدل على انهُ كانت هناك مغارة ولهذا كان يضجر مرارًا كثيرة و يعزم على ترك البحث والتفتيش غيران فقره واملهُ حملاه ان لا ينقطع عن عملهِ الى حين اتيان المركب وكان كثيرًا ما يرى الوحوش الضارية تمر بجانبهِ فيتجنبها اويرميها بالرصاص و بعد الياس والتعب انتهى الى اكمة فوجد عليها صخرًا فتامل فيهِ واشتبه في ان وضعهُ غير طبيعي وان باب المغارة وراءهُ لانهُ محكم الوضع وكان مسندًا بحجارة صغيرة فازال الحجارة المسند بها فظهر لهُ من ثقب مقداره خمسة قراريط مربعة خلاءٌ تحت الصخر فذهب الى شجرة صغيرة فقطعها واستعملها كالمخل فوضعها تحت الصخر واخذ يشد بكل قوتهِ فلم يقدر ان يحرك الصخر فارتبك في امرهِ وكاد ييقع من عظم ما دهاه لانهُ تيقن ان هناك الكنز لان هذا الصخر لم يوضع على فم هذا الخلاء الا لاسباب اصدقها ما كان سمعهُ من الخوري في سجنهِ و بعد التفكر تذكر ان معهُ بارودًا فوضع منهُ في ثقب طبيعي بالصخر ودكهُ كما يدك اللغم واشعلهُ بحسن معرفتهِ و بدقائق قليلة اطلق اللغم وصار بالجو قطع كثيرة من ذلك الصخر و بعد ذلك قرب ادمون من الصخر فوجد ما بقي منهُ بعيدًا عن مركزه الاصلي وقد انكشف باب المغارة فطار من الفرح وحالًا اسرع في النزول فيها حتى انتهى الى اسفلها فجعل يدور على المكان الموضوع فيهِ المال فلم يرَ لهُ اثرًا ووقف متحيرًا وكان باطن المغارة معتمًا قليلًا لبعدهِ عن النور الطبيعي الذي كان ينير سطح الجزيرة و بينما هو يفتكر اذ عثر برجلهِ على حلقة من حديد فتشجع ومسك الحلقة ودفعها واذا بهِ طبقة من حجر فانكشفت عن درج فنزل فيهِ وقد تعجب جدًا وفرح فرحًا لا يوصف فوجد عند اسفل الدرج نافذة ينبعث منها نور الشمس وراى ايضًا مغارة ثانية الى الجهة الشمالية فاخذ فاسهُ وجعل يضرب بهِ على حيطان المغارة حتى سمع عند وقع فاسهِ على الحائط صوتًا اشبه بصوت النحاس ففهم انهُ باب الكنز المقصود فكشفهُ واذا بغرفة صغيرة مظلمة فجعل يضرب بالفاس فيها حتى وقعت ضرباتهُ على صندوق حديدي متين فتذكر ادمون كلام الخوري وكاد ان يعتريهُ الجنون من عظم فرحهِ

فجلس الى الارض ليرتاح و يسكن خفقان قلبهِ ولم يكن يصدق ان ما نظرهُ وراهُ هو باليقظة وبعد ان سكن روعهُ وراق باله صعد الى ظهر الجزيرة فاحضر بعضًا من الحطب اليابس فانزله المغارة واشعل النار فنورت المغارة فظهر له صندوق الحديد جليًا ووجدهُ مقفلاً بقفلين من حديد فكسرهما بفاسهِ ثم تخيل له انهُ ربما اتى احدٌ وخاص منهُ ما في الصندوق فلكي يثبت كل المال لهُ دكّ بارودتهُ وعزم على ان يطلقها على كل من ياتي لتخليص غنيمتهِ ثم فتح الصندوق فانبهر مما راى وكاد يطير فرحًا وطارت نفسهُ شعاعًا لالتقاط تلك الجواهر واليواقيت وبقي هنيهة ينظر فيها نظر المرتبك لانها كثيرة لا يقدر على حملها فضلاً عن الاموال التي تصرف بين الايادي والسبائك الذهبية والفضية ونظر كثيرًا من اللؤلؤ من الكبير والصغير مفرزًا وهكذا كان كل جنس من تلك الخزينة على حدة وكان لمعان الماس والياقوت يغنيهِ عن تلك الشعلة التي اشعلها . ومع كل ذلك لم يغفل ادمون عن ذكر الله الذي اوصلهُ من ذلك السجن المظلم الى درجة يمكنهُ بها ان يعادل الملوك والامراء بل سجد وصلى وبعد ان فرغ من صلاتهِ اخذ قبضة من اكثر الاصناف الموجودة في الكنز وصعد الى ظهر المغارة فسد بابها بالحجارة ووضع عليهِ التراب حتى لا يراه احدٌ اذا صدف مروره من هناك مع انهُ يندر مرور بشر في تلك الجهة من الجزيرة وصار يقول في نفسهِ اني لست الان انا ادمون الذي كنت مسجونًا بل انا الامير سنمار لا بل انا نابليون الاول لا بل اغنى رجل في العالم ولذلك صار يمكني ان اخفي نفسي واتوصل الى ما اريد

وبقي ادمون في هواجس وافكار ناتجة عن فرحهِ الى ان اتى المركب ولما قرب من البر نزل ملاحوه ليفتقدوا ادمون فوجدوه بانتظارهم ولما وقع نظر يعقوب عليهِ رمى نفسهُ اليهِ واعتنقهُ وجعل كل واحد منهما يقبل رفيقهُ ويسلم عليهِ وسلم عليهِ البحرية وهنأوهُ بسلامتهِ فشكر فضلهم ثم عادوا الى المركب فسلم على القبطان وقلعت المركب قاصدة ليفورنا حتى دخلوا ميناها فنزل ادمون الى البروجال في المدينة برهة ثم قصد احد الصياغين الذين يشتغلون الجواهر فاعرض عليهِ حجرًا اذا كان يشتريها فالتبس الرجل من الحجر كيف وصلت الى هكذا نوتي غير انهُ تامل ان ياخذها منهُ بابخس الاثمان ولذلك دفع لهُ فيها خمسة الاف فرنك وسالهُ ان كان معهُ غيرها فباعهُ اربعة احجار من اصغر الاحجار التي اصحبها معهُ بعشرين الف فرنك وفي تلك المدة انتهت مدة الكونتراتو التي بينهُ وبين القبطان فطلب منهُ تجديد غيرها فابى ادمون واعتذر لهُ وخرج من مركبهِ وكذلك فعل يعقوب فانهُ ترك المركب بطلب ادمون الذي اشترى لهُ مركبًا صغيرًا جعلهُ رئيسًا عليها ففرح بها يعقوب ثم امره ادمون ان يمر بمركبهِ على مرسيليا ويسال هناك في الكاتلان عن شيخ يدعى دانتاس وعن ابنة تدعى مرسيداس ماذا جرى عليهما ويجعل فحصهُ هذا سرًّا دون ان يطلع عليهِ احدٌ فاجابهُ وودعهُ وسار بمركبهِ وسافر ادمون الى جانينا ولما وصل اليها راى مركبًا تباع موصى عليها

رجل انكليزي فاشتراه منهُ بستين الف فرنك دفعهُ لهُ من ثمن الجواهر التي كان يبيعها واحدة فواحدة حتى اجتمع معهُ مبلغ و بعد ان استلم المركب اخذمعهُ بحارًا وطلب منهُ ان يعمل لهُ خزانة خفية في مكان غير منظور في حجرتهِ الخصوصية ثم نزل في المركب وحدهُ وسافر بها دون ان يصحب احدًا حتى تعجب الناس منهُ كيف قدر ان يسافر دون نوتيين وقد قال البعض انهُ من الاسبانيول الماهرين بفن البحر وانهُ ذاهب الى بلادهِ والبعض قال انهُ متوجه الى جزيرة البا لانهُ لم يكن قصد جزيرة مونتو كريستو اولاً بل عندما تبطن البحار وخفي عن العيون قصد الجزيرة حتى وصل اليها تاني يوم فارسى مرساة المركب وطلع البر وسار الى المغارة فوجدها مغطاة كما تركها فازال التراب والحجارة ونزل اليها واخذ في ان ينقل ما ضمنها من الجواهر والاموال ووضعها في خزانة المركب حتى فرغ وعند ذلك اقام وحيدًا ينزل تارة الى البر و يصعد طورًا الى المركب وهو ينتظر مجيء يعقوب الذي بعثهُ الى مرسيليا يسال لهُ عن والدهِ وخطيبتهِ وكان قد عين لهُ ان ينتظره في تلك الجزيرة و بعد ان مضى عليهِ ثمانية ايام من حين حضوره الى الجزيرة حضر يعقوب بمركبهِ الصغيرة فسلم عليهِ واخبره ان الشيخ دانتاس توفي من خمس سنوات والابنة مرسيداس لم يقدر ان يقف لها على خبر من احد فتالم ادمون وكاد يصرخ من حزنهِ على والدهِ غير انهُ خوفًا من ان تلاحظ عليهِ الملاحون ذهب الى مركبهِ وناح على ابيهِ وصرف وقتًا ليس بقصير يندبهُ وكان اعظم شيء يزيدهُ نوحًا وحرقة موت ابيهِ فقيرًا معذبًا بفراقهِ و بعدهُ وكيف مات ولم يكن بين يديهِ و بعد ذلك اصعد معهُ من ملاحي سفينة يعقوب بعضًا وسار الى مرسيليا فتبعهُ يعقوب بمركبهِ ولما دخل ميناها نزل الى الشاطيء فاعترضهُ الشرط وطلبوا منهُ رخصة المرور فاراهم رخصة كان قد اشتراها من رجل انكليزي لاجل هذه الغاية فتركهُ الشرط ثم جال في المدينة فصادف احد نوتية المركب فرعون الذي كان فيهِ فخاف من انهُ يعرفهُ غير انهُ تقدم اليهِ وسالهُ بعض سوالات تدل على انهُ غريب عن المدينة فاجابهُ مجاوبة رجل لا يعرفهُ فاطمئن بالهُ وعرف ان هيئتهُ قد تغيرت حتى ان ملاحيهُ لم يعد احد منهم يعرفهُ و بعد اتمام الكلام اولهُ ادمون ليرتين جزاءً لهُ على افاداتهِ وتوجه فارتبك النوتي وتبع ادمون وقال لهُ ياسيدي ما الذي اعطيتني . فقال ادمون اني اعرف ما اعطيتك ومقابلة لامانتك خذ هذه الليرة ايضًا فانبهر النوتي وجعل يتامل فيهِ ويتعجب من كرمهِ ولم يكن يعرفهُ فسار ادمون مطمئنًا عارفًا ان الايام قد غيرت هيئتهُ وان من كان اعرف الناس بهِ لم يعد يعرفهُ و ربما ان معارفهُ قد نسوه بالكلية ولما وصل الى الكاتالان وقف عند باب بيتهِ الذي كان قد اخذمنهُ فوجدهُ قد قلبت ايدي الحوادث ومرور الزمان رونقهُ وتغيرت هيئتهُ من الاهمال غير انهُ كان يظهر انهُ لا يزال مسكونًا فبعد ان وقف باهتًا متحيرًا دخل متنجعًا فوجد هناك شخصين يسكنان فيهِ فتبين انهما فقيران فاراد ان يسالهما عن سبب وصول ذلك المحل اليهما ممن استلماه غير انهُ غلب عليهِ

الحزين وتذكر والده وخطيئته واياما مضت في ذلك المكان فخرج دون ان يسـ يد من ساكني المحل شيئاً ووصل الى المحل الذي كان فيه جاره كادروس القائم بوجبد عند الباب وسأله مسالة سمة فقال له ان تركه لكان واتخذ لنفسه خمارة خارج البلد حيث ان ضعف هذه جعله ان يترك العسكرية تراجعاً قاده الى ان يسكن حانوتاً يبيع فيه الخمر فتركه ادمون ورجع الى بيت والده وسال ان كان فيه اذا كان يسعه فاجابه الى ذلك فاشتراه ودفع له بدل ثمنه ٣ الف فرنك فاعطى له المكان فاستلمه واقام فيه اياماً وقد اذهل وجوده كل ساكني الكاتالان ولم يكن يعرف احدهم شيئاً عنه الا انهم كانوا يرونه بصفة غريبة ... لي كاعي لو ردات برلسا وكونتها وذهب بعد ذلك الى بيت مرسيداس خطيبته فسال عنها وعن اهلها ولم يعرف احد منهم شيئاً لان سكان ذلك المكان الفقراء لم يعرفوا اموراً وبحث من اكثر من ١٤ سنة عن سكان ذلك الزمان الذين كانوا ايضاً يجهلونهم واعطى ساكني المحل شيئاً من الدراهم وخرج متحيراً اخيراً اذكر انه لا يقدر ان يعرف شيئاً عن ما كان من سكان الكاتالان القدماء الا من جاره كادروس الذي تاكد وجوده بحانوته يبيع الخمر

الفصل الثاني

في مقابلة ادمون كادروس وتخفيه تحت ملابس الكهنة

لا ريب في ان كل من عرف ذلك المكان في ذلك الزمان يعرف انه كان موجوداً حانوت خمر خارجه صار مشهوراً به لبقائه هنا مدة ليست بقصيرة وهو بين محلي بلكرادو بوكر وكان يقيم بالحانوت المذكور كادروس وزوجته المرمة وكانت سيئة الاخلاق للغاية لا سيما عندما اصيبت بالحمى والفقر وكانت ترى عدم توفيقه وسوء طباعه ولذلك كانا يتشاجران ويتنازعان في كل اوقاتهما فذات يوم بينما كان كادروس جالساً بباب حانوته ... اذ مر به كاهن ذا هيبة ووقار تدل حالته وسماته على انه من اكابر الكهنة راكب على فرس ... بسرج لطيف مرتب فوقف كادروس اجلالاً له واسرع ... عندما راه وقف بباب حانوته ... له والتمس منه ان يجلس فجلس وكان ذلك الكاهن هو ... ادمون لانه عرف ان كادروس لابد ان يعرفه حيث رآه من ... لاسيما اذ اطال ... والده وما كان من امور ذلك الزمان الماضية وبعد ان استقر ادمون ... الماوي ... تكلم مع كادروس بالاسبانيولية وكان يعرف ان كادروس ... فقال له ... كادروس . فقال نعم انا هو كادروس . فقال ... انت الذي ... قال نعم . فقال وما تعمل الان هنا قال قد جار لي الزمان ... ابد استعين به ففتحت هذا الحانوت . فقال ادمون اعطني ... اذا كان ... فاحضر له زجاجة

فشربها الراهب ووضعها امامهُ ثم قال لكادروس هل انت مشتغل راضيه وبالطبع يا ابا فوه هل عندك احد في هذا الحانوت. قال ان حالي رديئة جداً كما تشاهد وليس عندي سوى زوجتي المسنة العاجزة وهي لا تقدر على المشي ولا يخفى عليك ان عادة الايام تغدر بالكرام وترفع اللئام ولا ينال المناصب العلية الا اصحاب القبائح والرذائل فقال لا تعارض صاحب الملك في ملكهِ فهو يفعل ما يشاء وبما انك تزعم انك من اهل الفضل فقد يمنحني الله اياك لخيرك وسعادتك وذلك اذا اجبتني عن كل ما اسالك عنهُ . فقال سل ما شئت فاجيبك عن ما اعلمهُ . قال اتعرف شخصاً بحرياً يدعى ادمون دانتاس كان يسكن في الكتالان قال كيف لا اعرفهُ وهو صديقي وجاري فقال ما الذي جرى عليهِ وهل تعرف عنهُ شيئاً من سنة ١٨١٤ الى سنة ١٨١٥ وبعد ذلك هل خرج من السجن او لم يزل فيهِ . فقال كادروس وقد اغرورقت عيناهُ بالدموع وسالت على خدوده انهُ مات في سجنهِ على ما هو شائع وهل هذا تكلمت يا ايها . . . ب الاقدس اين الله في هذه الدنيا لا يلتفت الى اصحاب الحسنات ومستقيمي الاعمال بل يعطي خيراتهِ للاشرار ويمنعها عن الابرار . وزاد في البكاء فقال الخوري لا تبكِ عليهِ يا كادروس فالبكاء حرام فقال كيف لا ابكي وهو كان من اعز الناس عندي ولا سيما ابوهُ فهل انت ايها الاب تعرفهُ قال نعم اعرفهُ وقد دعيت عند موته . فقال و . . . ي مرض مات . . . دال . . . ارفيد عظم مصابه وفراق احبابه . . . يضعف جسمهُ رويداً رويداً واخيراً مات . . . وكان مسجوناً مع ادمون رجل انكليزي فلما خرج اعطى ادمون جوهرة نفيسة مقابله للخدمة التي خدمهُ اياها ادمون وبقي ادمون محتفظاً على هذه الجوهرة مؤملاً . . . ا . . . ا يخرج من السجن . . . قال كادروس وماذا تساوي تلك الجوهرة قال تساوي اكثر من خمس . . . الف فرنك . . . ثم اخرج من جيبهِ كيساً واراهُ حجراً من الماس يقدر حمة فول . فارتجف كادروس عندما شاهد الجوهرة ومال قلبهُ اليها وكاد يطير عقلهُ بها . واما الخوري فانهُ ارجع كيسهُ والجوهرة الى جيبهِ . فقال كادروس وهل ورثت انت هذه الجوهرة من ادمون المسكين . قال كلا بل انهُ قبل موتهِ اعطاني اياها وقال لي انهُ كان لهُ ثلثة اصحاب وخطيبة وكان يقول لي لا بد ان . . . هؤلاء من مراتهِ في اسد لوعة وهم زنان ودنكلار وكادروس واما خطيبته فهي . . . ثم وضع ادمون يدهُ على جبهته متفكراً ومتظاهراً انهُ نسي اسم الخطيبة . فقال كادروس اسمها مرسيداس . قال صدقت مرسيداس . والمقصود اني ابيع هذه الجوهرة واوزع ثمنها على الخمسة فقاطعهُ كادروس وقال انك انت قلت اولاً اربعة فما بالك تقول الان خمسة . فقال قد غلطت فلا تؤاخذني لاني نسيت ان ابا ادمون قد مات ولكن اقدر ان تعرف ماذا كان موتهُ . قال انهُ مات جوعاً اثر مرض وقع بهِ من شدة حزنهِ على ولده ادمون . فتاثر ادمون من هذا الكلام وكادت دموعهُ تفر رغماً عن تجلده وتصبره . ثم قال اهل مات الاحسان من بين العالم وقل الخير

وفقدت الرحمة حتى مات جوعًا ولم يكن له من يعوله او يلتفت اليهِ غير ولدِ المسكين وهل لم يلتفت اليهِ احد من اصحاب ولده ومعارفهِ . فقال كادروس ان عزة نفسهِ كانت تمنعهُ من ان يظهر لاحد احتياجهُ

وعند ذلك سمعا صوت زوجة كادروس صاحت بهِ من داخل وقالت لهُ مالك ولهذا الكلام فربما كان هذا السائل من الذين يقصدون لك ضررًا وقد تستر تحت هذه الملابس . فاجابها ادمون لاخوف على زوجك من شيء وما تزعمينهُ فهو وهم باطل فما في كلامي ادنى ريبة ولا شك ثم وقف ادمون واظهر على نفسهِ انهُ قاصد الذهاب فمسكهُ كادروس وقال له لا يهمك كلام زوجتي فقد خرفت ولا تعرف معنى ما تتكلم بهِ . ثم قاده من يدهِ الى داخل حجرتهِ وقفل الباب ولما جلس ادمون قال لكادروس تمم لي حديثك الان وكن في ثقة فاننا نحن الرهبان لا يفشأ السر عندنا ولا يعرف الا الله تعالى ما في قلوبنا لا سيما واني انا غريب عن كل هذه الحوادث التي نتكلم عنها وما اتيت الا لاتمام وصية ادمون وحيث لم ارَ سواك قصدت ان اعرف من تصح فيهِ الوصية وياخذ هذا الحجر الثمين ومن لا تصح فيهِ فاخبرني عن كيفية هذا الشاب من حال المبتدا . قال كادروس هو انهُ بينما كنا في وليمة خطبة ادمون اذ حضر بغتةً اربعة اشخاص من قبل الحكومة فقبضوا عليهِ وسافروا بهِ ولم نكن نعرف سبب ذلك واما والدهُ وخطيبته فقد اعتراهما الحيرة والانذهال حتى كادا ان يفقدا عقليهما ولم يكونا يعرفان ماذا يعملان وبقينا جميعًا في حيرة وكان قد سار للكشف عن حقيقة خبر ادمون الخواجه موريل صاحب المركب الذي كان بها ادمون وبقينا بانتظاره الى ان عاد واخبرنا بانهُ سجن بتهمة انه من احزاب نابليون ومن ذلك الوقت اخذ والده بالبكاء والنواح حتى ضعف جسمه واعتراه الهزال ولما اشتد عليهِ المرض احضر لهُ الخواجه موريل الطبيب وبعد ذلك بمدة توفي حزينًا لفراق ولدهِ ومشتهيًا كسرة خبز يسد بها رمق فوادهِ . فلم يقدر ادمون ان يمنع نفسهُ من البكاء فبكى واظهر على نفسهِ انهُ تألم من مصاب ابي ادمون وقال لكادروس ان الجنس البشري لايقدر ان يسمع بوقوع هكذا امر ويضبط نفسهُ من البكاء والتاسف ثم طلب منهُ اتمام الحكاية فقال . ولما بلغ موسيو موريل حضر وبكى عليهِ وتاسف لحالتهِ وقام بحق دفنهِ بلياقة وكرامةٍ . واما انا فاني تأكدت ان كل ما وقع على جاري ادمون من المصائب وعلى والدهِ كان بتدبير فرنان ودنكلار اللذين كانا يظهران على انفسهما انهما من اعز اصحاب ادمون وذلك ان دنكلار كان كاتب المركب التي كان ترأسها ادمون ولذلك كان يحسدهُ على الرئاسة والاخر كان يرغب في زواج مرسيداس خطيبة ادمون التي كانت رفضت قبولهُ مرارًا ولهذا كان الاثنان يطلبان هلاك ادمون ويتمنيان لهُ الاذى وهو لبساطة قلبهِ لا يعلم شيئًا منهما وعند ما اجتمعا اتفقا ان يزورا كتابًا الى المدعي العمومي يخبرانهِ بهِ بان ادمون هو من احزاب نابليون وانهُ مرَّ عليهِ

بمركبهِ واخذ منهُ تحاريرَ واعطاهُ تحاريرَ . فقال الخوري ومن الذي كتب الكتاب . قال كتبهُ دنكلار في الحانوت الذي كان خارج الكاتالان وفرنان اخذهُ الى البوسطه وارسلهُ بها الى وكيل الملك . فقال الخوري وعلى ما اظن انك كنت جالسًا معهما وكان ادمون قد تذكر انهُ راهُ معهما في ذاك الحانوت . فارتعد كادروس وارتجف وقال من الذي اخبرك بحضوري معهما . فقال لم يخبرني احد غير اني اخذت ذلك بمجرد الظن فارجوك ان تعذرني اذا كنت قد اخطات . فقال صدقت اني كنت جالسًا معهما وقد اجتهدت نفسي فلم اقدر ان امنعهما وقد ملاا عليَّ بالخمر حتى اسكراني وغبت عن الوجود . فقال الخوري وعندما قبض على ادمون لِمَ لم تخبر متوظفي الحكومة بما كان من امر هذين الحاسدين . قال قد قصدت ذلك ثلاثة ايام ولم اقدر عليهِ لان دنكلار تهددني ان اخبرت الحكومة بشيء من ذلك ينسب اليَّ نفس التهمة التي نسبها الى ادمون اي انهُ يقول باني من حزب نابليون واني متفق مع ادمون ويشهد بذلك فرنان فالتزمت السكوت خوفًا ان يقع بي ما وقع بادمون وبقيت من ذلك الحين مشغل البال على ادمون الذي كان كولدي حتى اني كنت كلما تنازعت مع زوجتي اقول لها لو ان الله يريد سعادتي وستر اخرتي لابقى لنا ادمون دانتاس . فقال الخوري مالنا ولهذا المقال فقد فهمتهُ كلهُ وعرفت انك صادق المحبة لادمون ولكن قد سمعتك تذكر بحديثك موسيو موريل فبالله عليك ان تخبرني من هو هذا الرجل لان ادمون لم يخبرني شيئًا عنهُ ولا ذكرهُ لي . قال اعلم يا اقدس الاب ان هذا الرجل كان يحب ادمون وطالما راجع الحكومة في امرهِ وهو مسجون ولما لم يفدهُ ذلك شيئًا صار يحضر الى والد ادمون ويعزيهِ لفقد ولدهِ وقبل ان مات دفع اليهِ كيسًا احمر من الحرير فيهِ دراهم لينفقها على الاطباء وعند الحاجة ولما فرغ الكيس من الدراهم اخذتهُ انا وبقي عندي . فقال ولماذا لم ياخذ الطبيب والد ادمون الى المستشفى ويعتني به هناك اذا كان ضعف حالهِ لا يمكنهُ من القيام باود نفسهِ . قال قد عرض عليهِ ذلك مرارًا فلم يقبل فقال وهل موريل هذا الذي تعني عنهُ لا يزال حيًا . قال نعم ولكن قد افقرهُ الدهر وجارت عليهِ الايام حتى كاد على ما هو مسموع ان يدعي الافلاس لان عليهِ ديون كثيرة وليس عندهُ ما يفي بهِ دينهُ وعلى هذا كنت قلت لك ان الرجل المشكور لابد من ان تعانده الاقدار وتحط قدره لان موريل هذا بعد ان كان من عمد مرسيليا وتجارها المعتبرين اصحاب الخير والبذل اصبح في احتياج عظيم . فقال الخوري وكيف اضحى موريل فقيرًا وما هي الاسباب التي طرأت عليهِ حتى اوصلتهُ لهذه الحالة . قال انهُ يشتغل من نحو ٢٥ سنة في مرسيليا وحالهُ في تحسين وارباح الا هاتين السنتين فقد خسر خسارة باهظة وفقد لهُ خمس مراكب حتى صار على شفير الافلاس ولم يعد احد يعتبرهُ ولا يامنهُ على بارة واحدة . فقال وهل لموريل زوجة واولاد . قال نعم لهُ زوجة كريمة الاخلاق نقية منعكفة على الصلوة واظن ان كثرة صلاتها هي التي اضرت زوجها ولهُ ايضًا ابنة

مخطوبة لكاتبه كان عزم على الاقتران بها غير ان تاجر حال ابيها اجهل اهل الخط ... ارهونه على الاقتران بها خوفاً من لحوق العار به واذا تاكد ابلاس ... تركها وكذلك له ولد بالعسكرية وكلهم في هذه الايام يندون عيشتهم وحظهم فانظر ايها الا ... المقام تصرفات الايام كيف تحط الكرام وترفع اللئام فان دنكلار وريان اللذين ... اثريا وصارا من اصحاب الاملاك والشرف . فاظهر الخوري ... وقال من اين اتصل ... المال حتى أُغتنيا . قال كادروس ان دنكلار بعد ان عمل ما عمل مع ادمون ترك ... واخذ من موسيو موريل كتاب توصية الى احد اصحابه الاغنياء في اسبانيا ... مع احدى المحلات بكفالة اصحاب موسيو موريل بتقديم مآكل العسكرية حيث كانت الحرب ناشبة هناك فنجح نجاحاً لا يوصف وربح ارباحاً عظيمة ولم يكفهِ ذلك بل تزوج ايضاً بارملة من العيال ... فصار صاحب اموال واسم معتبر حتى انهُ صار يدعى الان بالبارون دنكلار وله قصر ... في باريس لا يوجد مثلهُ الا للامراء فضلاً عن الخيول والمركبات وغير ذلك واما ريان ... على الغنى بغير هذه الطريقة فانهُ ادخل نفسهُ في العسكر وكان الجنرال ... من اخصام نابليون فلما رجع نابليون الى فرنسا هرب الجنرال الى بلاد الانكليز ... توفيقاً عظيماً واموالاً مع الجنرال حتى عاد من هناك بعد رجوع لويس الثامن عشر ... كونت ولم ينل هذا الفخر فقط لكنهُ ذهب الى اثينا اثناء الحرب ... مع الدولة العثمانية ودخل في خدمة علي باشا وصاروا هناك يدعونهُ بالكونت مورسرف ... الباشا المذكور واستولى بعد موته على كل اموالهِ وتركتهِ حتى انهُ عند رجوعه الى فرنسا دعي بلقب جنرال لعلمهم انهُ تقلد امارة العسكر في حرب اثينا فاشترى قصراً عظيماً في باريس وفرشهُ من افخر الاثاث ومحل القصر في نمره ٣٨ من شارع هلدر قال الخوري قد عرفت ما كان من امر هؤلاء الذين ... محرومين من هذه الحجر الثمينة لانهم في غنىً عنها ولكن لم اسمعك تذكر لي مرسيداس خطيبة ادمون ولا عرفت ما جرى عليها بعدهُ . قال انها بقيت زمناً ليس بقليل ... رجوع ادمون ... وكثيراً ما كانت تذهب الى موسيو ... فيلفور وترمي ... مستر... اطلاق ... وهو ينتهرها ويزجرها وقد لازمت خدمة والد ادمون ... اوقاتها بالبكاء والنحيب ومضى على ذلك سنتان الى ان ... لانها كثيرها قد قطعت الرجاء من خلاص ادمون ... ان ... وهي تمتنع حتى انها اخيراً سلمت نفسها اليهِ فاخذها زوجة فقال الخوري ... الاقتران قال نعم رايتها ولها ولد ذكر . فارتجف ادمون وقال ولها ولد . ... مرسيداس تقدر ان تقوم بتربية ولد غير ان كادروس لم التفت الى حالته ... نعم ولها ولد

يدعى البيرومون ايام ولاه ذهبت ياسيدي الى دنكلار التمس منه المساعدة والصدقة فانكرني واظهر انه لا يعرفني واما فرنان فانه لم ينكرني بل احسن اليَّ بقليل من الدراهم ولما عرفت الست مرسيداس بامري في مدة وضعت رمت اليَّ بكيس دراهم من الشباك خفيةً عن زوجها فشكرت فضلها لانها تذكرت حالي واحسنت اليَّ اكثر من دنكلار المكار وزوجها فرنان القرنان. فقال الخوري وماذا صار بوكيل الملك دي فيامور. قال لا علم لي بذلك ولا اعرف عنه شيئًا لاني في الاصل لم اكن اعرفه انما الى قول هو بومورل انه هو الذي حكم على ادمون بالسجن وانه الان قد رفع من مرسيليا وسكن باريس برتبة اول مدعٍ عمومي يعني وكيل الملك الاول وهو في غنى ليس باقل من غنى فرنان ودنكلار. فانظر يا ابونا كيف ان هولاء الاشقياء الثلاثة قد نالوا اعظم توفيق وصاروا من اعاظم رجال العالم. فقال الخوري لا يجب ياولدي ان تعاند القدرة فان الله سبحانه وتعالى هو يتصرف بامر عباده كيف شاء وانما نخطئ اذا تكلمنا بمثل هذا الكلام ولا ريب ياولدي ان النعم تاتي من الله بالتتابع واكد ان الله قد بعثني اليك لاكافيك على صداقتك لادمون وهو لا يترك اجر المحسنين فخذ انت هذه الجوهرة لانك استحقيتها وحدك وهي تساوي خمسين الف فرنك واكثر وهذا مبلغ عظيم يمكنك ان تعيش به سعيدًا. فمد كادروس يده ليتناول الجوهرة وهو لا يصدق انها تصل اليه ولما تناولها انبهر وحار وعاد لا يعرف نفسه ان كان في اليقظة او في المنام وصار يتامل فيها ويقلبها فقال له الخوري حيث قد صرت الان مالكًا الجوهرة ولم يعد لي معك شغل كوني قد اتممت وصية ادمون واحب ان ارجع الى كنيستي فارغب منك ان تعطيني كيس الحرير الذي تقدم ذكره من والد ادمون فاحضره له فاخذه ادمون ووضعه في جيبه. ثم قال كادروس لا شك ياسيدي الاب انك في صدق وان زوجتي اخطات في ظنها فاشكر الله الذي جازاني بما هو عندي احسن من غنى دنكلار وفرنان لان ادمون لم ينسني حتى في حال موته وما ذلك الا بالهام الله تعالى ولكن اريد منك ان تخبرني عن اسمك لاشكر فضلك وصداقتك لانه لو كان غيرك لكان طمع في اخذها لنفسه وذلك لانك اخذتها من ادمون على انفراد فلم يعلم بها احدٌ. فقال اسمي الخوري بوسوني

ثم ان الخوري ودع كادروس وركب حصانه وسار وبعد ذلك حضرت العجوز تجر نفسها الى امام زوجها وقالت له قد سمعت كل ما دار بينكما من الكلام حيث كنت مقيمة بجوار المخدع المقيمين فيه فاخبرني هل اعطاك الجوهرة قال نعم وها هي فلما نظرتها اشتد عصبها ونقوت ركابها وصاحت من فرحها ثم قالت له اخبرًا ربما تكون هذه من الزجاج المعتاد لا تساوي شيئًا فارتبك كادروس من كلام زوجته وداخله الريب فاخذها وسار الى سوق الجواهر يعرضها فيها

الفصل الثالث

في ما فعلهُ ادمون من الجميل مع الخواجا موريل

وبعد ان خرج ادمون من عند كادروس توجه قاصداً مرسيليا وهناك غير ملابس الاكليروس ولبس بنطلوناً بنفسجياً وصدرية بيضاء وجعل يتكلم باللغة الانكليزية كانهُ من اقدم رجال الانكليز ثم قصد والي المدينة وبعد ان سلم عليهِ باللغة الانكليزية قال لهُ اعلم ياسيدي اني وكيل محل الخواجات تومسون في رومية وقد اتيت لاشغال خصوصية في مدينتكم مع رجل من التجار اسمهُ موريل ولنا عليهِ مبلغ ثلاثمائة الف فرنك (وكان هذا المبلغ محوَّل لامر البنك فذهب ادمون واخذ الاوراق من البنك ودفع بدلها وكان فهم ذلك من كادروس) وقد حضرت لاقف على احوالهِ وانظر ان كان في محلهِ تأخر فقال الوالي ان هذا الخواجا على ما بلغني وما اعرفهُ عنهُ انهُ في حالة التاخر وعليهِ ديون كثيرة حتى وصل الى شفير الخراب وذلك من عظم ما وقع عليهِ من نكبات الزمان لانهُ تكسر لهُ خمس مراكب مشحونة على اني اشهد انهُ رجل مستقيم صادق وقد اخبرني موسيو دو بوفيل ان لهُ عليهِ مبلغ مائتي الف فرنك والموسيو المذكور هو اخبر بحالتهِ مني فاذا شئت توجه اليهِ فتعرف منهُ ما انت طالب معرفتهُ فشكر الانكليزي الوالي وسار الى موسيو دي بوفيل مدير قلعة شاتوديف وهي القلعة التي كان مسجوناً بها ادمون . ولما وصل اليهِ حياهُ باللغة الانكليزية فاجابهُ بها ثم سالهُ عن موسيو موريل واطال معهُ الكلام في الاستفهام عنهُ . فقال دو بوفيل ان لي مائتا الف فرنك على الخواجا المذكور وقد مضى على اجل الاستحقاق نحو خمسة عشر يوماً وقد كان في هذا النهار عندي واخبرني ان لا مال عندهُ وسالني التاجيل لبينما تحضر مركبهُ فرعون الذي لم يبقَ عندهُ سواها . واذا حصل لهذه المركب امر من الامور فلا اظن ان موريل يقدر على دفع بارة واحدة . فقال الانكليزي يظهر من كلامك ان الخواجا المذكور مزمع على الافلاس . قال بلا شك انهُ قريب من الافلاس . فسكت الانكليزي برهة وهو مطرق الى الارض ثم رفع راسهُ وقال هل يكدرك ذلك ياموسيو بوفيل . فقال كيف لا اهتم ولي عليهِ مبلغ مائتي الف فرنك . قال الانكليزي الذي هو ادمون اتبيعني السندات التي بيدك على الخواجا موريل حيث مرادي ان احيي اموال محلنا فلا ادعهُ يفلس ويخسر المال بالكلية . قال دو بوفيل اهل تخسرني فيها شيئاً قال كلا لان محلنا الشهير لا يطمع بهكذا ربح . فقال وهل تدفع الدراهم حالاً قال نعم . فما صدق موسيو دو بوفيل ان سمع هذا الكلام حتى نهض حالاً واحضر السندات وكتب عليها التحويل ودفعها الى ادمون وادمون اعطاهُ اوراق بنك بالقيمة نفسها فسرَّ دو بوفيل واشترط على ادمون عدم ارجاع التحويل فقبل بهِ ادمون غير انهُ قال لهُ اطلب منك السمسرة قال وما هي السمسرة اتريد بالمائة ستة قال لا اريد دراهم بل اطلب منك الافادة عن شيء زهيد قال وما هو فقال بما انك مدير قلعة شاتوديف

وتعرفهم حالي المسجونين لاسيما وعندك بذلك قيودات وسجلات فالتمس ان تفيدني ماذا حصل بالخوري فاريا لانهُ رباني منذ الصغر حيث كنت يتيمًا ثم عرفت بسجنو وبعدي عنهُ لم يمكني من السوال الى ان اتيت هذه المرة . قال نعم ان هذا الخوري كان مسجونًا باسباب الجنون لانهُ كان يعرض على الحكومة مساعدتهُ على فتح كنوز مدفونة في الارض ويشرط عليها شروطًا سياسية وقد توفي منذ ستة اشهر فقال ادمون كيف تعرف التاريخ ولم تراجعهُ في الدفاتر . قال ان ذلك ترسخ في فكري لانهُ عند موتو حدث في السجن امرٌ غريب وهو ان هذا الخوري كان مجاورًا في سجنو لرجل من حزب نابليون شجاع قوي الباس وقد التمس مني مرارًا ان اخبرهُ عن اسباب سجنو وان اسعى في خلاصو غير اني فهمت من مكاتبات موسيو دي فيلفور انهُ رجل شقي متعزب على الملك ومنقاد الى محبة البونبارتيين . قال الانكليزي هل حققت شقاوتهُ وفحصتهُ . قال اني تأكدت شقاوتهُ من تجاسرهِ على السجان وقد عزم يومًا ما على قتلهِ وكان اسمهُ ادمون دانتاس واعظم شيء اكدت بهِ شقاوتهُ انهُ نقب الحائط وخرج منهُ الى حجرة الخوري فاريا ودام الحال بينهما دون ان يعلم الحارس بذلك ولا السجان الى ان مات الخوري فبدل هذا الشقي جسمهُ بجسم فاريا ولف نفسهُ بالكفن الذي كفن بهِ الخوري وكان يظن انهُ يتخلص بهذه الحيلة عندما يذهب بهِ الى المقبرة غير ان العادة في القلعة عندنا ان الذين يموتون اثناء سجنهم يرمونهم الى البحر وهكذا فعلوا بهِ بعد ان ربطوا في رجلهِ كرة من حديد ثقيلة وفي زعمهم انهُ فاريا وهكذا قد انتهت حياتهُ في اعماق البحر فضحك الانكليزي عند سماع هذه الحادثة واظهر التعجب كانهُ لم يكن هو ادمون صاحب ذلك الفعل . ثم قال للمامور وهل تسجلت في دفتر الحبس هذه القضية لانها من القضايا الغريبة التي يليق ان تنشر في الجرائد . قال نعم واذا شئت اطلعتك على صورة هذه الحادثة وتاريخها . فقال انني اتشوق الى ذلك وقد خطر لي ان اكتبها لجريدة التيمس المشهورة لتكون موضوعًا للتسلي عند كل من يطلع عليها

فاخذهُ المدير الى حجرتهِ الخصوصية ودفع لهُ دفتر السجل مع كافة الاوراق التي تتعلق بهذه الدعوى وقال لهُ انظر فيها واستخلص ما شئت لما ذكرت . ثم تركهُ دو بوفيل واخذ ادمون يفحص في الاوراق ويقراها واحدة فواحدة فوجد جملة عرضحالات مقدمة بخط موسيو موريل يلتمس بها اخراجهُ من السجن ويبين فيها تظلمهُ ووجد انها لم تقدم الى ولاة الامور اذ لم يجد عليها علامة التحويل بل مدفوعة راسًا من المدعي العمومي لتحفظ بين اوراق الدعوى عند مامور القلعة لكنهُ وجد في احدها مصادقة المدعي العمومي واشارتهُ بوجوب تخليد سجنو . وبعد ان اطلع على هذه الامور لفَّ الاوراق التي تلزمهُ معرفتها ووضعها في جيبهِ وجمع الباقية كما كانت وخرج الى المامور فودعهُ وشكر فضلهُ وسار متجهًا من تقلبات الزمان وقلبهُ يشعر بافضال موسيو موريل وعدم تركهِ

له كل هذه المدة وقد عزم على الانتقام من اخصامه واقسم تكرارًا انهُ لا بد من اخذ ثاره كما انهُ افتكر في مكافاة موسيو موريل وانتشاله من تلك المصائب التي هو واقع فيها . لانهُ كان قد قارب الافلاس وباع كافة امتعتهِ ومصاغ عائلته وكامل مقتنياتهِ ولم يسد ذلك قسمًا صغيرًا من المديون التي عليهِ وقد اختفى في بيتهِ عن عيون الناس منتظرًا ان ياتي المركب فرعون من الهند ليبيعهُ مع شحنهِ ويراضي بهِ اصحاب المال وكان هذا آخر ما بقي عندهُ ولا زال ادمون في مسيرهِ حتى وصل الى مكان محلهِ موريل فلم يجده هناك لكنهُ وجد كاتبه عمانوئيل الذي لم يبقَ سواهُ في محلهِ وكان خاطبًا ابنتهُ وقد عزم على التزوج بها انما تاخر عن ذلك لتاخرابيها وارتباكهِ لانهُ كان مستلمًا المحل فسالهُ ادمون عن الخواجا موريل فقال لهُ ليس هو الان هنا وقد حاول ان لا يعلمهُ بمكان وجودهِ خوفًا ان يكون من جملة اصحاب الدين غيران الانكليزي كرر على عمانوئيل الطلب ولزَّ عليهِ في ان يوصلهُ اليهِ فالتزم ان يوصلهُ اليهِ فسار بهِ الى منزلهِ فبينما هما صاعدان في سلم المنزل لاقتهما ابنة موريل وكان اسمها جوليا وهي على جانب عظيم من التعقل والحسن وكانت خطيبة عمانوئيل الكاتب المارّ ذكرها . فقال لها خطيبها اين والدك فان هذا الخواجا الانكليزي يطلب بالحاح مواجهتهُ . فقالت برقة ولطافة ممزوجتان بذل وخوف ما هواسم جنابهِ لاخبره بهِ . فقال لها اني رجل غريب لا يمكن ان يعرفني انما قولي لهُ انهُ وكيل بيت الخواجات تومسون في رومية ولي معهُ اشغال خصوصية فلما سمعت كلامهُ تاكدت انهُ من المطالبين فاعتراها الاصفرار وارتعدت وارتجفت ثم دخلت على والدها واخبرتهُ بهِ فامرها ان تدخل بهِ فسارت اليهِ واحضرتهُ الى والدها فدخل عليهِ وحياهُ فتلقاهُ موريل بالترحيب وقد خفي عليهِ امرهُ ولم يعرفهُ قط وبعد ان جلس ادمون جعل ينظر الى موريل وموريل ينظر اليهِ دون ان يفوه احدهما بكلمة مقداره دقائق ثم قال موريل اخيرًا هل آتٍ جنابك من رومية . قال نعم ومعي سندات مسحوبة عليك بمبلغ اربعمائة الف فرنك وانا وكيل محل الخواجات تومسون وقد حضرت من قبلهِ مخصصًا لقبضها فارتجف موريل وصار يزدرد ريقهُ وقد ارتبك وسال عرقهُ ثم قال بتلجلج الكم عليَّ هذا المبلغ وهو مستحق قال ادمون نعم وهي هذه. اولاً اوراق اشتراها محلنا من الخواجا دي بوفيل مامور قلعة شاتوديف بمبلغ مائتي الف فرنك يستحق نصفها في هذا الشهر والنصف في الشهر القادم . قال نعم لا يمكني الاعتراض على ذلك . قال وهذه اوراق باثنين وثلاثين الف فرنك تستحق في آخر هذا الشهر فقال صحيح ذلك فهل بيدك خلافها . قال نعم وهي الباقي وقد تستحق بعد ذلك . فاطرق موريل الى الارض مفتكرًا وقد كادت الدنيا ان تقع على راسهِ ومن الخجل لم يعرف بماذا يجيبهُ فعند ذلك قال الانكليزي قد فهمت كدرك الان واظن انك لا تقدر على الدفع الان . قال نعم وليكن موكدًا عندك ايها الخواجا ان لي اكثر من ٢٤ سنة اتعاطى التجارة فما اخرت دفع كامبيالة يومًا واحدًا الا ان سوء حظي قد

او فقد ما لي فهلك لي في البحر خمس مراكب مشحونة ببضائع ثمينة ولكن اخبرك انه اذا حضر مركبي فرعون من الهند دفعت لك كامل المبلغ حيث لم يكن عليَّ غير هذه الاربعمائة الف فرنك فابيع مركبي وبيتي واثاثي وادفع لك البقية ولو التزمت بعد ذلك ان اتسول لان ذلك افضل من كسر الاسم واضاعة الناموس ثم اغرورقت عينا موريل بالبكاء وسال دمعه على خده فقال له ادمون بشاشة ولين لما تبكي ياسيدي فحلفا لم يقصد كسر اسمك فاذا كنت غير قادر على الدفع الان فاطلب المهلة التي تريدها فاني اعطيكها . قال يلزمني مهلة شهرين . فقال لا بل ازيدك على ذلك شهرًا فتكون المهلة لثلاث شهور اسيء الي في ٥ ايلول اكون هنا لقبض المبلغ الساعة ١١ قبل الظهر مثل هذا الوقت واذا كان لا يكفيك هذا الاجل فاني اضرب لك غيره قال نعم يكفيني فاذا بقيت حيًا فبعناية الله ومساعدته ادفع لك كامل ما لك عليَّ

وفي تلك الساعة سمع في الدار غوغاء وبكاء فخرج موريل لينظر السبب فلاقته ابنته جوليا وهي تنوح وتندب فسألها ما الخبر . فقالت له قد حضر الملاحون واخبرونا ان المركب فرعون قد غرق بشحنه . فنزل هذا الكلام على موريل اصعب من نزول الصاعقة على راسه وصاح وامصيبتاه يا للضياع والخراب وخسران الاسم الان قد خرب بيتي وزادت بلوتي وتدنس اسمي بين الناس وجعل موريل يبكي وينوح وقد جلس على الكرسي ووضع راسه بين يديه فحضرت زوجته وبنته وصهره يعزونه وكلهم يبكون على مصائبهم فعند ذلك لم يعد ادمون يقدر ان يضبط نفسه من البكاء فبكى ثم جعل يعزي الخواجا موريل ويقويه على الاتكال على الله . ثم حضر ملاحو المركب فوقفوا امام موريل فرفع راسه وسالهم عن سبب فقدان المركب فاجابه واحد منهم اسمه بناوب اعلم ان رئيس المركب قد مرض ولذلك لم يمكنه ان يحضر اليك ليخبرك بالقضية . فقال موريل تقدم انت واخبرني فاخرج النوتي بلوب مضغة من الدخان كانت في فمه واعطاها الى احد رفقائه وتقدم امام الخواجا موريل وقال له اعلم يامولاي اننا كنا سائرين بين الجزيرة البيضاء وجزيرة بوبادروس وكانت الريح في غاية الموافقة وبقينا في اعتدال مقدار ثمانية ايام وبعد ذلك هبت علينا ريح قوية فارتبك الرئيس وامرنا بلم الشراع غير اننا قبل ان نتم العمل سمعنا احد النوتية يقول ان المركب قد فتحت ودخلتها المياه فاسرعنا بتشغيل الطلومبات الا ان دخول الماء كان اكثر مما كنا نخرجه بالطلومبات على ان القبطان اخذ بيده سيفًا وصاح كل من ترك شغله او فتر دقيقة قتلته وكل ذلك كان عبثًا لانه بوقت قريب امتلات المركب ماء واخذت في النزول فلما راى القبطان ان لا سبيل الى خلاص المركب عول على خلاص الارواح فامرنا ان ننزل في القارب فنزلناه ونزلت المركب بما فيها الى الاعماق وعدنا نحن في القارب نجذف وقد قاسينا الاهوال ولم يكن احد منا يامل النجاة الى ان ارسل الله لنا مركبًا سائرة بعد ثلاثة ايام من غرق المركب فاخذتنا وحضرنا

الى هنا . ثم التفت بنلوب الى رفقائهِ وقال لهم اما هكذا كانت الحال فقالوا الجميع نعم وقد ارتفعت اصواتهم بالبكاء فقال موريل لكاتبهِ عمانوئيل ادفع للنوتيين اجرتهم واصرفهم فامتنع النوتيون عن قبول الاجرة مع علمهم بحالة موريل فاصرَّ موريل على قبولها فصرفها لهم الكاتب ثم خرجت زوجتهُ وابنتهُ جوليا بعد ان اشارت الى الانكليزي ان يعاملهُ باللطف واللين فتبسم واشار لها براسهِ انهُ يفعل كل ما يرضيها . ثم التفت موريل الى الانكليزي الذي هو ادمون وقال لهُ انك شاهدت ياسيدي كل ما وقع عليَّ ولم يعد لي رجاء الا بمعاملتك لي معاملة الاحسان فقال الانكليزي اتكل على الله فلا بد من انهُ يساعدك وينشلك من مصائبك واما انا فقد امهلتك ٣ اشهرٍ تاركًا لك المطل وفي ٥ ايلول كما اخبرتك اكون هنا والامل تتسهل الامور ويحصل الفرج قريبًا ثم ودعهُ الانكليزي وخرج وقبل ان ينزل في السلم صادفتهُ جوليا بدموع الرجاء ونظرت اليهِ بانكسارٍ وقالت لهُ سيدي . . . . فدفقت الدموع من عينيها فانجرح لها قلب ادمون وتكدر من كل هذه المصائب التي وقعت على هذه العائلة الكريمة . ثم قال لها انهُ لا بد من الفرج فاخبرك انهُ ذات يومٍ سيرد اليك تحريرٌ بامضاء السندباد البحري وبهذا التحرير خلاصكم من كل ما انتم بهِ بشرط ان تعملي كامل ما هو موجود ضمنهُ فوعدتهُ انها تفعل كل ما تومر بهِ اذا كان لا يمس شرفها فقال لها اذًا لا بد من ان يحسن حالكم وتتزوجين بعمانوئيل . فاحمرت وجنتا جوليا خجلاً وحياء . ثم ودعها ونزل في السلم الى فسحة الدار فوجد بنلوبًا ورفقاءهُ قد قبضوا الماهية فقال لهُ اتبعني يابنلوب فتبعهُ فلندعهما سائرين الواحد وراء الآخر ولنرجع الى الخواجا موريل فانهُ لما راى من الانكليزي ما راى وشاهد منهُ تلك المعاملة اللينة والرفق والصبر عليهِ بهكذا مبلغ مدة ٣ اشهر دون فائض ارتبك وبقي مفكرًا فكان تارةً يقول انهُ ما فعل ذلك الا خوفًا من ضياع المبلغ وطورًا يقول لا بد من غايات خصوصية في ضميرهِ واحيانًا يقول ربما ان الله الهمهُ الى ذلك اذ في عزمهِ ان ياتيني بالفرج وان الله اذا اراد فعل شيء استخدم اعظم الوسائط لتتميم اقل الاشياء . وكان مسرورًا جدًّا لا سيما عند ما يتصور في فكرهِ ان كثيرًا من التجار اعداءهُ ينتظرون ظهور افلاسهِ شماتةً بهِ ويطلبون تاخيرهُ في الصباح والمساء ثم ترك الامر لله وقال مهما يشاء الله فليفعل ثم حضر اليهِ رئيس مركبهِ فدفع ما لهُ عليهِ من الدين ولم يسألهُ عن غرق المركب كل هذا واكثر التجار توقفت عن ان تامنهُ على درهمٍ واحد وهم ينتظرون افلاسهُ في كل يوم ولا زال حتى مضى شهر تموز وآب ولم تتسهل على موريل الاسباب من باب ولا وصل اليهِ دينار مما كان ينتظرهُ وقد وقع في ارتباك وحيرة اعظم مما كان فيهِ في الاول لا سيما وقد ضاق عليهِ المعاش ولم يعد عندهُ ما يصرفهُ في بيتهِ . ثم خطر لهُ ان يذهب الى باريس ويطلب مساعدة دنكلار لان لهُ عليهِ فضل عظيم وهو سبب غناهُ كما تقدم في كلام كادروس للخوري بوسوني ولا سيما ان دنكلار كان عندهُ في المركب فرعون كاتبًا . وعندما وصل اليهِ شرح

له حالة وطلب منه المساعدة فاعرض دنكلار ولم يلتفت الى طلبه ولا تذكر ما له عليه من الجميل والمعروف فرجع خائبًا منكوسًا وقد زادت عليه الهموم والاكدار وجعل كفيه دار يصفق بيديه وقد تحقق عنده خراب بيته لان الاجل المضروب قد قارب الانتهاء ودخل شهر ايلول . فلما نظرت ابنته جوليا حالة الخائف عليه من الجنون فارسلت حالاً تحريرًا الى اخيها مكسيمليان النسيب كان في العسكرية وقتئذٍ وكان عمرهُ نحو ٢٢ سنة تخبره بكل ما طرأ عليهم وتطلب منه ان يستعفي من ماموريته حالاً ويحضر ليكون عند ابيه . فبعد ما وصل تحرير جوليا الى مكسيمليان استأذن حالاً وحضر الى مرسيليا فوجدا اباه في قهر وغم فسلم عليه وجعل يسليه وطلب منه ان يقوى وينظر في تصفية محله فقام موريل واخذ دفاترهُ ونظر في موجوداته فوجدان ما هو باقٍ في ملكه نحو سبعة الاف فرنك . وبعد ذلك دخل حجرتهُ الخصوصية واغلق عليه الباب فلم يجاسر احد ان يدخل عليه كل ذلك اليوم وفي اليوم الثاني قصدت ابنته جوليا ان تدخل اليه فلم يسمح لها وكان كل من في البيت في هدوءٍ وسكينة من جري الحزن الذي كان واقعًا عليهم وكانوا يخافون ان يدهم الخواجه موريل عارض يذهب بعقله او بروحه . واما موريل فانه كان في اشد ارتباك وكآبة وكان يعد الدقائق والساعات ويرى ان كل دقيقة تمرُّ وتقرب ذلك الوقت الموجل فيه دفع ما هو مستحق عليه اكبر عدوٍ يطلب الانتقام منه ويعجل عليه بالمصائب والخراب . وفي صباح ٥ ايلول كانت جوليا تحاول الدخول على ابيها وفي نيتها ان تشجعه وتطلب منه ان يعلق امله بالله وان لا يقطع رجاءهُ من مساعدة الرجل الانكليزي فانه ربما كان يوجل له اجلاً اخر غير انها لم تقدر ان تدخل على ابيها فرجعت وعند ذلك ورد اليها تحرير ملخصهُ

يا ايها قد وعدتني بالانقياد الى ما اطلب منك لاجل خلاص ابيك من كسر اسمه والافراج عنه فاذهبي الى بلهان في بيت بسكته نمرة ١٥ فاطلبي مفتاح البيت من البوابة الموجودة هناك واياكِ ان ترتاعي او تخافي من امرٍ او تظني سوءًا فان المكان خالٍ ليس فيه احدٌ وبعد ان تصعدي الى الطابق الخامس ادخلي المخدع تجدي عند ركن الداخون كيسًا من الحرير الاحمر فخذيه حالاً الى والدك فان فيه نفعهُ وخلاصهُ من ديونه واجتهدي ان يكون عندهُ قبل الساعة ١١ واذا تاخرت عن كل ما اخبرتك به فانك تقودين اباكِ الى الهلاك بدلاً من السعادة والفرح والسلام

(السندباد البحري)

فلما قرات جوليا هذا التحرير صفقت من الفرح وكاد عقلها ان يطير ونظرت يمينًا وشمالاً لترى الذي ناولها التحرير فلم تقف له على خبر وجعلت تراجع قراءة التحرير فوقع نظرها على حاشية مكتوب فيها (اذهبي وحدك ولا تصحبي برفقك احدًا) فعند ذلك اطرقت متفكرة وخافت من ان يكون ذلك مكيدة لصيدها من شاب ماكر ولما طرقها هذا الفكر قصدت في الحال خطيبها عمانوئيل

بالاستشارة في امر التحرير فاشار عليها ان تتوجه وحدها فطلبت اليه ان يصحبها فقال اني اسير معك وانتظرك خارج المخدع لانه لا يمكن للبوابة ان تعطيك المفتاح اذا صحبت احدًا غير اني احميك من الخارج بحيث اكون قريبًا منك اسمع صوتك فاذهبي فان والدك في هذا النهار الساعة ١١ تظهر افلاسه ويتضح للناس اضاعة شرفه فربما يكون كلام هذا التحرير صحيح فيخلص من شماتة اعدائه . ثم ذهبا معًا واما مكسيمليان شقيقها فانه دخل جبرًا على ابيه لينظر ما هذا التحجب فوجده عازمًا على قتل نفسه وقد احضر طبنجة مملوءة من الرصاص والبارود فارمى نفسه عليه وقال له ما هذا يا ابي قال اني اريد ان اموت قبل ان يشهر كسراسي وتفضحني الناس فلا اريد ان يعاينني احد في ذلك فقال مكسيمليان اذا كنت عازمًا على ذلك فناولني الطبنجة لاقتل نفسي قبلك فانه خير لي من الحياة بعدك وابقى معيرة عند الناس بقتلك . فقال موريل لا يجب ان تفعل انت ذلك بل انه ضروري لي . ثم هجم مكسيمليان على المائدة ليتناول الطبنجة فسبقه والده واخذها بيده وقال له اصغ يا ولدي وكن حكيمًا فاذا تركت لك الحزن فهو افضل من ان اترك لك العار والفضيحة وكيف يصير باختك ووالدتك اذا صار لك امرٌ من الامور فاذهب الى اختك ووالدتك فان موتي لا بد منه فخير ان اموت وحدي من ان تموت معي ظلمًا . ثم ترك مكسيمليان اباه وخرج باكيًا ناعيًا يندب حظه وحظ ابيه ويطلب الفرج من الله سبحانه وتعالى . ثم دعا موريل الخادم وقال له عند ما تشاهد الرجل الانكليزي وكيل محل الخواجات تومسون فاسرع واخبرني حالاً . وبعد ان خرج الخادم استعد موريل للموت فركع وصلى صلاة الوداع ثم قام فتذكر كسراسيه فتشجع واخذ الطبنجة في يده ونظر الى الساعة فوجدها قد قاربت ان تدنو من الميعاد فوضع الطبنجة قرب فيه وبات ينتظر دخول خادمه وكانت اعضاؤه ترتجف ويتصور الموت امامه باغرب هيئة وكلما عول على رفع يده وبالعدول عن ما هو فيه يتذكر في ماذا يجيب الانكليزي اذا حضر لقبض الدراهم فيقوى عزمه ويفضل الموت ويقول في نفسه ان موتي بحضور الغريم اعظم عذر لديه وبينما هو على تلك الحالة والوسواس تتلاعب به بين اليأس والرجاء واذا بابنته جوليا دخلت عليه وصاحت من ملء راسها . الملك البشرى يا ابتِ الملك البشرى فقد جاء الفرج واتت السعادة فالملك البشرى . فليتصور القاري هنا حالة موريل والدهشة التي وقع فيها فانه شخص الى بنته بتعجب وكان يريد ان يسالها عن معنى كلامها غير ان فرحه الذي وقع عليه بغتة دون ان يعرف حقيقة ذلك الفرج الذي كانت تنادي به ابنته جعله ان يقف باهتًا ولسانه قد لصق بحلقه وعيناه قد شخصتا اليها تنتظران التوضيح منها . واما جوليا فانها ارتمت بين يديه وطرحت على الطاولة امامه كيسًا من الحرير الاحمر . وهذا زاده حيرةً ودهشة لانه نظر الى الكيس الاحمر فعرفه انه كيسه الذي ارسل فيه دراهم الى ابي ادمون من نحو اكثر من ١٥ سنة . ثم ترك الطبنجة من يده واخذ الكيس ففتحه فوجد فيه جميع الاوراق التي كانت عليه بيد الانكليزي ثم

نظر مكتوبًا عليها هذه الكلمات (قد وصل ليدنا المبلغ المدون قيمته اعلاه من الخواجه موريل) وتحتها امضا محل الخواجات تومسون فابتهج وكاد يطير من الفرح ثم نظر فراى ورقة ملفوفة فحلها وجد فيها حجرًا من الماس كبيرًا ثمينًا ووجد مكتوبًا بالورقة (هذه اعانة لزفاف جوليا على عمانوئيل) ثم نظر ورقة تحويل على البنك بقيمة مائة الف فرنك بامضا محل تومسون ايضًا فنظر الخواجه موريل الى هذا الفرج القريب نظر المتعجب وجعل ينظر في الاوراق من واحدة الى اخرى وهو يتفكر من اين حصل ذلك ومن الذي فعل هذا الجميل الذي لا يمكن ان يكون من اخ او ابن غيور ثم جعل يعرك باصابعه عينيه لينظر هل ذلك باليقظة ام بالمنام ولما تحقق انه باليقظة جعل ينظر تارة الى الكيس وطورًا الى ابنته جوليا . ثم انطلق لسانه فقال لها ما هذا الحال يا جوليا . فاخبرته بالتحرير الذي ورد لها من السندباد البحري وكيف توجهت مع خطيبها فوجدت الكيس موضوعًا في قاعة الداخون وان كل ذلك كان باشارة الرجل الانكليزي وكيل محل تومسون المشهور فلما تحقق موريل كلامها وفهم انه تخلص من الدين وتحسنت حالة صفق من الفرح . وقال قد عرفت . . . . . ثم قطع كلامه ورفع الكيس بيده وقال هذه اكبر علامة . . . . نعم . . . . وفي تلك الساعة دخل عليه الكاتب عمانوئيل وقال له قم يا سيدي واسجد لربك شكرًا له على انعامه . فقال له على ما ولاي شيء قال لا اقول لك الا اذا فعلت ما قلته لك فركع موريل شاكرًا العزة الالهية ثم قال قل يا عمانوئيل . قال يا سيدي قد نجت المركب فرعون من الغرق وانت الى المينا مشحونة ثم دخل ابنه مكسيمليان وهناه بالفرج فطار عقل موريل وفرح فرحًا لا يوصف ثم قام بالحال وذهب الى المينا فلاقاه الملاحون والرئيس وهناوه سلامة المركب واجتمع حوله الناس من اصحابه ومعارفه وكل يهنئه تهنئة ودادية ويظهر فرحه بذلك . واما موريل فانه تعجب غاية العجب وعرف ان نجاة مركبه من الغرق امر مستحيل وان ذلك اصطناع بعض اصحابه . وكان بين الناس رجل عليه سمة اللطف والوقار فدنا من موريل وهناه برفع الضر ودفع الضرر . وقال له اشكر الله الذي انعم عليك بخلاصك مما كنت فيه وارجع اليك مركبك التي كنت قطعت الرجاء واليأس منها وخلصك من ديونك التي كنت واقع منها في هم عظيم وما ذلك الا لانك محب لخير الناس لا تفتر عن عمل المعروف والاحسان وهكذا يجازي الله المحسنين . وكان هذا الرجل هو ادمون دانتاس صاحب هذه القصة وهو الذي تسبب بارجاع المركب الى موريل . وذلك انه بعد ان ذهب من بيت موريل وهو لابس ملابس انكليزي كما تقدم وسار معه بتلوب الملاح فطلب منه ان يحضر له الرئيس فحضر مع كامل الملاحين فقال لهم اريد منكم ان تذهبوا مع الرئيس يعقوب صديقي وبمعرفته اشتروا مركبًا نظير المركب فرعون التي غرقت واذهبوا بها الى الهند فاشحنوها دودة واحضروها الى هنا بشرط ان يكون حضوركم في ٥ ايلول وهكذا صار فان المركب حضرت مشحونة في نفس اليوم

المشروط فيه الحضور فانسرّ ادمون ودفع لهم مالاً جزيلاً اجرتهم وامرهم ان يخبروا موريلاً بان مركبهما من الغرق وذلك خوفًا عليه من الكدر والغيظ

ولما رأى الخواجه موريل سرور هذا الرجل وتهنئته له على غير معرفة تعجب منه وتحير من امره وسأله عن نفسه بقوله له من انت ايها الخل الودود فقد اشغلني امرك. فقال انا الذي غمرتني بمعروفك وافضت عليّ كرمك واحسانك ولم تنسني وانا في اشد الضيق واعظم المصائب وما زادني فيك ولوعًا وجعلني ان اقدم اليك ما عزّ وهان انعطافك على والدي في حال مرضه وقد تركه الاحباب والاصحاب الاّ انت فانك لم تتخلَّ عنه حتى انك قبل وفاته اسعفته بدراهم وضعتها في كيسك الحرير الاحمر فانا هو وانا ايضًا الرجل الانكليزي وكيل محل الخواجات توسون وانا السند باد البحري واني اشكر الله الذي قدرني على مكافاتك واما اولئك الاشقياء الذين رموني بتلك المصيبة في اعماق السجون فاقسم بالله لا بد من الانتقام منهم واخذ تاري وتار والدي والان فارجوك ان تدعو لي لاني ربما لا اراك فيما بعد واذا كنت عرفتني فاطلب اليك كتم امري. خاطرك يا خواجه موريل. ثم اسرع ونزل في البحر وصعد مع صاحبه يعقوب الى السفينة ولم يترك فرصة لموريل ان يحاوبه وسافرت به السفينة قاصدة ايطاليا فاقام فيها اياماً ثم سافر الى القسطنطينية فباع فيها كل ما كان معه من الحجارة الكريمة ولم يمكنه ان يذهب بكل ذلك المال الى اوربا فسافر الى البلاد المشرقية ومكث فيها زمانًا طويلاً ثم رجع الى ايطاليا فاشترى من الحكومة جزيرة مونتوكريستو وقام فيها مدة لاصلاح المغارة التي اخرج منها الذخائر ثم احضر الاواني والسجادات وكامل ما كان معه من الاثاث في المشرق ففرش بها المغارة حتى صارت كانها اعظم القصور ولقب نفسه منذ ذلك الحين الكونت دي مونتوكريستو وصار من ذلك الوقت يجول في المدائن والابحار يبحث عن اعدائه ويرجع الى تلك الجزيرة المحبوبة عنده وكان ذلك دابه زمانًا طويلاً

الفصل الرابع

في مصادقة ادمون البير بن مرسيداس

في ذات يوم من ذلك الزمان خرج من فرنسا شابان بقصد السياحة والفرجة على البلاد المجاورة وكان اسم احدهما البير والاخر فرنند فذهبا الى ايطاليا ومنها ذهب البير الى رومية واتفق مع رفيقه ان يلاقيه هناك فصار فرنند يجول في جبال رومية من مكان الى اخر ثم نزل في احدى المراكب قاصداً الفرجة في البحار فاختلفت معهم الرياح وقذفتهم الى جهة جزيرة مونتوكريستو فلاحت لهم منها نار مشبوبة فقال فرنند لرئيس المركب ما هذه النار التي تضرم في هذه الجزيرة المقفرة. قال هي نار اللصوص الذين يهربون البضائع فانهم طالما يقصدون هذا المكان ينتظرون المراكب الحاملة البضائع النفيسة فياخذون اجرة عليها ويهربونها من رسم الكمرك والاّ فنكون من النيران التي تضرمها

الجبل في المنار . ثم قال الرئيس لفرنند ان مرادي اذهب الى الجزيرة واتيكم بالخبر الصحيح ثم نزل بهم ووصل الى البر فوجد سبعة رجال حول النار وهم يشوون عنزًا فطلب اليهم ان يسمحوا للرفاق الباقين بنوتيه ومن معه في المركب الى الجزيرة فسمحوا له فرجع الى المركب وحكى لفرنند ما صادفه .
ثم نزل الرئيس بملاحيه الى البر ومعهم فرنند فسلموا على اولئك الاشخاص وجلسوا بقربهم وكانوا يشوون عنزًا فشم فرنند رائحة العنز المشوي وتاقت نفسه الى الاكل منه فحكى الى الرئيس فاحضر له من الطيور والخبز فلم تطلب نفسه ذلك وزاد اشتهاؤه العنز وطلب من رئيس المركب ان يسأل جماعة الجزيرة ان يبدلوا له لحم الطيور بقطعة من لحم العنز فذهب الرئيس اليهم و بعد ان اخبرهم برهة رجع فارغًا فلما نظره فرنند قال له هل لم يقبلوا ان يسمحوا بقطعة من اللحم فقال ليس الامر كما تظن فان رئيس اولئك القوم رجل كريم جدًا لين العريكة سهل الطباع ولما طلبت منه اللحم والخبز بعد نفسك اليه هش وبش وطلب ان تكون ضيفه هذا اليوم الا انه اشترط ان تربط عينيك وتقاد الى محل اقامته كي لا ترى الطريق وعند عودتك يفعلون معك كذلك فاندهش فرنند من هذا الكلام وقال له هل هذا من قبيل الهزل ام الجد . قال ان كل ما اخبرتك به هو حقيقي فانه هذا الرجل مقيم في مغارة تحت الارض من هذه الجزيرة مع ارفاقه واسمه السندباد البحري .
فزاد ذهول فرنند وقال له وهل نظرته قبل الان . قال نظرته جملة مرار . قال اين محله الاعتيادي قال ليس يعرف له مقر ولا يعرف احد اين يقيم . قال اذًا كيف هو . قال الان تراه وتعرفه بما يمكن ان تعرفه . قال اتعرف باب منزله قال لا اعرفه على انه طالما بحث عليه كثيرون فلم يتوصل احد الى ذلك وهذا الذي اخبرتك به هو ما كنت اسمعه عنه اما لم انظره منه ولا اعرف اكثر مما عرفت فقال فرنند في نفسه ان هذا امر عجيب وقد كاد يترجح عندي صحة وقوع حكايات الف ليلة وليلة لو لم اكن موكدًا ان ذلك من الخرافات . و بعد ان افتكر فرنند برهة في هذا الامر وهو مطرق الى الارض رفع راسه وقال قد قبلت بالشرط ثم ربط عينيه بيديه وسار الى ان اقبل على اولئك فتلقوه بالترحيب ومشوا به ولم يمش الا القليل حتى نزلوا به المغارة فتلقاه صاحبها بالترحيب والاكرام وبعد ان جلس امره ان يحل رباط عينيه فحلها ونظر الى ما حوله فوجد مكانًا محفوفًا بالترتيب والنظام مفروشًا بالمفروشات الحريرية وعلى ارضه البسط العجمية وفيه الكراسي الشامية فكانه في ترتيبه مع صغره من اعظم قصور الملوك والامراء و بعد ان امعن بالمحل نظر الى صاحبه فوجده رجلاً جليلاً مهابًا ذا لحية سوداء لابسًا من ملابس اهل الشرق وعلى راسه طربوش من عمل المغاربة ممنطق في وسطه بمنطقة مصرية فتعجب منه وقد انبهر مما شاهد وارتبك في امره ثم حيى صاحب المحل وقال له ارجوك ياسيدي ان تسمح لي بالذهاب فقد كفاني ما شاهدت واخاف ان تذهب رفاقي وابقى وحدي . فتبسم صاحب المنزل في وجهه وقال له لا يمكن ان تذهب الان وارجوك المعذرة فيما قد ثقلت به عليك

بانقيادك الى هذا المحل وانت مربط العينين لاني قد صممت ان لا ادع احدًا يعرف محلي . ثم نادى بالخادم وامرهُ ان يحضر الطعام وكان اسم خادمهِ هذا علي وهو عبد اسود لابس ثوبًا ابيض وسناقي بالكلام عنهُ في غير هذا المحل . ثم قال صاحب المنزل اريد منك ياسيدي ان تخبرني باسمك لانك شرفتني على غير معرفة وصار لك عليَّ الفضل والجميل ولا بد ان نجتمع في غير هذا المكان وتكون صحبتنا الى امدٍ طويل واما اسمي انا فهو السندباد البحري فاجابهُ فرنند وقد علم ان قصدهُ المحاولة واخفاء اسمهِ وانا اسمي ايضًا السندباد البري وهذا الاسم طالما افتخرت بهِ بين الاقران وباجتماعي بك الان ارى نفسي كانني ببغداد في زمن خلافة هارون الرشيد . فضحك السندباد البحري من كلامهِ . ثم قاما الى محل الطعام فوجد فرنند من الآنية الصينية والبلورية ما يدهش النظر فضلاً عن الانية الذهبية والفضية المنقوشة بعمل الشرق ومرسوم عليها اعظم الحوادث التاريخية فصرف وقتًا يتفرج على تلك الانية وبعد ان فرغا من الاكل قاما الى حجرة المدام وفرنند يفرك عينيهِ ليحقق نفسهُ ان كان في يقظة او في منام لا سيما انهُ دان يتعجب بالاكثر من علي العبد الاسود فانهُ فضلاً عن غرابة هيئتهِ وملابسهِ كان يراهُ ساكتًا يسرع بانفاذ امر سيدهِ دون ان يفوهُ بكلمة ولما استقر بهِ الجلوس قال للسندباد ان كل ما رايت هو عجيب واعجب من ذلك ما اراهُ في عبدك عليّ الاسود فانهُ يظهر لي انهُ امين جدًّا على قضاء مصالحك دون ان اسمعهُ يتكلم بكلمةٍ فقال السندباد البحري ان لهذا العبد قصة وهو انهُ كان خادمًا عند احد امراء تونس فدخل ذات يوم بالصدفة الى دار حريمهِ واكتشف على الحريم فبلغ ذلك سيدهُ فامر ان يعذب بقطع لسانهِ وقوائمهِ بالتتابع اي انهُ في كل يوم يقطع عضوٌ واحد فبلغني هذا الخبر فتالمت من هذه الحالة وقصدت خلاصهُ من سيدهِ فاهديتهُ بندقية وطلبت ان يسمح عنهُ ويهبني اياه فابى فزدتهُ فوق ذلك خنجرًا موشحًا بالذهب مجوهرًا وتعهدت لسيدهِ ان لا يقيم في بلدهِ فرضي بذلك وكان قد قطع لسانهُ فصار ابكمًا وكل ما نراه من امانتهِ علامة منهُ بانهُ شاكر لعملي لهُ وانا مسرور جدًّا منهُ لانهُ يكتم الاسرار ولا يقدر ان يتكلم بما يشاهدهُ وباثناء ذلك حضر عليٌّ بالقهوة وبصحن فيهِ معجون فقال ادمون ما هذا قال هذا معجون اذا اكلهُ انسان يرى نفسهُ في اعلى درجة من المجد ويعتز كانهُ احد اكاسرة الزمان او قياصرته فشرب فرنند القهوة واخذ قطعة من المعجون فلم تستقر في جوفهِ حتى هجم عليهِ النعاس فنام وتلاعبت بهِ الاحلام وصار يرى تصورات عجيبة واموراً غريبة الاّ انهُ لما استيقظ من نومهِ وجد نفسهُ على شاطىء البحر وحوله رئيس المركب ونوتيهِ . وبعد ان تفرس برهة برئيس المركب متعجبًا ومندهلاً مما طرأ عليهِ قال لهُ رئيس المركب ان السندباد البحري قد سافر الى بلادنا لاسباب ضرورية وقد اضطر الى ان يعمل ما عمل وطلب مني ان تعذرهُ ولا تواخذه على عملهِ . فبقي فرنند باهتًا يتامل فيما حولهُ ويقابل بين هذه الحالة والحالة التي كان فيها في المغارة وما كان يراه في احلامهِ حتى كاد يجن . فقال

ة الرئيس لا ترتبك ولا تنذهل فان كنت لا تصدق فهذا مركب السندباد البحري سائرة فخذ النظارة وانظر اليها فتراه فيها فاخذ النظارة ونظر الى المركب فوجد السندباد في موخرها وبيده النظارة ايضًا ينظر فيها نحوهُ فاشار كلٌّ منهما بمنديلهِ علامة للوداع وبعد قليل طلب فرنند ان يفتشوا في الجزيرة على محل المغارة فطافوا فيها وفتشوا في كل نواحيها فلم يروا لها اثرًا ولما اعياهم الحال رجعوا وهم مكدرون ولا سيما فرنند فانهُ اصبح مرتبك الافكار مما شاهد وسمع ولولا رغبتهُ في سرعة السفر الى ايطاليا لما بارح جزيرة مونتوكريستو قبل الوقوف على تفاصيل تلك الحوادث التي مرَّت عليهِ كضرب من الاحلام. وكان فرنند قد اتفق مع البير رفيقهِ ان يجتمعوا برومية ليصرفا العيد فيها. فخوفًا من ان ينتظرهُ البير طلب الى الرئيس اخيرًا ان يسافر بهِ الى ايطاليا فنزل المركب مع النوتيين وسارت بهم. وكان فرنند في كل سفره لا يفتر من السوال عن رجل جزيرة مونتوكريستو وهو السندباد البحري فلم يقف لهُ على حقيقة واضحة الاَّ ان البعض كانوا يقولون لهُ ان هذا الرجل يجول في البحار واليابسة يفتش على المظلومين والمتهمين فيبذل وسعهُ في تخليصهم ودفع الاذى عنهم ويجود بمالهِ واوقاتهِ في هذا السبيل

ولما دخل فرنند رومية التقى بصاحبهِ البير في احدى اللوكندات المشهورة وبعد ان سلما على بعضهما حكى كلٌّ منهما ما صادف في سفرهِ وكان العيد قد قرب فاعتمدا على حضور العيد في رومية وبعد ذلك يرجعان الى بلدهما. ثم طلبا من صاحب اللوكندة ان يحضر لهما مركبة وكان بفكر البير ان يخرج الى ضواحي المدينة ويتفرج على غاباتها واجامها فاستاجر صاحب اللوكندة مركبة باجرة عالية لان كثرة الزائرين الى رومية في زمن العيد تجعل المركبات في طلب فوق العادة فتزيد اجورها. ولما عزم البير على الركوب طلب من فرنند ان يرافقهُ فاعتذر لتعب جسمهِ واذ ذاك سالهُ صاحب اللوكندة الى اي جهة يريد ان يقصد فاخبرهُ بعزمهِ فقال لهُ اني انصحك ان لا تذهب خارج المدينة لان قوم من اللصوص يطوفون دائمًا هناك فيسلبون ابناء السبيل ولا يقدر احد عليهم ولا سيما ان لهم رئيس يدعى لويجي فامبيا وهو داهية دهماء وبلية عظمى ولهُ حديث احب ان احكيهُ لك لترجع عن عزمك وتحفظ دمك ومالك وهو ان لويجي هذا رئيس اللصوص كان في اول عمره يرعى اغنام عند احد الامراء وكانت ترافقهُ في مهنتهِ ابنة نظيره فشب شيئًا فشيئًا وشب معهُ هوى هذه الابنة وكانت على جانب من الحسن والرقة وكانت هي تحبهُ ايضًا فكان يوسع في جنات البر ليتلى من مسامرتها ويلتذ بمعاشرتها. فذات يوم بينما كانا جالسان في ظل شجرة واذا بذئب قد هجم على الغنم وقصد ان يفترس واحدة منها فصاحت بهِ الابنة وطلبت منهُ خلاص الغنم فنهض كالاسد المفترس وصرع الذئب وحيث لم يكن معهُ سلاح يقتلهُ بهِ فلت الذئب وطلب البر فرجع لويجي يعض على معاصمهِ من الغيظ حيث لم يتمكن من قتل خصمهِ لا سيما ومحبوبتهُ تراه ولما رجع الى سيده سالهُ في ان

يعطيهُ سلاحًا وحكى لهُ واقعة الذئب فاعطاه سيفًا وخنجرًا وفردًا لاطلاق الرصاص فاخذها وصار يترصد الذئب وكان عمرهُ اذ ذاك ١٧ سنة وعمر الابنة ١٥ سنة وكانا قد تعاهدا على التزوج بعضهما ولا زالا الى ان كان ذات يوم رجع الذئب الى الغنم وقصد الايقاع بها فادركهُ لويجي وصوب الفرد اليهِ واطلق الرصاص فارداهُ قتيلاً فقبلتهُ محبوبتهُ وشكرتهُ على فعلهِ وهذا الذي كان يزيده اقدامًا ونشاطًا . وفي المساء حمل الذئب الى سيده فشهد لهُ بالشجاعة ومن ذلك الوقت صار يشار اليهِ بالايادي ويمدح على بسالتهِ وكان يوجد في تلك الجهات لصوص كثيرون فصار يتطرف نحوهم غير مكترث بهم الى ان وقع بهِ يومًا رئيسهم فلم يهتم بهِ لما راهُ من ضعف حالهِ الاَّ انهُ لما شاهد الصبية التي معهُ ورأى ما هي عليهِ من الحسن والجمال مال اليها وقصد اخذها فدنا منها وصاح بها ان تقرب منهُ ليردفها خلفهُ فرمت نفسها على لويجي وطلبت منهُ المساعدة فاحمرت عيناه وطار الشرار منها وقال لرئيس اللصوص لما هذه الجسارة ايها النذل الجبان فضحك منهُ وقال لهُ اهل هي نسيبتك قال هي خطيبتي وحبيبتي وافدي نفسي في خلاصها . فقال قد كنت اظن انها شقيقتك فافتكرت ان اتنازل عنها وحيث تأكدت انها خطيبتك صار لا بد لي من اخذها لانك راعٍ ولا يليق بك ان تحوز على صبية كهذه وانا كفوءٌ لها . وفي الحال اطلق لويجي عليهِ الرصاص فاخطأهُ ففنز اللص عن جواده وقبض عليهِ بيده وقصد ان يضربهُ بسكين فسبقهُ لويجي ورفعهُ بين يديهِ وضرب بهِ الارض فتمنعهُ ثم هجم عليهِ وذبحهُ وبعد ذلك تهلل وجهه بالفرح وسرت منهُ خطيبتهُ كل السرور . ثم انهُ حمل جسد خصمهِ وقصد قومًا يعرفهم بقرب المدينة وحكى لهم واقعة امرهِ واخبرهم ان في عزمهِ يطلع الحكومة على ذلك . فقال لهُ احد معارفهِ لا تفعل يا فامبيا فان هذا لهُ شراكة مع بعض رجال الحكومة فكل ما كان يسلبهُ يقتسمونهُ بينهم فبموتهِ ماتت منافعهم فاذا عرفوا منك ذلك اوقعوك في شرك لاخلاص لك منهُ فاسمع نصيحتي واخفِ هذا الجسد واحذر ان يفشى هذا الخبر فتجلب الهم والويل لنفسك فقبل فامبيا هذه النصيحة واخذ اسلحة المقتول فتقلد بها وركب جواده بعد ان دفن جسده بالارض ثم اخذ خطيبتهُ وراءهُ وقد حدثتهُ نفسهُ ان يذهب الى اللصوص ويعلمهم بموت رئيسهم ويعرض عليهم نفسهُ رئيسًا عليهم عنهُ فلما وصل اليهم ارادوا ان يهجموا عليهِ الاَّ انهم توقفوا مندهلين لما راوه راكبًا فرس رئيسهم ومقلدًا سلاحهُ فقالوا لهُ من اين لك هذه فقال اسمعوا قصتي وهو ان رئيسكم قصد ان يتعدى عليَّ ويختلس مني خطيبتي فقتلتهُ وقصدت ان اعلم بقتلهِ الحكومة فمنعني بعض اصحابي وقالوا لي ان محافظ المدينة ورجال المجالس لهم شركة معهُ يقاسمونهُ على ما ينهبهُ ويسلبهُ فاخذت اذ ذاك ثيابهُ وسلاحه وجواده فاستعملتها لنفسي كما ترون وتقلدتها مأمورية واتيت اليكم اعرض نفسي مكانهُ فلما سمع جماعة اللصوص كلامهُ تشاوروا معًا ثم اتفقوا على ان يقيموه رئيسًا عليهم عوضًا عن رئيسهم المقتول وذلك لما تيقنوا فيهِ الكفاءة لذلك وعلموا انهُ اشجع من رئيسهم الاول ومن ذلك الحين

صار لويجي فامبيا رئيساً لقطاع الطرق واشتهر بشجاعته ومخافة ابناء السبيل ولم تقدر الحكومة حتى الان ان تقبض عليه او تمنع تعديه الا انه بعد ان مضى عشرة ايام من تنصيب لويجي رئيساً للصوص صادف ذات يوم فارساً منفرداً في احدى الطرق المظللة بالاحراش ففاجاهُ وناداه ان يخلع ما عليه من الثياب ويسلم نفسه اليه فامتنع الفارس واهانه وحذرهُ من بطشه فلما سمع فامبيا كلامه ضربه في خنجر بصدره وكان الفارس مدرعاً بجوبٍ من الحديد فلم يوثر فيه الخنجر فزاد غضب فامبيا وفي الحال ترجل الفارس عن جواده وقبض على فامبيا فدفعه فامبيا الى وسطه وقصد ان يرفعه بين يديه ويرميه الى الارض ويفعل به كما فعل برئيس اللصوص فلم يقدر فرماه الفارس الى الارض وشد وثاقه بمنديل غير مكترثٍ به فتملص فامبيا وهجم على الفارس ثانية فلطمه ارماه الى الارض واراد ان يوثقه فصاح اليه تمهل ياسيدي فاني مستجير بك ومتيقن انك اشد باساً مني واعظم مراساً فصفح عنه ثم تعاهدا وتواددا واتفقا على مراعاة بعضهما وان يخدم لويجي فامبيا الفارس طول عمره وسأله عن اسمه فقال له ان اسمي السندباد البحري ومن ذلك الوقت وقعت الالفة بينهما وصار هذا السندباد يتردد الى هذه النواحي يستقصي عن كل فقير او مظلوم وبقي فامبيا في مهنته فمن وقع في يديه يقيده ويبقيه عندهُ الى ان يحرر الى اهله واحد اقاربه ليفتدي نفسه بالمال وها قد اوضحت لك حالة هذا الشقي وحذرتك من بطشه فاختر لنفسك ما يحلو. واما فرننـد فكاد يفقد وعيه عند سماعه اسم السندباد البحري لانه كان قد شاهدهُ في جزيرة مونتو كريستو وجرى له معه ما جرى ولم يعلم انه حضر الى رومية ونزل في تلك اللوكندة التي هما فيها تحت اسم الكونت دي مونتو كريستو

وقبل ان عزم البير على الركوب حضر غلام وبيده ورقة من الكونت دي مونتو كريستو يطلب به ان يزورهما الى غرفتهما ولما قرآ الورقة قالا لا بل من الواجب ان نزورهُ نحن اولاً لياقة وكرامة لمقامه ثم توجها اليه ودخلا عليه فلاقاهما بالترحيب والاكرام وبعد ان سلما عليه جلسا وقد تعجبا من اثاث غرفته ومفروشاتها التي لا نظير لها في كل ايطاليا كونها كلها من البسط والمنسوجات الشامية ونحو ذلك . ثم قال لهما الكونت دي مونتو كريستو اني عرفت ان في عزمكما التوجه الى التنزه في البرية وبما اني اعرف موكداً ان لا تقدرا ان تجدا مركبة تليق بكما نظراً لازدحام الناس في هذه الايام فاني اقدم لكما احدى مركباتي الخصوصية لتكون في خدمتكما فشكرا فضله وقد تعجبا من كرمه وبهتا من هيبته ولاسيما فرننـد فانه تذكر انه هو الذي راهُ في مغارة جزيرة مونتو كريستو وان كان قد غير هيئته وازال ذقنه ونزع عنه تلك الملابس انما احتراماً لشخصه لم يفه بكلمة وعند ما حضر الطعام نظر ان تلك المائدة والآنية الموجودة عليها تشابه التي راها في المغارة فزاد ارتباكه من كل هذه الامور وعظم حال الكونت في عينه وتيقن ان لا بد من قصة عجيبة دعته الى كل هذه الامور. وبعد ذلك قال البير للكونت اعلم ياسيدي اننا نحن من مدينة باريس قد خرجنا على سبيل السياحة

هذه المدة القصيرة ولا نقدر ان نكافئك الان فاذا شئت ان تتنازل باقام معروفك معنا فنلتمس اليك ان تشرفنا عند ذهابك الى باريس . قال لا بد لي من الذهاب وبعد ثلاثة اشهر اكون هناك . فقال البير اذًا نسافر معًا من هنا قال كلاّ لا يكون ذلك بل يجب ان تنتظرني غرة شهر حزيران الساعة ١٠ صباحًا هذا اذا لم تمنعني يد العناية بما هو فوق طاقتي . وكانت عند الكونت بنت رومية على جانب عظيم من الحسن واللطافة وكانت كل هذا الوقت تغني باللغة اليونانية . ثم ودع فرنند والبير الكونت وخرجا من عنده وكان البير قد كتب تاريخ اليوم الذي وعده به ان يزوره بباريس . وباتا تلك الليلة وهما يتحدثان باموز الكونت ويتعجبان من كرامة اخلاقه . وفي صباح اليوم الثاني خرج البير الى باب اللوكندة فصادف مركبة الكونت تنتظره فركبها وخرج بها قاصدًا البرية غير ملتفت الى تخويفات صاحب اللوكندة وتحذيراته ووعد رفيقهُ فرنند انهُ يعود اليهِ عند الظهر فبات ينتظرهُ بفروغ صبر حتى مضى الوقت المعين فلم يحضر فارتبك من ذلك وصار في حيرة عظيمة وقلق لاجلهِ . قد انقضى النهار بطولهِ واقبل الليل دون نتيجة فحار في امرهِ ولم يعد يعرف ماذا يجب ان يعمل وقد تيقن انهُ وقع في يد اللصوص ولا زال في ضجر وكدر الى ان تنصف الليل واذا باب غرفتهِ قد طرق فقام وفتح الباب واذا بشخص قد دفع اليهِ ورقة ممضاة بامضاء البير يقول لهُ فيها اعلم يا اخي اني قد وقعت في ايدي اللصوص واصبحت عندهم اسيرًا وقد التزمت ان افدي نفسي بمبلغ قدرهُ ١٥ الف فرنك فاذا حضر هذا المبلغ نقدًا في نحو ٢٤ ساعة اطلق سبيلي والاَّ فاموت اشر ميتة فارجوك ان تهتم بامري ولا تدعني بايدي هولاء اللصوص الذين لا يعرفون حلالاً ولا يرعون ذمامًا ولا يخافون الله . فانذهل فرنند من هذا الامر ووقع في حيرة لانهُ لم يكن معهُ في الصندوق غير ثلاثة الاف فرنك وبعد التفكر مليًّا خطر في بالهِ ان يستغيث بالكونت دي مونتوكريستو ويطلب منهُ المساعدة ويطلعهُ على ورقة البير واذ ذاك امر الرسول ان ينتظرهُ وذهب الى غرفة الكونت فطرق عليهِ الباب فخرج اليهِ فاعطاه ورقة البير فلما قراها قال لهُ هاك الصندوق امامك فخذ منهُ ما تشاء واذا لزم الامر بالذهاب معك الى هناك فلا باس فاني لا اتاخر عن ما فيهِ نفع البرية ولا سيما انتما وقد صرتما من اعز اصحابي . فسكن لكلامهِ روع فرنند وتيقن خلاص رفيقهِ . ثم اخذ الدراهم وخرج فخرج معهُ الكونت الى ان اجتمعا بالرسول فطلب منهُ الكونت ان يسير امامهما فسار وتبعاه الى ان دخل الاجام خارج رومية وفي كل مدة يصادفون جماعة من اولئك اللصوص وهم يطوفون ليترصدوا من يقع بايديهم حتى انتهوا الى مغارة كبيرة بها البير اسيرًا ونظروا من حولهِ سبعة رجال من الاشقياء وبينهم رجل يطالع في كتاب وهو جالس في صدر المغارة وكان هذا لويجي فامبيا رئيس اللصوص فلما نظر الكونت داخلاً نهض واقفًا وترحب بهِ وقال لهُ لاي سبب شرفت ياسيدي في مثل هذا الوقت . فقال اني لما رايتك خنت الوعد وحنثت بالعهد اتيت اليك الم نتعاهد يافامبيا

بان لا تتعرض قط الى احد من جماعتي وان تحافظ على هيبتي وطاعتي . فقال المعذرة ياسيدي الكونت فاني لم اعلم بان هذا من جماعتك ولا انا قط خرجت عن عهدي معك وبما انك قد اتعبت نفسك بالمجيء الى هنا فخذ صاحبك وسامحني على فعلي فاني معذور لجهلي اياهُ . فاخذ البير وفرنند العجب من هذه الطاعة العمياء وكيف ان رئيساً كهذا شجاعاً قائد ٢ لمائة من اللصوص يذل لهذا الكونت وقد تيقنا في نفسيهما انه ليس كبقية العالمين

ثم ان الكونت بعد ذلك اخذ البير وعاد راجعاً وقد قبل عذر فامبيا في هذه المرة وحذره من الاعادة مرة ثانية وقد امر فامبيا اصحابهُ ان يمشوا بين ايديهم بالمشاعل فتكدر اصحابهُ من عمله وقالوا لهُ لما تريد ان تحرمنا هذا المبلغ الجسيم بعد ان ساقهُ القدر الينا . فقال الا تعلمون ان هذا لهُ علينا الافضال الجزيلة وقد عفى عني بعد مقدرته على قتلي وخلص احدكم بينو من القتل ولهُ علينا وجوب الخدمة والمراعاة . فقال بينو وهو احد اللصوص من هذا ياسيدي فاني لم اعرفهُ تماماً . فقال هذا هو الكونت دو مونتوكريستو او بالحري هو السندباد البحري . فلما سمعوا هذا الكلام تسابقوا الى خدمته وقد تحققوهُ وساروا امامهُ بالمشاعل حتى خرجوا من الغاب ثم رجعوا وسار الكونت برفيقه وعند ذلك سال البير ماذا حصل لهُ حتى وقع بين اللصوص . فقال اعلم ياسيدي اني بينما كنت سائراً في تلك المنتزهات واذا بامراة ملثمة قد دنت مني وناولتني باقت من البنفسج واخذتها منها فجعلت تمدحني وتطنب فيَّ فسالتها ان تكشف لي نفسها فقالت لي اذا شئت ان تعرفني فاتبعني ثم درجت امامي فاثرتها حتى انتهت الى مكان فوقفت ورفعت عن وجهها اللثام واذا بهِ وجه شاب فعلمت انهُ من اللصوص فقصدت ان ادافع عن نفسي بالسلاح واذا بسبعة آخر قد فاجئوني باسرع من لمح البصر وقالوا لي اذا رفعت السلاح فانك لا محالة هالك لاننا نحن هنا كثيرون . فرايت ان ذلك هو الصواب فسلمت نفسي ورضيت بالسلامة فاقتادوني الى مغارة رئيسهم فسلموني اليهِ فاقترح عليَّ هذا المبلغ ولولا همتك ياسيدي الكونت لكنت لا محالة من الهالكين لان هولاء اللصوص لا يصبرون الى ان اتيهم بالمال من باريس ولم يبقَ بيدي هنا الا نحو ٣ الاف فرنك فاشكر فضلك على هذه المنة العظيمة واني اعتبر نفسي من الان وصاعداً عتيقك لانك خلصتني من الموت . فهناه الكونت بالسلامة وقال لهُ لا يجب من الان وصاعداً ان تخاطر بنفسك بل يجب ان تحترس من اللثام وتتامل في عواقب الامور قبل الوقوع فيها . ثم انهم دخلوا اللوكندة وباتوا تلك الليلة . ولما كان الصباح نشر في الجرنالات ان الحكومة قد قضت على اثنين بالقتل احدهما اسمهُ فتولا لارتكابه الفظائع والاخر من اللصوص من اصحاب لويجي فامبيا . وفي الوقت المعين ازدحمت الناس في الساحة المعينة لاعدام المجرمين وكانت تلك الساحة قريبة من اللوكندة وكان الكونت وفرنند والبير ينظرون الازدحام ويشاهدون المكان المزمع ان يجرى بهِ القتل ولم يكن الا القليل حتى احضر المجرمان يحرط بهما جماعة من الجند ومعهما

يقلب فيها على حقٍ ولم ينظر احد الى داخلها وكان اكثر تعجبهم من جوهرة كبيرة كانت العلبة مرصعة بها وقد ثمنوها بانفسهم ثم يقدروا ان يعرفوا مقدار ثمنها ولما راى الكونت تعجبهم قال لهم اظنكم تفكرون بهذه الجوهرة التي على ظهر العلبة قالوا نعم فاننا لم نرَ حتى الان جوهرة بهذا المقدار . فقال كان معي ثلاث من هذه النوع قدمت واحدة منها لحضرة السلطان العثماني والثانية لقداسة البابا وهذه الثالثة ابقيتها معي . فقالوا له لا بد ان يكون كلاً من السلطان والبابا قد كافياك على هذه الهدية العظيمة فباي شيء جوزيت منها قال ان البابا وهبني حياة لص كان قد حكم عليهِ بالقتل وذلك اني قدمتها له وسالته العفو عن المجرم فاجاب في الحال وامر باطلاقهِ ولهذا تكون تلك الحجر قد ثمنت بدم رجل من الجنس البشري وكذلك السلطان العثماني فقد وهب الحرية لابنة رومية كانت اسرت ووضعت في قصره وهي عائلة الرومية التي لا تزال عندي واني افضلها نظرًا لادابها وكمالها على اعظم جواهري واموالي فقال البير اظن ان البابا وهبك حياة ذاك اللص الذي كان قدم للذبح فعفي عنهُ واتى الى اللوكندة شاكرًا فضلك ومعروفك قال نعم اني فعلت معهُ ذلك مقابلة لتخليصك من اسرهم وقد شاهدت انقيادهم اليَّ فوجب عليَّ اكرامهم ولا يجب اظهار اكثر من ذلك . ثم انهم بعد اكل الطعام نهضوا عن المائدة ودخلوا غرفة اخرى وكلهم مسرورين بمعرفتهم بالكونت وبعد ان استقروا اخذوا يفتكرون في ان يجدوا محلاً مناسبًا لسكن الكونت مدة اقامتهِ في باريس وصار كل واحد منهم يقدم رايهُ في تقديم قصر يوافق المقصود فعند ذلك قال لهم الكونت لا يجب ان تهتموا بهذا الامر فاني بعثت خادمي عليَّ ولا بد ان ياتي بالمقصود ويشتري لي قصرًا موافقًا . فقال له البير وكيف هذا الخادم الاخرس يقدر ان يقوم بقضاء هكذا خدمة مهمة . فاجابهُ الكونت انهُ وان كان ابكمًا الا انهُ غزير النفع يفعل ما يعجز على اعظم الرجال الفصحاء ان يفعلوهُ وبينما هم في مثل هذا الحديث واذا بعلي قد دخل واشار براسهِ الى الجميع علامة التحية فاجابوهُ بالاشارة ثم دفع الى سيدهِ ورقة مكتوبًا فيها . اني اشتريت لك ياسيدي قصرًا فسيحًا حسب مطلوبك مع جميع اثاثهِ واحتياجاتهِ ومنتزهاتهِ . وفي الورقة ايضًا اسم المحل ونمرتهُ وبعد ان قراها الكونت قال للجماعة الم اقل لكم ان خادمي يبتاع لي قصرًا حسب المطلوب وها كم اسم المحل الذي ابتاعهُ ونمرتهُ . ثم دفع الورقة اليهم فقرأوها وصار كل منهم ينظر الى الاخر متعجبين من حالة هذا العبد الابكم كيف قدر ان يشتري قصرًا كهذا القصر وهو من اعظم قصور فرنسا بهجة ورونقًا واغلاها قيمة وثمنًا وكادوا لا يصدقوه في ذلك لعلمهم ان الكونت لم يذهب الى هناك ولا نظر القصر ولا ما داخلهُ . ثم تقدم البير الى الكونت وجلس بجانبهِ وقال له اعلم ياسيدي الكونت ان والدي ووالدتي سيحضران الى هذا المكان ويحضر معهما ايضًا موسيو دنكلار ابو خطيبتي فقال له الكونت وهل اذًا انت تقترن عن قريب بابنة هذا الرجل الذي تشير اليهِ . قال اني اكره ذلك ولا احب ان اتزوج من هذه الخطيبة ولا من ابيها ولكن اجابة لطلب والدي قبلت ذلك

لانهُ هو الذي الزمني ان اقبل بان ارضاها لي عروسة وعلى ذلك فلا بد ان تحضر الفرح بعد قريب من الايام الاتية · فاظهر الكونت ابتهاجهُ وقال اني ارغب ان ارى والديك ولاسيما دنكلار فان بيدي عليهِ مبلغ جسيم تحولت عليهِ بهِ من رومية من محل الخواجات تومسون · وفي الحال قال مكسيمليان ابن موريل هل تعرف ياسيدي الكونت هذا المحل في رومية التي اخذت منهُ التحويل · قال نعم انني اعرفهُ جيداً وهو وكيلي في رومية ومستلم اشغالي فيها . فقال مكسيمليان اننا حررنا جملة مرار الى ذالك المحل نشكرهُ عما لهُ في ذمة والدي من المبلغ لان والدي اوصانا قبل وفاتهِ ان لا نتهامل عن تقديم ما في وسعنا لذلك المحل الذي كان سبباً لنجاتنا من الخراب فهل ايها الكونت المحترم تعرف او سمعت شيئاً من ذلك لان المحل المذكور حتى الساعة لا يجاوبنا على شيء وانَّا من ذلك في اضطراب . فقال الكونت اني لا اعرف شيئاً مما تقول اذ لا تعلق لي بهكذا امور . ثم جعل القوم ينصرفون واحداً بعد واحد حتى لم يبقَ سوى الكونت والبير · وكان مكسيمليان ابن موريل قد طلب من الكونت ان يزورهُ في بيتهِ والحَّ عليهِ بذلك فوعده بهِ . ولما خلا المكان طلب البير الى الكونت دي مونتوكريستو ان ينهض معهُ ليفرجه على بيتهِ ومنتزهاتهِ فقام معهُ وطاف بهِ البير من غرفة الى غرفة حتى انتهى الى غرفتهِ الخصوصية وهناك نظر الكونت صورة معلقة بحائط الغرفة وما لبث ان امعن فيها لحظة حتى ادركتهُ قشعريرة ورجفان تقصد بكل جهدهِ ان يتمالك نفسهُ عن ذلك فلم يقدر بل كانت عيناهُ شاخصتان فيها رغماً عن ارادتهِ ففهم البير منهُ ذلك ونظر حالتهُ وارتباكهُ فقال لهُ اظنك ياسيدي قد افتكرت ان هذه الصورة لامرأة تعرفها فذلك وهم منك لانها صورة والدتي مرسيداس فلا تتوهم فيها غير ذلك وكان البير يجهل حالة والدتهِ انها كانت مخطوبة قبل لرجل غير والده . اما الكونت كان قد تلاعبت بهِ الهواجس وقد تحرك عليهِ هواه وذكرتهُ تلك النظرة بحوادث مرت عليهِ من نحو عشرين سنة تقريباً وكانت سبباً لبعده عن محبوبتهِ هذه وبعد قليل هدأ روع الكونت وتجلد بقدر الامكان ومال بنظره عنها جاعلاً نفسهُ يتفرج على صور اخر . ثم قال البير ها قد تفرجت على كل ما هو عندنا ولم يبقَ الاَّ والدي ووالدتي اللذان يطلبان بفروغ صبر ان تسمح لهما ان ينظراك ليشكراك على جميلك ومعروفك . وكان الكونت يشتاق ان يرى مرسيداس ليعلم الى اي اوصلتها يد الكبر وهل لا تزال تلوح عليها لوائح اللطف والمحاسن التي كان يعهدها فيها من زمن الصبا وليعلم ايضاً هل عند وقوع نظرها عليهِ تعرف او تتذكر حوادث كانت من نحو اكثر من عشرين سنة تقريباً على انهُ كان يفتكر ان نظرهُ لها ربما اثر فيها او فيهِ بما يظهر امره الذي يجب ان يخفيهُ الى وقتهِ . واخيراً قال لالبير لا باس من مواجهة والدك ووالدتك وذلك يكون باسرع وقت لانهُ لم يعد يمكني ان اقيم اكثر من دقائق قليلة وفي الحال امر البير خادمهُ ان يرسل والدهُ ووالدتهُ . وبقي الكونت موجهاً بانظاره الى جهة الباب وكان نظره الى صورة مرسيداس بغتة ومضي ذلك الوقت القليل عليهِ جملة

قادرًا على التجلد اكثرمما لو كان راها نفسها بغتة ومع ذلك كان في ارتباك عظيم لانهُ سيرى بعد لحيظة احب امراةٍ عنه وهي مرسيداس . ويرى ايضًا ابغض الناس اليهِ وهو زوجها فرنان وكان فرنان قد غيّر اسمهُ فدعي دومورسرف . واذ ذاك دخل دومورسرف فوقف لهُ الكونت دون ان يرى منهُ ما يدل على انهُ عرفهُ او اشتبه بهِ فسلم عليهِ وجلس واما مرسيداس بعد ان توسطت الغرفة وهي مزمعة ان تمد يدها لتحيي الكونت وقفت باهتة واعتراها رجفة وتلون وجهها باحمرار ثم باصفرار لان الحب الثابت لا يموت مهما طالت عليهِ الايام وتقلبت الليالي ولا يمكن ان تغيرهُ الحوادث مهما كانت عظيمة ولم يخفَ على مرسيداس ان الكونت دي مونتوكريستو هو حبيبها ادمون دانتاس لانها نظرت اليهِ بعين حبها قبل ان نظرت اليهِ بعين جسمها

قلوب العاشقين لها عيونٌ ترى ما لا يراهُ الناظرونا

ولما شاهد زوجها وابنها حالتها وارتبا كها قالا لها ما الذي دهاك وبما تشعرين فانك الان كنت بصحة تامة فخجلت من كلامهما وعلمت ان حالتها قد ظهرت فاجهدت نفسها لتخفي تلك الدلائل فقالت لم يصبني شيء انما عرض اصابني على حين بغتة ثم تقدمت الى الكونت وحيتهُ ولما مسكت يدها شعر بها باردة جدًّا كالثلج فتاكد الكونت انها عرفتهُ حق المعرفة واصابهُ هو ايضًا بعض ما اصابها الاَّ انهُ تجلد وجعل يشغل نفسهُ بالكلام مع دي مورسرف وبعد ان شكره دومورسرف على معروفهِ سالهم ان يسمحوا لهُ ان يذهب ليرى القصر الذي اشتراه لهُ خادمهُ علي . فقال لهُ البير اذًا اصبر قليلاً ليهيء الخادم مركبتنا فتوصلك الى منزلك فقال لا لزوم لذلك لاني بعثت خادمي ارنيشتو ليبتاع لي مركبة وقد سمعت صوت مركبة وقفت بالباب فاظن انهُ حضر بها ثم ودعهم وخرج فرافقهُ البير الى الباب فوجد ارنيشتو ينتظرهُ بالمركبة فاندهش البير من هذه المركبة لانهُ نظرها محلاة بالذهب تضيء كالكوكب يقودها جوادان من الخيل العربية يساوي كلٌّ منهما اكثر من ثلاثة الاف فرنك . ثم ركب الكونت مركبتهُ ورجع البير الى غرفتهِ فوجد والدتهُ هناك واضعة راسها على يدها وهي غرقى ببحر من الهواجس والافكار متحيرة في امر الكونت كيف وصل الى هذه الحالة مع انهُ كان محبوسًا وشاع انهُ مات في السجن وكانت كانها توبخها نفسها على قبولها بزواج فرنان وتاكدت بانهُ لابد ان يقول عنها ادمون انها خائنة للوداد وناكثة للعهد وكانت بكل جهدها تروم ان تخفي ما لحق بها خوفًا ان يدرك ولدها وزوجها ما بها لا سيما وقد تاكدت ان ادمون حبيبها الاول قد لقب نفسهُ بالكونت دي مونتوكريستو املاً بان يخفي نفسهُ تحت هذا الاسم وعرفت ايضًا ان زوجها فرنان لم يعرفهُ انهُ هو عدوه الالد فصممت على الكتمان . ولما دخل عليها ولدها قالت لهُ اطلب منك يا البير ان تخبرني عن حقيقة هذا الكونت ومحل مولدهِ ان كنت تعرف ذلك وهل غناه هذا هو بالارث او اتصلَ اليهِ بطريق اخرى . فقال ان ما اعرفهُ من تاريخهِ هو ان هذا الكونت يدعى باسم جزيرة مجاورة

لتوسكانا وانهُ لا يوجد الآن اغنى منهُ رجلٌ في العالم وقد يظهر من حالتهِ وما هو مسموع عنهُ انهُ قاسى شدائد واهوالاً وطاف في البلدان والعواصم كثيرًا وغير ذلك لا اعرفهُ وقصدي وخلاصة ما اريد ان اعرف انهُ لي نعم الصديق وقد بلغت من ودادهِ درجة قصوى وهو عندي اعظم وافضل من ملوك فرنسا · فقالت ان جل قصدي ان اعلم من اين وصل لهُ هذا المال لاني تصورت انهُ ربما كان على الاكثر فقيرًا في بداءة عمرهِ وانهُ على ما اظن كان يسكن باريس وان . . . . ثم خنقتها العبرة وتعلثم لسانها فلاح لابنها انها لا بد ان تعرف الكونت وتبين لهُ انها اما كانت محبة في الاصل او انها وقعت بحبهِ عند ما راتهُ هذه المرة ولهذا اصابها ما اصابها ولا تزال في حديثهِ وتبحث عنهُ وعن احوالهِ باجتهاد ورغبة عظيمة ولذلك اعرض عنها وسار الى غير جهة

واما الكونت فان المركبة اسرعت بهِ حتى اوقفتهُ امام قصره الجديد الذي اشتراه خادمهُ علي الاسود . وبعد ان طاف كل غرفهِ وقلب في باطنهِ وظاهره اعجبهُ جدًّا ولا سيما اثاثهُ الفاخر الذي تيقن انهُ افخر اثاثٍ وجد في فرنسا . وبعد ان اقام فيهِ قليلاً متفكرًا بكل هذه الحوادث التي طرات عليهِ ومتعجبًا من حالة مرسيداس ومما اصابها كأن لسان حالها كان يعتذر اليهِ بانها ندمت على ما وقع منها وان حبهُ لا يزال مؤسسًا في قلبها كما كان وان كانت هي الآن لرجل اخر دعتها الضرورة ان تسلم نفسها اليهِ وتذكر ايضًا فرنان القرنان وحركتهُ الغيرة منهُ على مرسيداس وعمله الاول الى الانتقام وهلاك اخصامهِ وقال في نفسهِ قد آن الان اخذ ثاري من اخصامي وكلهم هنا في قبضة يدي . ثم خطر لهُ اخيرًا ان يشتري قصرًا اخر خارج باريس يلزمهُ لاتمام غايتهِ وتنفيذ مآربهِ فامر خادمهُ ارتيشتو ان يدعو لهُ الدلال فحضر فطلب اليهِ ان يشتري لهُ قصرًا خارج المدينة فوعده ولم يمض الا القليل حتى عاد اليهِ واخبره بوجود قصر فاذنهُ ان يكتب حجتهُ باسمهِ وياتيهِ بصاحبهِ فيدفع لهُ الثمن ففعل . ولما دفع الثمن واخذ الحجة دفعها لخادمهِ فنظر فيها فارتعش وارتعد واضطرب فلحظ منهُ الكونت ذلك انما لم يهتم بهِ وقتئذٍ وبعد ذلك اصرف الدلال ودفع لهُ اجرتهُ اضعاف ما يستحق حتى خرج من امامهِ يشكره ويثني عليهِ وهو متعجب من كرمهِ . وفي اليوم الثاني امر الكونت خادمهُ ارتيشتو ان يهيء لهُ المركبة التي اشتراها ليسير الى قصره الجديد الذي ابتاعه لهُ الدلال . فلحق خادمهُ من كلامهِ رعدة فقال لهُ الكونت لما انت في اضطراب وقد رايتك بالامس في حالة لم ارك فيها قبل وذلك عند ما اخذت حجة هذا القصر الجديد . فقال لهُ ارتيشتو لم يصبني شيء مما ذكرت . ثم سار فاتى بالمركبة فركب الكونت بها حتى وقفت بباب القصر فنزل الكونت وبقي الخادم على خلاف عادتهِ . فقال لهُ الكونت مالي اراك هذين اليومين في ارتباك وانشغال بال . فقال لا شيء ياسيدي من ذلك وبما ان الليل قد دنا شعرت بعاقتنا فتكدرت لذلك فارجوك المعذرة · فقال لهُ اذًا احمل قنديل المركبة وسر امامي لنطوف في هذا القصر فان مرادي ان اتفرج عليهِ واعرف موافقتهُ لي . فعند ذلك اخذ

ارتيشتو التنديل ودخل امامه وصار الكونت يدخل من غرفة ويخرج من اخرى حتى طاف كل غرف القصر وقد اعجبه جداً وسرّ لموافقته له ثم قصد النزول الى منتزه القصر فدخلا في قبو ينتهي بسلم يوصل الى المنتزه وهناك وقف ارتيشتو مرتجفاً ومضطرباً واذ ذاك لم يعد يقدر على اخفاء حالته فقال لسيده بعد ان زاد به ارجوك ياسيدي ان تسمح لي ان لا انزل في هذا السلم فخذ المصباح وسر انت بنفسك لاني انتظرك هنا فتعجب الكونت من قوله وقال له لا بد لك من النزول معي . فنزل ارتيشتو رغماً عن ارادته وطافا قليلاً في بستان القصر حتى انتهيا الى شجرة ولما صارا تحتها صاح ارتيشتو هنا هنا . هنا صارت الواقعة ووقع مغشياً عليه فشفق عليه الكونت وقد زاد حيرة وقال في نفسه لا بد من حادث عجيب ثم نهضه ولما جلس قال له الكونت لا بد لك ان تطلعني على كل هذه الاسباب التي وقعت عليك ولم يعد يمكنك الان الاخفاء . فقال اذهب بي اولاً من هذا المكان ومتى صرنا خارجه اخبرتك بواقعة الحال . فرجع به الكونت الى المركبة فركباها قاصدين باريس وفي الطريق سال الكونت ارتيشتو ان يحكي له قصة هذا القصر وما هو سبب انزعاجه . فقال ارتيشتو اعلم ياسيدي انه لما كانت الحكومة تحت سلطة نابليون الاول كان اخي من المقربين اليه والمكرمين عنده وكان الامبراطور يحبه جداً لا سيما وانت تعلم اننا من بلده من كورسيكا . ولما طرد نابليون وتسلطت العائلة البوربونية اهلكت كثيراً من احزابه وملاذيه وكان من جملتهم اخي المذكور وكنت لا اعلم ما طرأ عليه . فاتيت ذات يوم الى المدعي العمومي وهو دو فيلفور وسالته بجسارة عن ماذا اصاب اخي وهل هو باقٍ في قيد الحياة ام اهلكوه فاغلظ عليّ الكلام وطردني من عنده وتهددني بالاعدام ان عدت فاتحته في مثل ذلك وانه يلحقني باخي اذا اتيته بذكره مرة اخرى . فعند ذلك قلت له فليكن موكداً عندك يا فيلفور ان كان اخي قد هلك فلا بد ان اقتص له منك فاحذر على نفسك مني من الان وصاعداً فاني لا افترعنك ولا بد من اخذ روحك وتخليص المظلومين من بين يديك ثم اسرعت في الخروج خوفاً ان يامر احد اتباعه فيقبض عليّ قبل القيام بما اشرت اليه و بقيت من ذلك الوقت اترصده وانا مختفٍ وكثيراً ما كنت اقصد بيته ليلاً قاصداً الايقاع به فلا يتيسر لي ذلك لان الموانع كانت كثيرة وكان آخذاً على نفسه الاحتياطات اللازمة وقصد القاء القبض عليّ فلم يقدر لاني كنت لا اظهر لاحدٍ ولما اعياه الامر اختفى عن المدينة مدة فاخذت خبره انه مقيم في هذا القصر الذي اشتريته ياسيدي وكنا فيه الان فجعلت اكمن له فيه كل ليلة الى ان كان ذات ليلة قلبت عن الحائط ودخلت بستان القصر وجعلت اترصد ان اجد طريقة توصلني اليه و بينما انا على ذلك نظرت بضوء السماء موسيو دي فيلفور نازلاً من السلم وحاملاً على يديه لفافة بيضاء من الحرير الخاص فلبثت تحت شجرة من شجر البستان انتظر قدومه وقد ترجح عندي نوال ما اربي وكدت اطير من الفرح وتذكرت اخي المعدوم فثارت بي نيران الانتقام فاخذت خنجري بيدي وصبرت نحو

دقيقتين ليتوسط الجنينة و يبعد عن القصر. واذا به قد وضع اللفافة على الارض قريب شجرة واخذ يحفر بآلة كان اصحبها معهُ فتركتهُ مشغلاً بعملهِ وفاجئتهُ بضربة روية سقط منها الى الارض يخبط بدمهِ فقلت لهُ الحمد لله قد اخذت الان منك بثار اخي ولا ينفعك الحذر ولا انقذك من المعلم ولاجل اخفاء اسمهِ رميتهُ بالحفرة التي كان يحفرها فلم تسعهُ فرددت عليهِ التراب بقدر الامكان . واذ ذاك سمعت من اللفافة صوت طفل صغير فخفت ان يدركني على صوتهِ احد فعزمت على الرجوع وقد اطفأت نار كبدي بقتل ذاك الخبيث لاني كنت وقتئذٍ قد توهمت انهُ هلك لا محالة وقصدت اهلاك الطفل معهُ الا اني افتكرت اخيرًا ان لا ذنب لهذا الطفل فحنت اليهِ جوارحي فاخذتهُ على يدي وخرجت من البستان واذ ذاك اطان قلبي وارتاح بالي نوعًا . وعلمت يقينًا ان هذا الطفل هو ابن دي فيلفور لا محالة الا انهُ ليس من زوجتهِ الشرعية ولا ريب في انهُ سطا على زوجة احد من اصحابهِ او خدمهِ فاتاه منها هذا الولد فقصد اخفاه ودفنهُ في الارض خوفًا من الفضيحة والعار . وكنت قد رايت زوجة دي فيلفور على جانب عظيم من الحسن وعمرها نحو ٢٣ سنة انما الرجل الخبيث لا يكل عن الخباثة لتاثر الشر والفساد والخطيئة ايما وجدت . ثم ذهبت بالطفل الى باريس وسلمتهُ الى الراهبات وعدت الى بيتي فوجدت شقيقتي بانتظاري فاخبرتها باخذ ثارنا من قاتل اخينا واطلعتها على كل ما توقع لي في تلك الليلة فشكرتني على اجتهادي في اخذ الثار الا انها لامتني على وضع الولد عند الراهبات وقالت لي لو احضرتهُ الى هنا لاعتنيت بتربيتهِ وتسليتنا بهِ . فقلت لها اخشى من ان يرى الولد معي او يعلم بهِ احد فيكون سببًا لالقاء القبض عليَّ . فقالت لا باس من ذلك فاني اخفيهِ ولما الحت عليَّ بذلك رجعت الى دير الراهبات وطلبت منهن ارجاع الطفل وبينت لهن الوقت الذي سلمتهُ لهن والساعة فسلمني اياه فرجعت بهِ الى شقيقتي . وقد سميناه بنديتو فاعتنت بتربيتهِ وتهذيبهِ ولكن قد ضاع فيهِ التعب لانهُ ابن حرام و ولد زنا فكان كلما كبر كبر معهُ الشر والفساد ونقوت فيهِ الرزيلة . فقال الكونت وبما تبين لك منهُ الشر حتى اشرت الى انهُ رديء الاصل . قال ان لذلك اسباب عديدة منها اني قلت لهُ ذات يوم هيَّا يا ولدي نسافر الى بلد غير هذ البلد نطالب لنا رزقًا فقد ضاق بنا الرزق في هذه المدينة . فقال لي بجسارة من اين انا ولدك حتى تدعوني ولدك ولا انا عبدك فلما هذا التحكم . فتعجبت من وقاحتهِ وتيقنت ان لا خير فيهِ لانهُ ولد زناء ثم انهُ تركني ومضى دون ان يسال عني وكان بفكري ان ابعدهُ الا ان شقيقتي كانت تحبهُ لانها ربتهُ وتعبت عليهِ ولهذا كانت تتعرض لي دائمًا وتحامي عنهُ اذا قصدت ان اضربهُ او ابعدهُ مع انهُ كان يعذبها و يهينها و يشتمها عند كل كلمة تكلمهُ بها او تقال عليهِ الا كل او تمنع عنهُ شيئًا . واخيرًا سافرت وحدي بصفة نوتي في احدى المراكب الفرنسوية المعدة لتهريب البضائع من رسم الكمرك فذات يوم بينما كنا آخذين في تهريب بضاعة مشرقية دهمتنا العساكر بقصد القبض علينا فتركنا البضائع وطلبنا الفرار وتفرقنا

في جهات مختلفة . فرميت نفسي في نهر هناك وقطعته عائمًا على وجه الماء فوصلت الى الشاطئ الثاني سالمًا وسرت مجدًّا حتى اختفيت عن العيون وإذ ذاك لجئت الى صاحب لي اسمهُ كادروس فاتحًا خمارةً في تلك النواحي فدخلت من حائط البستان خوفًا ان يراني احد وكان اذ ذاك قد اظلم الليل فاكمنت في احدى الزوايا وانا في تعب لا يوصف وبينما انا كذلك اذ سمعت صوت رجل غريب مع صاحبي كادروس لم اقدر ان اعرفهُ من صوتهِ ولا شاهدت وجههُ انما اصغيت لاسمع بما يتكلمان فسمعت الرجل يقول ان هذه الجوهرة لا تساوي زيادة عن اربعين الف فرنك وهكذا قد ثمنتها فاذا شئت دفعت لك هذا المبلغ واخذتها والاَّ فاني ابلغ عنك الحكومة لانك لا بد ان تكون قد سرقتها والاَّ من اين يمكن ان تصل اليك . فقال كادروس اني لا اخاف من الحكومة لاني اخذتها من الخوري بوسيوني وهو موجود فيسالونة فيخبرهم بخبرها وقد اخبرني الخوري المذكور انها تساوي اكثر من خمسين الف فرنك . فقال الرجل اسمع مني وخذ المبلغ المذكور وانا اخفي القصية ولا اطلع احدًا عليها لان الحكومة لا تصدق خبر الخوري بوسيوني وما هو السبب ليعطيك حجرًا نظير هذا يليق بالامراء والملوك ومع ذلك فاني ازيدك خمسة الاف فرنك فيكون جميع المبلغ ٤٥ الف فرنك وهذا القدر كافٍ فلا عدت نتكلم وكانت زوجة كادروس معهما فقالت ان هذا الثمن قليل في مثل هذه الحجر ولا اسلم ببيعهِ فلما راى الرجل اصرارها اخرج من جيبهِ كيسًا وافرغ الدراهم على المائدة وقال اذا شئتما دفعت لكما من هذه الدراهم لان الثمن معي . فلما نظرت زوجة كادروس الدراهم مالت اليها وطلبتها بلهف وقالت لزوجها نعهُ اياه فما بيننا وبينهُ فرق . وحينئذٍ اخذ الرجل الجوهرة وقبض كادروس الدراهم . كل ذلك وانا اسمع ولا ارى لاني كنت في مكان بقربهم مختفيًا دون أن يعرف بي احد منهم . ولما قصد التاجر الخروج سقطت امطار وزوابع منعتهُ عن الخروج فرجع الى كادروس وهو في كدر وتضجر . فقال لهُ كادروس ابقَ هنا الليلة فان المطر يهطل بغزارة لا سيما واللصوص يطوفون كثيرًا في هذه النواحي فربما وقعت بيد احدٍ منهم فيسلب ما معك وربما اعدمك فقبل الرجل كلامهُ وقال لهُ اذًا اقبلني ضيفًا عندك هذه الليلة ولك عليَّ الفضل والجميل فقال على الرحب والسعة . ثم بعد ذلك احضر كادروس خمرًا وجلس مع ضيفهِ وزوجتهُ ايضًا بينهما فشربا خمرًا وبعد ذلك اكلا وصرفا وقتًا من الليل ولما طلب الرجل النوم اخذه كادروس الى مخدع اخر لينام فيهِ ورجع مع زوجتهِ فصار يكلمها سرًّا بصوت واطئ لم اقدر ان افهم معناه . ولما اعياني السهر نمت في مكاني دون ان ادع احدًا يراني ثم استيقظت على صوت اطلاق طبنجة وبعد ذلك سمعت صراخًا وضجة فتقدمت ونظرت وانا برعبة وخوف واذا بكادروس اخذًا سراجًا بيده اليمنى وبيده اليسرى علبة تدل على ان داخلها جوهرة لانها من العلب التي توضع بها الجواهر فلم يلتفت اليَّ ولا الى نفسهِ انما قصد المكان الذي كان قد وضع فيهِ الدراهم التي اخذها من الرجل فوضعها في عبهِ وكذلك

العلبة وهرول مسرعًا في الركض فانذهلت من عمله وداخلني انه ربما يكون قد قتل الرجل وسلب امتعة وفاز بنفسه · فدخلت الى المخدع الذي فيه الرجل الغريب فوجدته مضرجًا بدمائه ومطروحًا على الارض مائتًا فارتبكت وعزمت على الفرار للتخلص من ايدي الحكومة وبينما انا مزمع على ذلك هاجمني اتفار الضابطة والبوليس بغتة فقبضوا عليّ وكتفوني وقادوني وانا استغيث وانادي اني لست القاتل وما انا الا ضيف في ذلك المكان ولكن لم يكن من يسمع ندائي ولا من يجيب استغاثتي فسلموني للحكومة وهناك اخذ في استنطاقي والتحقيق عن دعوة الرجل المقتول فاخبرت بواقعة الحال فلم يكن من يقبل كلامي ولا من يشفع بي فبقيت في السجن الى ان حضر الخوري بوسيوني جزاه الله خيرًا فخلصني وقرر للحكومة عن واقعة الجوهرة فصدقوه ولاسيما فان هرب كادروس من محله رجح براءتي واطلق سبيلي فقال الكونت ان كل ما اشرت اليه ليس بمهم عندي لاني اعرفه انما اريد منك ان تخبرني عن الولد المذكور ماذا صار به والى ما آل به الامر · فقال ارتيشتو اعلم ياسيدي ان الولد لما بقيته عند شقيقتي وتطورت صار يضربها ويهينها وبقيت معه في تعب عظيم وهي ترى ذلك ولا يهون عليها رفضه واتفق مع شلتين من الاشقياء على النهب والسلب والسرقة فذات يوم من الايام بينما كنت غائبًا عن البيت اتى اليها وقال لها انا اعلم جيدًا ان عندك دراهم في البيت فاعطني اياها والا اخذت نفسك وكان قد احضر معه رفيقيه الشريرين فقالت لا مال عندي وما هذه الوقاحة يابنديتو فقال ان هذا الكلام لا يفيدك فاما ان تدفعي لنا الدراهم والا قتلناك واذ لم تدفع لهم دراهم رموها بالنار فصاحت تستغيث بالجيران وانقذوها من النار وهي على اخر رمق الا انها ما لبثت حتى ادركتها الوفاة فماتت اثر ميتة من يد ذلك الشرير الذي ربته وصرفت وقتًا ليس بقصير ومالاً ليس بقليل في تربيته فكانت كما قيل فيها

وفاعل الخير مع من ليس يعرفهُ   كواقد الشمع في قاعات عميان

فهذه ياسيدي قصتي وما جرى لي في القصر هو ناتج عن هذه الاسباب لاني تذكرت امورًا كنت قد نسيتها او كدت انساها او بالحري كنت اتسلى عنها بمجابرتك ومعاملتك لي بكل رقة وحنو· واهم شيء يكدرني الان ان موسيو دي فيلفور لا يزال في قيد الحياة ولا اعلم كيف كانت نجاته من تلك الحفرة بعد ان تأكد عندي موته قتيلاً من يدي وعلى ما اظن ان الضربة لم تكن قاضية او اني لم انتبه حق الانتباه ولشدة خوفي وقتئذٍ لم اردم عليه التراب كما يجب فتخلص من الموت دون ان يسعى في القبض عليّ او يعلم احدًا بما اصابهُ واظن انه قصد اخفاء ذلك خوفًا من الفضيحة والعار· فقال الكونت وهل لم تسمع عن بنديتو شيئًا · قال كلاً لم اعد اراه ولا اريد ان اراه· فقال الكونت لا باس اذا رايته فاحضرهُ عندي واعلمني به فان لي بذلك مآرب خصوصية ولما دخلا القصر بقي الكونت وحده متفكرًا بكل هذه الحوادث الى ان حضرت هائدة الرومية وهي البنت التي اخذها

الكونت من الاستانة وكانت هي سلوتهُ وموضوع تسليتهِ فلاقاها بالترحيب وامرها ان تغني لهُ فغنت وصرف وقتًا من النهار والليل في مسامرتها . ثم انصرفت الى غرفتها لتنام ودخل هو الى غرفتهِ . وفي اليوم الثاني حضر موسيو دنكلار ولم يصادف الكونت لانهُ كان قد ذهب الى قصرهِ الجديد خارج باريس فوضع لهُ ورقة ممضاة باسمهِ وذلك قيامًا بمآل التحرير الذي ورد اليهِ من محل الخواجات تومسون من رومية بان يدفع الى الكونت كل ما اراد وما يلزمهُ والمحل المذكور يقوم بدفعهِ مع الفائض فلما نظر الكونت الورقة وعرف ان موسيو دنكلار قد اتى في غيابهِ ولم يرهُ ركب مركبتهُ الفاخرة وطار اليهِ ولما عرف دنكلار بقدوم الكونت لاقاه الى خارج قصره ورحب بهِ وقد دهش من هيئتهِ وجلالهِ وتعجب من حسن مركبتهِ وخيلهِ المسرجة بسروج ذهبية ولما استقر الكونت في قاعة الجلوس قال لهُ دنكلار . اعلم ياسيدي الكونت اني تشرفت الى محلكم ولسوء الحظ لم تتيسر لي مقابلتكم . قال الكونت قد عرفت ذلك من ورقة الزيارة الممضاة باسمك التي تركتها في محلي اثناء غيابي فاشكرك على ذلك فهل من سبب او حاجة يا ايها الموسيو . قال انهُ ورد لي تحرير من بنك الخواجات تومسون من رومية يأذني بان ادفع لحضرتكم كل ما يلزمكم من الدراهم اثناء قيامكم في باريس وحيث ان محلي على الاتفاق مع البنك المذكور قصدتكم قيامًا بطلبهِ لاسالكم عن قيمة المبلغ الذي تحتاجونهُ لادفعهُ لكم . فقال اني لا اقدر ان اعرف بالتمام ما يلزمني من النفقات في باريس غير اني ارجوك ان تدفع لي جانبًا من المال فاعطيك بهِ وصلاً هذا اذا كنت تعتبر تحارير ذلك البنك . قال كيف لا اعتبرها وهو اشهر البنوك في هذه الايام فاطلب مهما شئت فاني ادفعهُ حالاً دون تاخير ولا يجب ان تكلمني ياسيدي الكونت بمثل هذا الكلام لاني لم اتاخر عن الدفع لكم ولا اعتذرت بعدم المقدرة عن طلبكم واني مستعد لان ادفع مهما لزمكم ولو كان مليونًا من الفرنكات . فقال الكونت ماذا يفعل معي مليون فرنك . قال ما يلزمك ادفعهُ ولو كان اكثر . فقال اعلم يا ايها الموسيو ان معي تحاويل كثيرة بملايين من الفرنكات ثم اخرج الكونت علبة صغيرة ففتحها واخرج منها اوراقًا على بنك المملكة وعلى بنك روتشلد وعلى تجار اخر وكلهم يفوضون وكلاءهم بان يدفعوا الى الكونت مهما يلزمهُ من الملايين . فلما نظرها دنكلار وعرف مضمونها ارتجف داخلهُ وتعلثم لسانهُ وبقي ينظر اليها بتعجب وقد حار من حالة هذا الكونت ومن غناه المفرط . وبعد بريهة قال اعذرني ياسيدي الكونت اني كنت اظن بنفسي انني أُعدّ من اغنياء هذا العصر ولما رايت سموكم تيقنت اني لا ازال مقصرًا عن ادراك درجة الغنى الصحيح فهل ياسيدي الكونت ان غناك هذا حادث او قديم العهد . قال لا بل هو غنى عائلة قديمة كان مدفونًا بالارض اتصل اليَّ بطريقة الاستحقاق فصرت اتصرف فيهِ دون مخاصم ولا منازع وذلك منذ ١٠ سنين تقريبًا فوضعت هذا المال في البنوكة وصرت انتفع بربعهِ فاصرف منهُ المصارف الباهظة ومع ذلك فلا يزال يزيد . فقال دنكلار اذًا ارجوك ياسيدي ان تخبرني عن المبلغ الذي تريد ان

تبقى علي فاني كما اخبرتك مستعد لدفعهِ . قال الكونت اعلم يا دنكلار ان مرادي اقيم في باريس خمس سنة ولهذا يلزمني من محلك مقدار مئة ملايين فرنك فضلاً عن انهُ يلزمني من العلائق الاخر ما يضاعف هذا القدر مرارًا . فلما سمع دنكلار كلام الكونت اضطرب وارتجف واصفر وجههُ وكاد يجن الاَّ انهُ تجلد حياء من الكونت فلم تخف على الكونت حالتهُ . وصار دنكلار يزيد في اكرام الكونت واعتبارهِ ثم طلب اليهِ ان يعرفهُ باهل بيتهِ وزوجتهِ فاجابهُ الى ذلك ولما قابل الكونت زوجة دنكلار سلمت عليهِ وحيتهُ واكرمتهُ وكذلك سائر من في البيت ولا سيما دنكلار فانهُ كان يخدمهُ بنفسهِ ولما قصد الكونت الذهاب رافقهُ الجميع الى خارج القصر وقبل ان يركب في المركبة قالت لهُ زوجة دنكلار اني ارى خيل هذه المركبة من اجمل خيل باريس وقد تعلق قلبي بها فياحبذا لو كان زوجي ياتي بمثلها . فقال لها الكونت ان عندي حصن احسن منها ولذلك التمس منك ان تقبليها مني على سبيل الهدية . فامتنعت . فقال لا بد من ذلك . ثم ركب المركبة وسار ولما دخل قصرهُ امر خادمهُ الاسود ان يذهب بخيل المركبة و يقدمها هدية منهُ لزوجة دنكلار فسار بها ودفعها اليها فشكرتهُ على ذلك

· وشاع في مدينة باريس ان الكونت دي مونتوكريستو هو اغنى رجل في العالم وصار دنكلار يحدث به اصحابهُ ومعارفهُ ويخبرهم باخبارهِ حتى كان الجميع يتعجبون من هذه الثروة ومن هذا الكونت الكريم . ولما بلغ زوجة دي فيلفور مدعي عمومي المملكة خبر هذا الكونت وانهُ وهب الى زوجة دنكلار خيل مركبتهِ التي تساوي اكثر من ثلاثين الف فرنك حضرت اليها وطلبت منها ان تسمح لها بالمركبة التي بها تلك الخيل لتذهب للتنزه في خارج باريس . فاجابتها وركبت بالمركبة مع ابنها . وسارت بهما ولما صارت خارج باريس وقربت من جهة قصر الكونت جمحت الخيل ومالت لجهة الطريق المودية الى القصر وكان بفكرها ان يذهبا في غير طريق فحاول سائق المركبة ارجاع الخيل بكل قوتهِ فلم يقدر بل طارت تسبق الرياح وزوجة دي فيلفور تصيح وتنادي خوفًا من ان تقع المركبة فتنكسر فيلحق بهما الضرر . وكان الكونت ينظر ذلك من طاقة قصرهِ ولما راى ما هما عليهِ ارسل خادمهُ عليًا الاسود لمساعدة سائق المركبة فركض عليٌّ ومسك في المركبة حتى اوقفها ونظر في داخلها فوجد زوجة دوفيلفور قد اغمي عليها من الخوف والضعف وابنها قد اصفرَّ وارتعب ولم تعد تقدر رجلاهُ على حملهِ فلما علم الكونت بذلك امر خدمهُ ان يصعدوا بهما الى القصر فادخلوهما اليهِ فجعل يطيب بخاطرهما ويسقيهما المشروبات السكرية والماوردية ونحوها و يفرغ عليهما من الروائح الزكية المنبهة حتى هدأ روعهما وسكن جاشهما وامنا على نفسيهما وطاب خاطرهما . و بعد ذلك امر الكونت سائق مركبتهِ ان يوصلهما بمركبتهِ الخصوصية الى محلهما . فشكرت زوجة دي فيلفور فضلهُ على معروفهِ وكرمهِ ورجعت في مركبتهِ وهي وان كانت في حالة خوف ورعب الاَّ انها شكرت تلك الصدفة واسبابها حسنًا وحيثما ان تتوصل الى

الكونت وتتعرف به . ولما وصلت الى بيتها نزلت من المركبة فلاقاها زوجها دو ڤيلفور فوجدها على ما هي عليه وقد علا وجهها الاصفرار فسألها عن حالها فاخبرته بما توقع لها وشكرت له الكونت دي مونتوكريستو على معروفه معها وكيف انه ارسل خادمة معها تخلصها وبعد ذلك اعتنى بها وبابنها بنفسه وعاملها معاملة الصديق الودود على غير معرفة . فقال دو فيلفور صار من الواجب علي اذًا زيارة الكونت لاشكر فضله على جميله معك وفي الغد سار دو فيلفور الى الكونت فترحب به ولاقاه ببشاشة وانس فائق الحد وادخله قاعة الجلوس ولما استقر به المقام اخذ دو ڤيلفور يشكر فضل الكونت وقد قال له اعلم يا سيدي الكونت اني لا اقدر ان اقوم بحق شكرك على معروفك والتفاتك الى زوجتي وابني حال كونك لا تعرفهما حق المعرفة ولا ريب في انك من اجل الناس لطفًا ودعة على انه قل ما يوجد بين الجنس البشري من هو نظيرك . فقال الكونت صدقت فاني لست من البشر لاني دفنت حيًا وبقيت اعوامًا عديدة تحت الارض الا ان الله سبحانه وتعالى اخرجني من مدفني واكرمني بما لا يجب ان افترعن الشكر لاجله حتى ان خادمي ارتيستو يظن اني من بلاد كورسيكا وخادمي علي يظن اني من البلاد العربية وعندي فتاة رومية اسمها عائدة تظن اني من بلاد اليونان وكل منهم يجهل حالتي . قال له كيف دفنت حيًا وبقيت كل هذه المدة ثم عادت لك الحياة بعد . فقال ليس على الله من امر عسير فان جماعة الاشرار قد قصدوا اهلاكي واخفاء اسمي فلم تساعدهم العناية على ذلك . قال من هم اولئك الاشرار الذين تجاسروا على عمل نظير هذا . قال هم قوم لا يمكني الان اظهار اسمهم . انما اسالك وانت بصفة مأمور حكومة اذا فعل معك هذا الفعل جماعة لاجل غاياتهم الخصوصية ونفعهم الذاتي او بالحري ليكسبوا بعدك امر ربهم بماذا كنت تجازيهم . قال لا ريب في اني احاكمهم وادع المحكمة تحكم عليهم بالاعدام موافقة للنظام . قال لا بد لي من عذابهم وبعد ذلك موتهم ولكن افعل ذلك بنفسي وانتقم منهم فردًا فردًا بعناية الله تعالى الذي حفظني من كل الاخطار واحياني بعد الموت واخرجني من العدم الى الوجود فزاد تعجب دو فيلفور من كلام الكونت وعلم انه قادر على اكثر مما يقول لعظم غنائه وهيبته لانه كانت تلوح له منه فضلًا عن الوقار شجاعة وبسالة واقدام حتى لا يصدق انه من البشر . وبعد ان تكلما كثيرًا بامور داخلية وخارجية ودع الكونت وسار بعد ان سأله ان يزوره في بيته فاجابه وبعد ان خرج دو فيلفور اقام الكونت وحيدًا وكادت تنفطر مرارته من مقابلته عدوه الالد الذي رماه بذلك السجن لينال بهلاكه الشرف الا انه وطد نفسه على الانتقام وصبر يترقب الفرص وينتظر الوقت المناسب لاتمام غاياته وفيما هو في هواجس وهوادس دعته عائدة الرومية فحضر اليها فلاقته وترحبت به وقبلت يديه وعارضيه وعاتبته على صمته والانفراد وحده وقالت له الا يا سيدي لا تفتكر بي الا تعلم اني انا خادمتك الخصوصية واني صنيعتك وما فعلته معي من المعروف واوصلته الي من الاحسان لا اقدر ان اقوم بحق وصفه . فقال الكونت كلا

لي بعد خادمة ولا جارية ولك الحرية التامة المطلقة على اني وان كنت غارقاً ببحار هواك وحبك قد ملأ قلبي الا انني لا ارغب في تقييدك ضمن دائرة ربما ترغبين في التخلص والتملص منها فاذا نظرت احد الشبان واخترت ان تقترني به فاطلعيني على ذلك فاني اقوم به مع الفرح الزائد اكراماً لخاطرك لاسيما وفي هذه المدينة مع الحرية التامة كثير من الشبان الاغنياء الذين ربما اذا راوك يتمنون الاقتران بك لان جمالك هذا قل ما وجد في فتاة من فتيات هذه المدينة فضلاً عن آدابك وحسن صوتك فكل ما فيك فهو كامل . واما انا فاني قد دخلت سن الكهولية وتجاوزت السن الذي كان ينبغي ان اكون فيه حبيباً لصبية نظيرك فلما سمعت عائدة كلامه بكت ورمت نفسها عليه وهي تقبل يديه وقالت له انت تعلم ياسيدي اني بكل ارادتي منقادة الى حبك واني في كل دقيقة اتمنى ان اراك وتكون بالقرب مني اسمعك انغامي الشجية واتبارك من انوار وجهك الذي هو اشبه بوجوه الملائكة ابي كنت احب والدي كثيراً وهو شيخ فكيف لا احبك وانت احنّ عليّ من ابي المتوفى ومعاملتك اياي معاملة الابله المشفوقين وعلى هذا ياسيدي فاني ارفض الحرية التي اطلقتها لي واطلب اليك ان تعاملني دائماً كجارية ترغب من كل قلبها في خدمتك وتشتهي ان تقبل يديك تبركاً ومحبةً

وصار الكونت من ذلك الوقت يكثر من القيام معها وقد حنت اليها جوارحه لانه يعلم انها غريبة وانها لا تعرف احداً في المدينة سواهُ وانها راضية بذلك وهي تشعر بعمل المعروف ولا يضيع معها الجميل وقد اخلص لها حبه وعلق قلبه بها والقى رجاءه عليها كما كانت تلقي كل آمالها عليه وعادت اسس المحبة تتمكن فيهما وينمو الوداد يوماً فيوماً وقد وطد الكونت امله ان يعوضها بمرسيداس خطيبته ويتزوج بها بعد ان يروق باله وتتفرغ اشغاله وينتقم من اخصامه

وبعد ان صرفا وقتاً ببث لواعج الغرام والشكوى افترقا فامر الكونت خادمه علياً ان يهيء له المركبة ففعل فركب عليها وصار قاصداً بيت مكسيمليان ابن صديقه الخواجه موريل لانه كان قد وعدهُ انه يزوره في بيته عندما كانا في بيت البير ابن مرسيداس . ولما وصل الكونت الى هناك خرج مكسيمليان فلاقى الكونت من خارج الباب وترحب به وادخله الى قاعة الجلوس ودار بينهما الحديث وكانت قد دخلت عليه جوليا بنت موريل وكانت قد تزوجت بعمانوئيل الكاتب فسلمت على الكونت مزيد السلام واعتبرته مزيد الاعتبار وكانت في اكثر الوقت شاخصة اليه تحقق النظر في وجهه . وكذلك راى الكونت في صحن الدار وهو داخل بنلوب النوتي وقد صار شيخاً مسناً الا انه لم يترك بيت سيده بل كان يخدمهم بقدر استطاعته . وفي اثناء ذلك نظر الكونت على مائدة من الرخام الابيض قائمة في نصف قاعة الجلوس انية من البلور الصافي موضوعاً فيها كيس من الحرير الاحمر فنظر فيه برهة وقد تذكر بواسطته كل الحوادث الماضية . ثم التفت الى مكسيمليان وجوليا وقال لهما ارجوكما ان تفيداني عن امر صرت منه في ارتباك . فقالا سل ما شئت . قال اني ارى داخل هذه الانية البلورية

هذه القطعة الحمراء موضوعة بترتيب يدل على انها ذات قيمة واعتبار ولم ارّ مثل ذلك في كل المحلات فلا بد لذلك من سبب لان في مثل هذه المراكز لا توضع الا التحف الثمينة والاشياء القديمة التي تدل على حادث مهم او تاريخ خطير او صور رجال مشاهير. فقال له مكسيمليان اعلم ياسيدي الكونت ان هذا كيس من الحرير الاحمر وان جميع عائلتنا تعتبر هذا الكيس وتكرمه اكثر من كل ما ذكرت لانه من اصدق الاحباء واحب الاصدقاء وقد امرنا والدي المرحوم بتكريمه وحفظه حتى الموت. ونحن حتى الساعة لا نظن الاّ انه من الملائكة الصالحين قد اهداهُ الى ابي لحفظ بيتنا من الخراب وحياته من الهلاك. فاظهر الكونت على نفسهِ التعجب وقال ارجوك ان توضح لي معنى ما ذكرت لاني لم افهم منه شيئًا يدعو الى عظم اعتبار هذا الكيس الذي يعمل كل ما ذكرت. فقال اعلم ياسيدي الكونت انه في سنة بؤْس تاخر المرحوم والدي وتكسر له خمس مراكب مشحونة لحسابهِ وكان عليه دين ولاجلهِ كان قد اختفى في البيت منتظرًا الفرج القريب من الله وفي اثناء ذلك حضر اليهِ بعض الملائكة بزي رجل انكليزي مدعيًا انه آتٍ من قبل محل تومسون الشهير من رومية وبيده تحاويل عليه بمبلغ عظيم جدًّا فسالهُ ابي المهلة فامهله الى ٣ اشهر وفيما هو خارج من غرفة ابي صادف شقيقتي جوليا فسلم عليها وقال لها سارسل لك كتابًا بامضاء السندباد البحري فافعلي كل ما هو مسطر بهِ. وبعد نهاية المدة المعينة لم يتيسر لوالدي ان يدفع شيئًا من المبلغ المستحق عليهِ دفعهُ لهذا الرجل فعزم على ان يقتل نفسهُ فاخذ طبنجة وملاها رصاصًا وبارودًا وقد حاولت كثيرًا ان امنعهُ فلم اقدر لانه قال لي ان الموت خير لي من الفضيحة وكسر الاسم وشماتة الاعداء اللئام وبات ينتظر الدقيقة المعهود فيها حضور الرجل او بالحري الملاك ليبيت نفسهُ بحضوره املاً بان يكون ذلك اكبر عذر يشفع بحالهِ عنده وفيما كان واضعًا الطبنجة في فمهِ وكل من كان في البيت يبكي وينوح ويندب من جهة اذ دخلت شقيقتي جوليا عليهِ واخبرتهُ بالفرج وذلك ان الملاك ارسل لها تحريرًا بان تذهب الى احدى اللوكندات فذهبت فوجدت هذا الكيس متروكًا هناك وفيهِ التحاويل وقد كتب عليها امضاء محل الخواجات تومسون باستلام كامل المبلغ من والدي وكذلك وجدنا ورقة ايضًا بامضاء المحل المذكور على بنك المملكة بمائة الف فرنك وابلغ من ذلك ان داخل الكيس ايضًا ورقة صغيرة ملفوف بها جوهرة تساوي مثل هذا المبلغ ومكتوب على نفس الورقة. هذه اعانة لزفاف جوليا على عمانوئيل. وعلاوة على ذلك فان مركبنا فرعون الذي كان قد غرق موخرًا بعد خمس المراكب الاولى ارجعهُ الينا هذا الرجل العجيب وهو انه بعث رجلاً من قبلهِ مع رئيس مركبنا وملاحيها فاشترى مركبًا نظير فرعون وذهبوا بها الى الهند فشحنوها من الدودة العظيمة الثمن واحضروها في نفس ذلك اليوم الذي اعتاض به خرابنا بفرح لا يكاد يوصف فانظر ياسيدي الكونت عمل هذا الملاك او الاله لانهُ لا يظن ان احدًا من البشر يفعل هكذا فعل مع اخيهِ فهل لا يليق بنا ان نعتبر هذا الكيس ونجعل لذلك الودود تذكارًا ابديًا يجعلنا ان

نشعر بفضله كل دقيقة لا سيما ونحن عائشون بنعمه وخيراته على انـا حتى الساعة لا نعرف من هو ذاك الرجل بالتمام ولم نعد نقف له على خبر . فقال الكونت ان هذا حادث عجيب وهل والدكم ايضاً لم يعرف ذاك الرجل ولا توهم انهُ يعرفه . قال مكسيمليان ان والدي قال ان هذا العمل بدون شك هو عمل ادمون دانتاس احد معارف ابي واصدقائه غير اني لا اصدق ذلك لان ادمون كان قد سجن ظلماً في قلعة شاتوديف وقد تعب ابي تعباً لا يوصف في امر خلاصه دون الحصول على نتيجة واخيراً عرفنا انهُ مات في السجن فبكى والدي عليه كثيراً وفضلاً عن ذلك فان ادمون كان فقيراً فلا يظن انهُ يقدر على عمل كهذا لا يكون الا من اعظم اغنياء العالم الاَّ ان والدي كان متكدراً جداً من الحالة التي وقع فيها ادمون وقد اوصاني كثيراً بالبحث عن اخصامهِ للانتقام منهم اخذاً بثاره وعليه فليكن موكداً عندك يا ايها الكونت ان وصية ابي هذه راسخة في ضميري واني في اي دقيقة عرفت بها اخصام ادمون الذين قادوهُ الى الموت ظلماً لانتقمت له منهم واتممت وصية المرحوم والدي . فقال الكونت ولما والدك كان يحب ادمون هذه المحبة على انهُ غريب منهُ . قال ليس هو غريب منهُ لان ابي رباه منذ الصغر وكان في مركبنا فرعون طول حياته قبل السجن . حتى صار اخيراً رئيساً على المركب فرعون وما كان يزيد ابي حباً فيه استقامته وامانته وحبه لنا وانعطافه على شغلنا واهتمامه بحفظ مصالحنا وضبط اموالنا وما اغاظ ابي كثيراً موت والد ادمون جوعاً لانهُ كان لعزة نفسه لا يظهر احتياجه لاحد فنرغت منهُ الدراهم اثناء مرض كان وقع به من حزنه على مصاب ولده ومات دون ان يكون عنده ما يسد به رمقه ودون ان يكون بين يديه الاَّ مرسيداس خطيبة ولده التي كانت لا تقدر ان تساعده الا بخدمته . فتاثر الكونت من هذا الكلام وكادت تسقط دموعه غصباً عن تجلده وتصبره . فقاطع مكسيمليان وقال له دعنا من ذكر حادث كهذا يصدع لسماعه قلب الجماد واخبرني عن موت ابيك وماذا قال لكم عند موته . قال انهُ لما شعر والدي بالوفاة وهو على فراش مرضه دعاني ودعا اختي جوليا فاحتضنا فقبلنا اياديه وقد اغرقنا الفراش بدموعنا ثم قال لنا اعلما يا ولديَّ اني اموت الان على فراشي مرتاحاً غير مكدر من شيء لان الامر الوحيد الذي كان يكدرني من قبل هو سجن ادمون دانتاس وقد تأكدت انهُ تخلص من السجن وحضر لمكافاتي فاموت الان وانا اشعر بفضله لان كل ما عملته معهُ لا يوازي مثقال ذرة مما عمله معي وياحبذا لو كنت اراه الان وقد رايته عند شاطىء البحر وافهمني عن نفسه دون ان انتبه اليه الاَّ بعد ان بعد عني او بالحري ياحبذا لو كنت قدرت ان اكافيه بمعرفة اخصامه والاقتصاص له منهم . ثم قال الكلمة الاخيرة . يا ادمون يا ادمون يا عزيزي ياذا اليد البيضاء واسلم روحه . فلم يقدر الكونت ان يضبط نفسهُ عند سماعه هذا الكلام بل تساقطت دموع عينيه مدراراً وتبين لمكسيمليان وشقيقته تاثره العظيم . ثم اخذ برنيطته دون ان يقدر ان يكفكف دموعه وودعهما وخرج باكياً حزيناً على صديقه موريل وعظم حبه له

وبعد ان خرج الكونت من هناك قال مكسيمليان لشقيقته كيف رأيت هذا الكونت العظيم فانه على اعظم جانب من لين الطباع وكرامة الاخلاق والحب . فقالت صدقت فاني تعلقت بحبه كثيرًا دون قصد لا سيما وأن هيئته وكلامه يذكراني اني رايته وسمعته ذات مرة الا اني لم اكن اعرف في اي مكان وبعد ذلك لبس مكسمليان برنيطته وخرج من بيته قاصدًا بيت موسيو دو فيلفور فدخل في غرفة بطرف القصر هناك كانت تنتظره فيها بنت دو فيلفور واسمها فالنتين من زوجته الاولى المتوفاة وكان مكسيمليان يحبها كثيرًا وهي ايضًا تحبه وتطلب قربه في كل دقيقة وكانا يومّلان بالاقتران الا ان امرًا عظيمًا كان يحول دون ذلك لان دو فيلفور كان يكره مكسيمليان لانه من حزب البونابرتيين كما كان مكسيمليان يكره فيلفور كونه من حزب الملكية غير ان رجاءها بموسيو نوارتيه والد فيلفور الذي كان من روساء احزاب نابليون كان عظيمًا الا انه شاخ وعجز ووقع بداء الفالج حتى كان لا يحسن على القيام ولا يقدر التكلم انما كان وعيه باقيًا ومقامه في بيته على اصله . وبعد ان اجتمع مكسيمليان بخطيبته وقبلها وقبلته اخذ كل منهما يشرح للاخر ما لاقى من جرى بعده ويبين له ما في قلبه من غرامه وهيامه وبينما هما على ذلك نادى فالنتين اخوها وامرها ان تحضر الى القصر وقال لها ان الساعة حضر الينا الكونت دو مونتوكريستو وهو الرجل الذي خلصني مع والدتي من الهلاك . فتركت فالنتين حبيبها وسارت الى قاعة الجلوس فوجدت الكونت جالسًا فتقدمت اليه وسلمت عليه فترحب بها واجلسها بقربه واخذوا في تبادل الاحاديث والاطراف باحوال المملكة وغرائب الصدف الى ان انتهوا الى ذكر ما وقع على زوجة دو فيلفور وولدها من الخوف حينما كانا في المركبة . فاذ ذاك قالت زوجة دو فيلفور ارجوك ياسيدي ان تخبرني عن الشراب الذي شربناه في محلك حينما كنا في تلك الحالة الرديئة فاني لا ازال اتذكره ولا يبرح طعمه من فمي وبالي لانه فضلاً عن لذته وطيبه فهو من المنعشات المرطبات ولا اظن انه يوجد عند غيرك مثله لاني لم اره قط عند احد . فقال الكونت نعم انه لا يوجد عند احد نظيره فاني اعرف تركيب مشروبات كثيرة نافعة ومضرة لا يعرفها احد غيري وهذا الشراب اصطنعته لعلمي انه يلزم لوقت ما كالوقت الذي اتيت فيه الى قصري مع ولدك في حالة الخوف وضياع العقل . فقالت زوجة دو فيلفور وهل تعرف ياسيدي ايضًا تركيب مشروبات سامة كما انك تعرف تركيب مشروبات غير سامة . فلحظ الكونت ان مرادها تتعلم تركيب مشروب سام لتستعمله . فعلمها عدة تراكيب سامة الا انه مال لها اخيرًا اني وان كنت اعرف كل هذه المشروبات السامة انما لم استعملها مرة واحدة ولا اريد ان استعملها فعلى هذا ينبغي اذا علق بفكرك شيء مما ذكرته ان لا تستعمليه حياتك بطولها ارضاء لله تعالى الذي يوصينا بالبعد عن قتل النفس . فوعدته بذلك غير انها كانت مصممة على عمل السم واستعماله مع بعض اهل بيتها ولا سيما ابنة زوجها فالنتين التي كانت تكره السلام الى وجهها وسياتي توضيح ذلك في محله . ولما انقضت المجالسة ودعهم

الكونت ورجع الى قصره . فدخل على عائدة الرومية وحياها فلاقته ببشاشة لانها كانت تنتظر قدومه وقبلت يده فقبلها وجلس عندها يطرب بانغامها الشجية ويبل شوقة بالنظر الى جمال وجهها البديع

وفي مساء ذاك اليوم كان تشخيص رواية في المرسح العام من اجمل الروايات وكان مجتمعاً في قاعة الفرجة جماهير من اهل المراتب والمناصب العالية والامراء وكانت القاعة تجمع ايضاً دو فيلفور وزوجتة واولاده وموسيو دنكلار واهل بيته ودي مورسرف وزوجتة مرسيداس وولده البير . وكلهم ينتظرون بداءة التشخيص وعند ذلك دخل الكونت دو مونتوكريستو وفي يده عائدة الرومية وهي تكاد تفضح جمال كل النساء اللاتي كنّ في قاعة التشخيص حتى ان كل الموجودين مالوا بانظارهم اليها والى الكونت متعجبين مما هو عليه من الهيبة والوقار وباهتين في ملابسه العجيبة الغريبة ولا سيما في عبده علي الاسود الذي وقف بباب المرسح بكل وقار ينتظر خروج سيده ومحبوبته ليرجع بخدمتهما وبعد ان استوى الكونت جالساً بجانب عائدة في مكان مناسب بمقامه اتاه البير وقال له ياسيدي اني رسول من قبل زوجة دنكلار وزوجة دو فيلفور لانهما تطلبان ان تشرف الى المكان الذي هما فيه وترغبان في ان تكون بينهما . فقال الكونت اني ارى ما هو اهم من ذلك فان جمهور الجالسين في هذا المكان ينظرون اليّ كأني المشخص او اللاعب ولا اعلم لذلك سبباً . فقال البير الا تعلم ياسيدي ان عامة اهل باريس قد عرفت بغناك وعلمت بانعطافك على الفقراء والمظلومين حتى انهم طالما تحدثوا باحاديثك واخبارك في قاعاتهم واجتماعاتهم دون ان يعرفوك . والان قد تيسر لهم ان ينظروك فامعنوا فيك محققين كل ما كانوا يسمعونه عنك من الاخبار فانهم عرفوا انك انقذتني بهيبتك من ايدي اللصوص حينما كنا في رومية وعرفوا بمعروفك مع زوجة دو فيلفور وانها لا سيما وقد عرف الجميع انك تقيم هنا لمحروسة فتصرف ستة ملايين فرنك ستقبضها من دنكلار فضلاً عما تقبضه من غير محلات واكثر من ذلك انهم ينظرون الى عائدة الرومية التي معك لانها اجمل من نساء فرنسا دون شك فعند ذلك قال الكونت لعائدة ابقي هنا قليلاً فساعود اليك . ثم تركها وذهب الى المحل المدعو اليه فلاقوه الجميع واحتفلوا به وحيوه بالوقوف فجلس بينهم وجعل يكلمهم وكل منهم يطلب منه ان يقيم بجانبه الا انه جلس بقرب مرسيداس وزوجها فرنان وجعل اكثر كلامه مع فرنان . ولما طال المطال على عائدة الرومية ولم يرجع الكونت اليها تطاولت لترى مع من هو جالس وحالما وقع نظرها عليه وعلى الجالس معه صاحت وارتمت الى الارض مغشياً عليها . فقام لذلك ضجة كبيرة وغوغاء وفي الحال اسرع علي الاسود واعلم الكونت بذلك فركض اليها واخرج شيئاً من المشروبات التي كان يصحبها دائماً معه فسقاها قليلاً فانتبهت حالاً وجلست مستكنة تنظر اليه بجنون وترمق في الحاضرين . فطلب الكونت الافراج فذهب كلٌّ الى مكانه . ثم سالها عن حالها فقالت له اني لا اقدر ان اخبرك بالسبب الموجب لما اصابني دون ان تفطر مرارتي ويشق كبدي . فكانت تقول يا ايها الكونت ان تجلس مع

هذا الرجل الخبيث المحتال الذي لا اظن انهُ يوجد على الارض رجل شرير مثلهُ اهلكهُ الله وجازاه على قبائحهِ بالموت الا تعلم انهُ خدم عند ابي مدة من السنين وكان مستلمًا مهام اشغال ابي واموالهِ وكان بيده الدخل والخرج حتى انهُ جمع اموالاً غزيرة واخيرًا عمل عليهِ دسيسة وباعهُ الى العساكر العثمانية اثناء حرب اثينا وسلمهُ بالحيلة الى قائد جيوش السلطان محمود فكيف اطيق ان اراه ياسيدي الكونت او بالحري كيف يمكني ان اشاهدك بقربهِ وانت عندي اعز من ابي ومن كل معارفي . فارجوك ان تذهب بي من هنا ياسيدي لاني ان بقيت هنا ساعة اخرى فاني اموت لا محالة فاني اشعر بجسمي ضعف وتعب حتى لا اكاد اقدر على الحركة فارحمني وابعدني من هنا . فاخذها الكونت وذهب بها من التياترو الى قصرهِ وهو يطيب بخاطرها ويباسطها ويقول لها لا بد لي من اخذ ثارك فكوني براحة لكن يجب ان تثبتي لي في الغد هذا الحديث وتوضحيهِ اكثر لاعرف كيف هذا الرجل قدر على ما ذكرتيهِ ثم ان الكونت وضعها في فراشها وبقي عندها الى ان نامت فتركها وذهب الى غرفتهِ

ولما كان صباح اليوم الثاني نهض من فراشهِ وفكرهُ مختبط بمعنى ما ذكرتهُ عائلة الرومية عن دومرسرف زوج مرسيداس وقال في نفسهِ انهُ تبين لي وجه الانتقام من هذا الشرير فلا بد من الاستقصاء عن صحة هذا الخبر والايقاع بهِ وبعدهُ الحق دنكلار وفيلفوربهِ وفيما هو على ذلك اخبره الخادم باتيان البير ابن مرسيداس فاذن لهُ ان يدخل فدخل اليهِ فحياهُ الكونت وامره ان يجلس بجانبهِ فجلس فراى وجهه لوائح الاضطراب فعلم ان لا بد لاتيانهِ من سبب . فقال لهُ ما لي اراك يا ايها الصديق في اضطراب فان كان لمجيئك هذا من سبب فابدهِ فاني افرج عنك واساعدك بكل ما تريده . قال اعلم ياسيدي الكونت انهُ لا يخفاك اني خطبت ابنة دنكلار رغمًا عني لاني اكرهها ولا احب ان اراها واعظم داعٍ يدعوني الى تركها هو بغض ابيها عندي الاَّ ان والدي اجبرني الى ذلك وطالما طلبت الخلاص من هذه الخطبة فيمنعني والدي وفي عزمهِ ان يزفني عليها في هذه الايام ووالدتي ايضًا تكرهها اكثر مني ولذلك قصدت ان اطلعك على هذا الامر املاً بان تساعدني بآرائك وتمدني بمشورتك على التخلص من خطبة بنت دنكلار . فقال الكونت اعلم ياولدي ان موسيو دنكلار هو من اصدقائي واصحابي وكذلك ابوك ايضًا فانهُ من اعز الناس عندي فكيف يمكني ان اغضبهما والاَّ فاني قادر على خلاصك حالاً انما لا بد من مساعدتك وخلاصك بطريقة مخفية لاني طالما قصدت خلاص المظلومين وردع الظالمين . وبما انهُ بعد ايام قليلة يقام في قصري ليلة احتفال ورقص فارجوك ان لا تحضر تلك الليلة بين المدعوين فان لي بذلك مآرب تفهمها فيما بعد . فقال سمعًا وطاعة . ثم ودعهُ متكلاً عليهِ بخلاصهِ من خطبتهِ

ولا يخفى ان الكونت دومونت كريستو كان كل هذه المدة يبحث عن الغلام بنديتو الشقي وهو الذي كان رباه ريشتو خادم الكونت حينما كان موسيو دو فيلفور مزمعًا على دفنهِ حيًا في الارض

وقد تقدم ذكر ذلك . وكان سبب ذلك البحث ان الكونت تاكد ان دي فيلفور وزوجة دنكلار متعاشقان متحابان لا يفارقان بعضهما فترجح ان هذا الولد لا بد ان يكون ابنًا لدو فيلفور من زوجة دنكلار فعزم ان يكبح به الاثنين . ولا زال في التفتيش عليهِ سرًّا الى ان اهتدى اليهِ . فدعاهُ وبشّ في وجههِ وقال لهُ اتعلم يابنديتو ابن من انت . قال ماذا يعنيني ذلك . قال انهُ ورد لي تحرير من الخوري بوسيوني يوصيني بك ويخبرني بانك من عائلة فالكانتي الامراء من ايطاليا وهذا ابوك هنا . ثم احضر الكونت رجلاً كان قد هيأهُ عندهُ لهذه الغاية . ثم قال لهُ ينبغي اذًا ان تدعوهُ من الان وصاعدًا ياابي وهو يدعوك ياولدي وبناء على توصية الخوري المذكور اعين لكما كل سنة خمسين الف فرنك بشرط ان تكون منقادًا اليّ وتطيع هذا الذي يقول عنهُ الخوري انهُ ابوك . فلما سمع بنديتو هذا المقال كاد يطير من الفرح وقال هل ذلك صحيح باني من عائلة اشراف ايطاليا وهل اخذ منك كل سنة خمسين الف فرنك . قال الكونت لا ريب في ذلك وما كما تحويل الان على محل دنكلار فاقبضاهُ ودائمًا يجب ان تحضرا عندي وتتظاهرا بالغنى والشرف وانا اكرمكما ليعرف الناس قدركما ولا بد من اني ازوجك ببنت من اشراف هذه البلاد فاخذ الغلام التحويل وسار في مركبة الكونت وقبضاه ومن ذلك الوقت صار بنديتو يعد من الاغنياء والشرفاء وصار الرجل يقول لهُ ياولدي وهو يقول لهُ يا ابي وسياتي ذكرهما

ولنرجع الان بالقاري الى البيت الذي هو بزاوية بيت دو فيلفور في بستانهِ فانهُ كان داخلهُ مكسيمليان ابن موريل وخطيبتهُ فالنتين . وبعد بث غرام وشرح شكوى وهيام قالت فالنتين ودموعها تتساقط كاللالي على صفحات وجنتيها . ارجوك ياحبيبي ان تساعدني وتمدني برائك فان ابي ازمع ان يزفني قريبًا على فرنند ابن الجنرال كاستل الذي قتل في زمان نابليون وفي زعمهِ ان يجبرني على ذلك فماذا يصيرني ياترى اذا تم اقتراني بهذا الشاب وبعدت انت عني . وكانت فالنتين واضعة يدها بيدهِ وساندة راسها على كتفهِ . فلما سمع مكسيمليان كلامها وشاهد بكاها لم يقدر ان يضبط نفسهُ عن البكاء ثم قال لها لا راي عندي الا بالمنادات بالشرف والناموس او ببذل النفس وارتكاب جريمة القتل . وذلك اما اني اقتل فرنند كاستل واما اني اهرب بك الى غير هذه البلاد وهو الاسهل علينا والاقرب . قالت لا يمكن ان يكون ذلك فان شرفي عزيز عليّ . قال اني اجد طريقة اخرى . قالت وما هي . قال ان نلقي اتكالنا على الكونت دو مونتو كريستو ونطلب منهُ المساعدة . قالت كيف يمكنك ان تطلع رجلاً غريبًا على سرنا . قال لا باس من ذلك فانهُ احب اليّ من ابي فاني ارى في انعطافهِ على صالحي ما يوكد لي حبهُ لي . قالت وما البرهان على ذلك . قال ان البراهين كثيرة واعظم البراهين اني نظرت فرسًا من اجود خيول الركب لا اظن لها مثيل بين جياد الخيل فمالت نفسي اليها فسالت عن ثمنها فقيل لي ان ثمنها عشرة الاف فرنك فتعسر عليّ دفع المبلغ لانهُ لا يمكني ان ادفع

هكذا مبلغاً ثمن جواد اركبهُ . فاعرضت عنهُ وفي قلبي من حبهِ امر خطير وانا متحسر على عدم اقتداري على ابتياع هذا الفرس وفي مساء ذلك اليوم اجتمعت مع الكونت فسالني عن الفرس كانهُ كان حاضر معي او عارف ما بقلبي فاخبرتهُ بخبرهِ وانا متعجب من معرفتهِ بذلك وفي مساء ذلك اليوم اجتمع عندي جماعة من الاصحاب ومن جملتهم الكونت فطلبوا ان نلعب بورق الشدة فاجبتهم حياء من الكونت لاني لا اعرف اللعب الا قليلاً الا اني ربحت ٣١ الف فرنك وذلك من الكونت لانهُ كلما جاء الدور الذي يخسر معي حتى خسر كل هذا المبلغ فانظري حبهُ فانهُ قصد ان يوصل هذا المبلغ لي بهكذا طريقة لانهُ يعلم ان عزة نفسي لا تدعوني ان اقبل منهُ هكذا مبلغ على سبيل الهبة

وفي تلك الساعة سمعت فالنتين صوت خادمتها تناديها فقالت لمكسيمليان اذهب الان وساجتمع بك غداً فنبحث عن الطريقة الموافقة . ثم ودعها وذهب حزيناً كئيباً خائفاً من ضياع حبيبتهِ وذهبت فالنتين الى خادمتها فقالت لها ان جدك يدعوك حالاً فاذهبي اليهِ فدخلت عليهِ فوجدتهُ في كآبة وغم زائدين وذلك ان دوفيلفور وزوجتهُ كانا عندهُ واتفقا امامهُ على زواج فالنتين بفرنند بن الجنرال كامنتل وكان نوارتيه يكره ذلك . فلما رآها اشار اليها ان تاتيهِ بالقاموس فاتتهُ بهِ . وكان مصطلحاً معها ان يكلمها بالقاموس لانهُ كان لا يقدر على الكلام لداعي الفالج انما كان يحسن الاشارة . فاتتهُ بالقاموس وجعلت تقلب اوراقهُ من حرف الالف حتى انتهت الى الكاف فاشار لها هنا فجعلت تشير الى موادهِ حتى وقفت على كلمة كاتب . ففهمت ان مرادهُ كاتب واستنتجت من القرينة ربما كان مرادهُ كاتب شرعي ليكتب وصيتهُ فسالتهُ عن ذلك فاغمض عينيهِ علامة بان هذا قصدهُ . واذ ذاك دخل ابيها دوفيلفور وفهم كلامهما فتكدر في داخلهِ وقال لابنتهِ لا تدعي كاتباً شرعياً ولا حاكماً فاظهر والدهُ الغيظ واشار الى فالنتين انهُ لا بد من احضار الكاتب فحالاً بعثت خادمتها فاحضر كاتباً من المحكمة فلما حضر الكاتب سال عن سبب حضورهِ فاخبرتهُ فالنتين بارادة جدها فسالهُ فلم يردّ عليهِ جواباً ففهم انهُ لا يحسن التكلم . فقال كيف تدعوني لكتابة وصية والموصي لا يقدر ان يعبر عن افكاره . فقال دو فيلفور اني كنت لا احب ان اصدع خاطرك وادعوك لعلمي ان والدي لا يحسن الكلام لتكون الوصية شرعية ويحق لها الاعتبار فيما بعد . فلما سمع نوارتيه كلام ولده زمجر وهدر ونظر الى فالنتين بغضب ففهمت قصدهُ وقالت اني انا افهم ما يريد جدي ان يكلم عنهُ ولذلك اترجم ارادتهُ . فقال دوفيلفور لا تصدق ذلك لان لها بذلك مقاصد خصوصية ويجب ان توهم ان جدها يريد ان يوصي لها بالوصية . فقالت فالنتين يا ايها الكاتب ان كنت ترتاب في قولي فاني اريك عياناً بحيث يمكنك ان تفهم من جدي كل ارادتهِ فخذ هذا القاموس واقلب في اوراقهِ وامالهُ عند كل مادة فتعرف من اشارتهِ . فالتفت الكاتب الى نوارتيه فاشار اليهِ بذلك ففهم المقصود وقال لا بد اذاً من احضار كاتب اخر معي وشاهدين يشهدان باتمام الوصية . ثم سار وبعد ذلك ببرهة قليلة حضر ومعهُ كاتب

اخروشاهدان فاخذالقاموس من فالنتين وعدمن حرف الالف حتى انتهى الى الواو فاشار نوارتيه انهُ هو المقصود فقرأ الكاتب المواد حتى انتهى الى وصية . فاشار نوارتيه بعلامة نعم . فحرر الكاتب صورة الوصية الشرعية بحسب معرفتهِ . ثم التفت الى نوارتيه وقال لهُ هل تريد ان تعطي كل مالك الى ولدك دو فيلفور . اشار كلاَّ . فقال هل تهبهُ لحفيدك ادورد . اشار كلاَّ . قال اذًا تريد ان تهبهُ لحفيدتك . اشار لا . فتعجب الكاتب . واذ ذاك تقدمت زوجة دو فيلفور وقبلت يديهِ ولاطفتهُ بلين حديثها وقالت لهُ اشفق ياسيدي على حفيدك ولدي ادورد واوصِ لهُ فاظهرمنها الضجر . ثم تقدمت فالنتين وقالت لهُ ياجداه قد اتعبت الحاضرين فلمن ارادتك . فاشار الى يدها ففهمت وقالت اظنك ترغب يدي . ففهم الكاتب غايتهُ بوضع يدها للزواج فقال هل تريد ان تقرن يد حفيدتك بيد شاب . فاشار نعم . فقال هل اذا تزوجت فالنتين تهبها جميع المال . اشار نعم . فقال دو فيلفور اذًا ستتزوج فالنتين بالشاب فرنندفهل تريد ذلك اشار كلاَّ . فقال الكاتب الا تقدران تعطي الوصية لفالنتين اذا تزوجت بفرنند . اشار كلاَّ . قال فماذًا تفعل اذا بالمال . فاشار الى القاموس فاخذ الكاتب القاموس حسب العادة حتى انتهى الى لفظة فقير فاشار نوارتيه بعينيهِ ففهم الكاتب المقصود فقال لهُ اذًا اذا تزوجت فالنتين بفرنند تكون الاموال التي في نيتك ان توصي بها للفقراء . اشار نعم قال واذا لم تتزوج فالنتين بفرنند تكون لها . اشار نعم . ولما سمع ولدهُ وزوجة ولدهِ هذا الكلام كادت ان تنفطر مرائرهما وقصدا ان يغيرا عزمهِ فلم يقدرا . وحينئذٍ قال الكاتب ينبغي ان تعين مقدار الوصية وجنسها فهل تبلغ قيمتها ثلثمائة الف فرنك . اشار كلاَّ . فقال او بعمائةالف فرنك . قال لا . قال كم تبلغ وما نوعها . فعند ذلك اشار نوارتيه الى خادمهِ ان يقرب اليهِ صندوقة الصغير فقربهُ فامرهُ ان يفتحهُ ففتحهُ فوجدوا فيهِ سندًا على بنك المملكة بتسعمائةالف فرنك . وبعد ان نظم الكاتب الوصية قال لنوارتيه اسمع الان الوصية واعترف بها امام هولاء الشهود لتسجل الشهادة فيها . وهي

اني انا صاحب هذه السندات التي قيمتها تسعمائة الف فرنك على بنك المملكة قد اوصيت بها بارادتي وخاطري غير مجبر ولا مضطر الى حفيدتي فالنتين بشرط ان لا تتزوج بفرنند ابن الجنرال كاستل واذا تزوجت بهِ فجميع هذه الاموال تكون اعانة للفقراء تستلمها جمعية الاحسان

وبعد ان قرأ الكاتب على نوارتيه هذه الوصية بحضور الشهود قال لهُ اما هكذا تريد اشار نعم فعند ذلك وقع الشهود شهاداتهم واخذ الكاتبان الوصية لتسجل في سجل المحكمة وتحفظ فيها لحين الحاجة وفي اثناء ذلك حضر الكونت دو مونتو كريستو ودخل قاعة الجلوس فاتى اليهِ دو فيلفور وهو بصورة غضب وكدر فسالهُ عن السبب فاخبرهُ بخبر ابيهِ والوصية . فقال لهُ ان ذلك مسلم لارادة والدك فدع الامور تجري على محورها ولا تهتم بامور لا تعرف نهايتها كيف تكون . وبعد حديث طويل قال الكونت اعلم ياموسيو دو فيلفور اني حضرت الان بنفسي لادعوك لوليمة اعددتها للاحباب والاصحاب

فاطلب اليك ان تشرف فيها مع عائلتك . فاجابهُ الى ذلك . ثم خرج الكونت من محل دوفيلفور وسار حتى انتهى الى بيت التلغراف فدخل اليهِ فوجد رجلاً يتلقى الاخبار الواردة من الجهات فسلم عليهِ ببشاشة . وكانت اذ ذاك اوراق اسبانيا في ارتفاع عظيم جداً ولذلك كان دنكلار قد اشترى منها مبلغاً كبيراً وعرف الكونت باشترائهِ هذا القدر العظيم فقصد خسارتهُ ولذلك اتى محل التلغراف ليجد وسيلة تساعدهُ على ذلك فصادف نجاحاً لانهُ وجد رجلاً كان يعرفهُ انهُ في عوز فدنا منهُ مظهراً تعجبهُ من حال التلغراف فاخذ الرجل بمطلعهِ على اسرارهِ وصنعتهِ ولما دار بينهما الحديث . قال الكونت للرجل كم تاخذ اجرتك مقابلة على خدمتك في هذا المحل قال اني اقبض في كل سنة الف فرنك . قال ما لك ولهذه الخدمة فاني اعطيك الان ١٥ الف فرنك فانبهر الرجل وقال لما ذلك ياسيدي وما هو قصدك قال ان هذا لا يعنيك فان مرادي كتابة بعض كلمات واذاعتها وهذا لا يضر عليك فقط ينبغي ان توذعها في المدينة . قال الرجل افعل ما بدا لك فاني مطيع لك ولو عدمت روحي . وكان الرجل قد مالت اميالهُ الى المال وطمع فيهِ فاستغنى عن هذه الخدمة وطلب النجاح فقبض المال من الكونت وتركهُ يفعل ما يريد فكتب الكونت صورة التلغراف بهيئة اصلية كانهُ وارد من اسبانيا وخرج من المحل وما بعد الا قليلاً حتى انتشر خبر ذلك التلغراف في المدينة وبين التجار وهو . ان جماعة من الاحزاب المضادة ثاروا على الملك وتعصبوا والحال في خطر . اوراق المملكة في هبوط كثير . فلما وقع هذا التلغراف بيد دنكلار كاد يغشى عليهِ وبقي مدة لا يعرف يمينهُ من شمالهِ . ثم اسرع الى البورص ليبيع الاوراق خوفاً من ان تنشب نار اهلية في اسبانيا فيعدم ما بيدهِ من الاوراق وطرح تلك الاوراق للبيع فلم يقبل احد في شرائها فزاد كرههُ فيها وتيقن انها ستهلك لا محالة فقصد بيعها بابخس الاثمان واخيراً باعها فخسر فيها اكثر من مليوني فرنك وكانت هذه هي المرة الاولى ابتدأ فيها الكونت للانتقام من اخصامهِ . وفي غد ذلك اليوم وردت تلغرافات من اسبانيا وجرائد رسمية وتحارير ولم يكن فيها ما يشير الى ذلك فتاكد كذب التلغراف فمسكت الحكومة الرجل خادم التلغراف وسالتهُ فانكر فسجنتهُ اياماً قليلة وبعد ذلك اطلقت سبيلهُ حيث لم يكن لذلك من اهمية كبرى

الفصل السادس

في وليمة الكونت دي مونتوكريستو وما تبعها من الحوادث

تقدم ان الكونت عزم على عمل وليمة فاخرة دعا اليها الاصحاب والاخلاء ولما كان الوقت المعين حضر الجميع وكان من جملتهم مكسيمليان ابن موريل ودنكلار وامراتهُ ودو مرسرف وزوجتهُ مرسيداس والبير وغيرهم من معارف الكونت ولما استقر الجلوس بالجميع وانتظمت حلقة الجماعة واخذوا في السرور دخل من الباب رجل مسنٌ ومعهُ شاب عليهِ ثياب فاخرة تدل على انهُ ذو شان ومقام فلاقاهما الكونت باحتفال خصوصي وقال للحاضرين ان هذا الامير دي فالكانتي من عيال ايطاليا الشهيرة وهذا

والدهُ فتقدم الجميع وسلموا عليهما وترحبوا بهما لا سيما عندما علموا انهما من الامراء المناهير وكان اميل الحاضرين الى الشاب الذي هو بنديتو دنكلار فان الكونت مدحهُ لهُ جدًّا حتى فضلهُ على كل شاب واخبرهُ ان مرادهُ يتزوج بسيدة من سيدات فرنسا . وقبل ان دعا الكونت الجماعة الى مائدة الطعام سار الى ارتيشتو وسالهُ ان كان هيأ كل ما يلزم فقال الخادم نعم هيات كل ما يلزم الاَّ اني اعتذر اليك ياسيدي ان تعفوني من ان احضر بين الجماعة لاني عاينت موسيو دو فيلفور واخاف ان يعرفني فيهلكني على ان نفسي لا تطيق النظر الى وجههِ ولا احب ان اراهُ . فقال الكونت لا تخف من شيء انما اصبر فترى ما يسرك وانظر الى هولاء الجماعة لعلك تعرف ايضًا منهم احدًا فامعن ارتيشتو نظرهُ في المدعوين فعرف منهم بنديتو فقال هذا ياسيدي الكونت الولد الذي اخبرتك عنهُ باني ربيتهُ وهو بنديتو فارجوك ان تسمح لي ان اخفي والاَّ هلكت الليلة لا محالة وظهر المخفي لان الولد ربما اظهر ما في باطن القضية فيفتضح الحال ويتكدر الجميع . فقال الكونت كن مرتاحًا فاني لا ادعوك فكن حيثما شئت . ثم دعا الكونت الجماعة لشرب المدام واكل الطعام وكان قد اعد الكونت الفخر الماكل والمشارب حتى سرَّ الجميع سرورًا لا مزيد عليهِ وكلهم يشكرونهُ ويتعجبون من آنيتهِ والتحف الموجودة عندهُ . ولما اكتفى الجميع من الاكل قاموا الى قاعة اخرى واخذوا في حديث هذا القصر ولاي سبب اشتراهُ الكونت خارج باريس مع ان عندهُ قصر عظيم ايضًا في داخل المدينة فضلاً عن انهُ لا يقيم في باريس الا سنة واحدة فقال الكونت انهُ خطر لي في اول الامر حب النزهة فاشتريتهُ املاً باني اكون مسرورًا بو غير اني كلما دخلت اليهِ اشعر بانقباض وكدر لا مزيد عليهما واظن هذا القصر كان مسكنًا للعاهرات ومرتكبي الفواحش لاسيما عند دخولي لمخدع قرب هذا المخدع فاني اظن ان هناك ارتكب الفعل الشنيع . فتعجب الجميع من ذلك وارتبك دو فيلفور وزوجة دنكلار وجعل كلٌّ منهما ينظر في رفيقهِ فلحظ منهما الكونت ذلك فقصد تكديرهما فقال للحاضرين فهيا انظروا ذاك المخدع الذي اشرت اليهِ فصار الجميع في اثرهِ حتى دخلوا المخدع والتزم دو فيلفور وزوجة دنكلار ان يكونا معهما خوفًا من الملاحظة والايهام على ان الاصفرار كان يعلو وجهيهما وقلبهما يخبط من الخوف وكانا غير قادرين على ضبط نفسيهما . ولما استقر الجميع داخل الغرفة قال الكونت اظن انهُ فعل القبيح حرامًا في هذا المحل وان هذا السرير الموضوع في هذه الزاوية هو لامراة عاهرة فاجرة وهذه الكراسي المقلبة تدل على ان الرجل الزاني قد صدم بها عند ما كان قاصدًا دفن ولدهِ بالزنا وهو في الحياة اي انهُ صدم هذه الكراسي عند ما كان ذاهبًا ليدفن ولد اتاه بالزنا من تلك العاهرة تحت تلك الشجرات الموجودة في هذا البستان وكل ذلك يظهر من الادلة والقرائن وبينما هم على ذلك وقعت زوجة دنكلار الى الارض مغشيًا عليها فاحاطوا بها ورشوا عليها الماء فانتبهت مرعوبة وقد خجلت لما حل بها وقصدت ان تستدرك امرها فقالت وهي غيرمنتبهة لما تقول . فهل يمكن يا ايها الكونت ان تبرهن على

صدق ما تقولهُ وما هي القرائن الموضحة ذلك . قال اني لما اشتريت هذا المحل قصدت ان احفر في البستان بنفسي بقصد التسلي والرياضة فعثرت على كفن من الحرير داخلهُ عظام طفل يظهر انهُ دفن بالعجلة دون ترتيب . وكان الكونت يتكلم وعيناه شاخصتان بدي فيلفوروز وجة دنكلار حتى تبين لهما انهُ مطلع على باطن القضية وان مراده اظهار امرهما ولهذا كان في ارتباك لا يوصف حتى ان الحاضرين كانوا متعجبين من حالتهما وهم يجهلون السبب . ثم افتكر الكونت ان ما عملهُ كافٍ ولذلك غير حديثهُ وبدل اتراحهما وكدرهما وسار بالجميع الى قاعة الجلوس لصرف ما بقي من ذلك الليل . ولما آن اوان النوم انصرف الجميع الى منازلهم بعدان ودعوا الكونت وشكروهُ على افضالهِ الا دو فيلفور ذهب متكدر الخاطر وقد تحقق ان الكونت يقصد عداوتهُ فعزم على معاداتهِ والبحث على ايجاد طريقة يكيده بها لانهُ كان معوداً فعل الشر وفي اخر من ذهب من قصر الكونت بنديتو ووالده الشيخ . وكانت المركبة تنتظرهما خارج القصر فلما دنا بنديتو من المركبة وقد عزم على الصعود اليها واذا هو برجل مسن قد مسك بثوبهِ وقال لهُ اهلاً وسهلاً بصديقي القديم وصاحبي الذي لا ازال اتذكرهُ فاشكر الله اني رايتك في نعم وثروة لاني صرت فقيراً جداً وارغب ان تنعم عليَّ ولا تساني وتتذكر ما لي عليك من الافضال الجزيلة . فجهل بنديتو منهُ وقال لهُ من انت يا ايها الرجل فاني اجهل امرك وماذا تريد مني . فقال الرجل حقق فيَّ فتعرفني وبما انك الان صرت من اغنياء باريس وتدعا عند الامراء والدوقات ارجوك ان تعين لي على الاقل مرتباً كل شهر مائة وخمسين فرنكاً اقبضها منك فقال واذا لم ادفع لك هذا المبلغ فماذا تعمل اتريد ان تاخذ مني ذلك بالقهر . فقال الرجل اني اسال الله ان يحرك قلبك فتشفق عليَّ وعلى نفسك وتجيب سوالي لاني اقدر بكلمة واحدة الى الحكومة اسلب نعمتك والقيك في السجون الا تعلم اني كادروس صديقك ورفيقك في السلب والنهب والقتل فانظر لنفسك الطريق المستقيم واجب طلبي . فتحرك في بندتو روح الانتقام ومد يدهُ الى جيبهِ ليخرج السلاح فسبقهُ كادروس واخترط خنجراً كان معهُ بطهِ وقال لهُ يا بنديتو لا ينفعك الان المحاولة ولست باقدر مني على الشر فدعنا نبقى اصحاباً واعطني مطلبي وهو مبلغ قليل لا يوثر فيك . فعند ذلك قال لهُ فالكانتي اصعد معي في العربة الى محلي فركب معهُ وسارت حتى دخلت المدينة ووقفت في باب دو فالكانتي فنزلوا منها وقبض كادروس المرتب سلفاً وسار بعد ان تعهد لهُ بنديتو ان يدفع لهُ مائة وخمسين فرنك كل شهر

واما موسيو دنكلار فانهُ تعلق ببنديتو معتقداً انهُ الامير دو فالكانتي وتوهم انهُ من الاغنياء المشهورين في ايطاليا وكان في كل تلك السهرة يعظمهُ ويجلهُ وقبل وداعهِ طلب اليهِ ان يزورهُ في بيتهِ مع والدهِ فاجابهُ الى ذلك وكان ايضاً تفاوض مع والدهِ بامر زواجهِ طويلاً وان مرادهُ الوقوف على سيدة من اشراف فرنسا ليتزوجها بها فوعدهُ دنكلار بالمساعدة وانهُ ربما يزوجهُ بابنتهِ ويمنع عنها

خطيبها البير . الا ان فرحة هذا لم يدم حتى مزج بكدر وغضب لا مزيد عليهما لانه كان لحظ ما اصاب زوجته وكان عنده طرف خبر انها تعشق دو فيلفور وانه اثناء غيابه عن فرنسا كانا يجتمعان اكثر الاحيان الا انه كان يسكت عن ذلك لانها هي اصل غناه . وفي تلك الليلة مازحها وشمها على حالتها وقال لها لا ريب ان كلام الكونت كان موجهًا لك ولموسيو دو فيلفور وقد تبين لي وللجميع الحاضرين انكما المقصودان لما اعتراكما في ذلك الوقت حيث كانت لوائح الخجل لا تفارق وجهيكما كل الوقت ولا ريب ان الكونت هو من اعظم اصدقائي فانه يريد ان يوضح لي ما احفظ به شرفي وقد كفاني ما لحق بي من الخسارة في الورق التي كادت تخرب بيتي وترجعني فقيرًا واسباب تلك الخسارة هي مصنعة لا اصل لها ولا اعلم المصدر الذي عمل ذاك التلغراف . وفي الغد ركب دنكلار مركبته وسار قاصدًا الكونت دي مونتكريستو ليطلعه على بعض ما في فكره ولما وصل الى قصره لم يجده فيه انما وجد هناك الخوري بوسيوني فتلقاه وجلس معه قليلاً ثم خرج الخوري وبقي دنكلار منتظرًا الكونت حتى حضر فحياه وجلسا يتحادثان . فقال دنكلار اني اتيت اليك ياسيدي الكونت مستفسرًا عن حالة دو فالكانتي ووالده اللذين كانا بالامس عندك في الوليمة . قال لا يمكن ان افيدك عنهما شيئًا محققًا ترتاح اليه الافكار وما اعرفه ان الخوري بوسيوني بعث الي بتوصية بهما وانا دفع لهما طلبًا اسنادًا على تحويل بيدهما وقد حولتها عليك وصارا يترددان الي فاعاملهما كبقية الاصحاب لا سيما وهما غريبان نظيري في فرنسا . فقال على ما يظهر لي انهما ذات ثروة وشرف . قال واني انا اظن ذلك . فقال احسبان اطلعك على ما في افكاري . قال الكونت ابدِ ما تريد . فقال انت تعلم ان ابنتي مخطوبة لالبير ابن دو مورسرف وذلك غير راضٍ منه لا سيما وقد وقع في قلبي الان حب دو فالكانتي ولهذا قد عزمت على فسخ خطبة البير وزواجها بدو فالكانتي حتى ان البير وابنتي لم يتحابا كبقية الخطباء فما رايك في ذلك . قال لا ينبغي ان تزوج ابنتك برجل غريب لا تعرف اصله ولا مقدار غناه وتترك البير ابن صديقك وصاحبك وهو معدود من اشراف فرنسا . فقال دنكلار من اين ياتيه الشرف لاني اعرفه في الاصل وقد كان يصطاد السمك في مرسيليا واشتريت منه اكثر من الف مرة ولا تظن ان اسمه دو مورسرف كما هو مشهور في هذه الايام بل اسمه فرنان الصياد ولما دخل اثينا استخدم عند الحاكم اليوناني فخدمه بالغش والرداءة وبعد ان نهب ما نهب من امواله باعه الى الاعداء اثناء الحرب فما هو الا خائن غدار لا يركن اليه ولا بد ان يكون ابنه مثله قال الكونت اذا كان ذلك محققًا فلا يجب ان تزوج ابنتك بابنه وتخسر الشرف والناموس انما استعلم عن ذلك بواسطة تحرير لاحد اصحابك في بلاد اليونان وبعد ذلك يكون بيدك سند عليه تظهر به خيانته وغدره . فقال دنكلار نعم الراي وسارسل من هذا اليوم استعلم عن الكيفية بالتفصيل واطلعك عليها لتحقق انت ايضًا حالة فرنان وولده وبعد ذلك خرج مسرورًا وفي نيته ارسال تحرير الى اثينا يطلب به التفسير عن حالة دو مورسرف

اثناء اقامتهِ هناك

واما دو فيلفور فانهُ من حينما خرج من الوليمة وهو في قلق واضطراب وفي الغد ارسل خادمهُ فدعا زوجة دنكلار ولما حضرت عندهُ انفرد بها واظهر لها عظم كدره وقال اعلمي ان الكونت دعانا بالامس ليظهر حالتنا و برهان ذلك ما وقع منهُ واني مرتاب من هذا الكونت ومن حالتهِ حتى يظن انهُ من غرائب هذا الدهر لانهُ كان في معنى كلامهِ كانهُ يشير الينا اننا نحن اصحاب ذلك الفعل وقال انهُ وجد لفافة الطفل مع انها مفقودة من زمان لاني عند ما قصدت دفن الولد حدث بي حادث منعني عن دفنهِ . فعند ذلك شهبت زوجة دنكلار وقالت بلهفة هل الان ولدي بقيد الحياة . قال اسمعي لي فاخبرك عما اصابني تلك الليلة وهو انهُ لا يخفاك انك بعد ان ولدت اخذت الولد بلفافة الحرير وتوجهت الى البستان لادفنهُ هناك ولما حفرت في الارض وعزمت على وضع الولد فاجأني رجل من كورسيكا وهو عدوي من زمن قديم فضربني بخنجر القاني الى الارض وخوفًا من ان يضربني ضربة ثانية جعلت نفسي مائتًا ولما رآني قد عدمت الحياة عمد الى الحفرة فوضعني فيها والقى عليَّ بعضًا من التراب ثم اخذ الطفل وسار وبقيت بعد مسيره برهة وانا اقاسي من عظم تلك الضربة اشد الوجع والالم ثم نهضت بعد ان رفعت ما عليَّ من التراب وسحبت نفسي الى القصر واخفيت ما بي ولم اطلع احدًا على ما اصابني خوفًا من الفضيحة والعار وكما لا يخفاك اني بقيت اكثر من تسعة اشهر طريح الفراش الى ان شفي جرحي وعدت اقدر على الخروج وبعد ذلك بحثت كثيرًا عن الولد علي اقف له على خبر او اعرف اين هو وذلك حرصًا على شرفنا لئلا يقال فيما بعد ان هذا ولدنا بالحرام فيلحقنا العار بسببهِ وقد سالت دير الراهبات عنهُ فاخبرت انهُ وضع عندهم هذا الغلام بضعة ايام ثم عاد فاخذهُ الذي اتى بهِ وعلى هذا فيكون المولود دون شك حيًّا واني اظن انهُ سنعير بهِ ويشتهر امرنا ويعرف الجميع سرنا .

فلما سمعت زوجة دنكلار كلامهُ لطمت على وجهها وبكت وناحت وصاحت وامصيبتاه يادو فيلفور لا ريب انك تهاملت في الامر حتى وصلنا الى شفير الفضيحة . فقال لا ريب ان الكونت مطلع على امر هذا الغلام وعندهُ اطلاع القضية وانما لا اعرف من اين اتصل اليهِ ذلك وان شاء الله سأحرر رسمًا الى ايطاليا وغيرها البحث عن هذا الكونت واعرف اصلهُ وفصلهُ فان حالتهُ تريبني جدًّا ولا اظن انها توافق النظامات وترضي الحكومة فكوني براحة تامة وسنجتمع مرة ثانية فاخبرك ان شاء الله بما يسرك

ثم ذهبت زوجة دنكلار وهي تكاد لا تعرف الطريق المودية الى بيتها لانها تيقنت ان امرها افتضح وكان قلبها يدلها ان ابنها سيظهر قريبًا وتشيع عنها الاخبار الفاسدة . واما دو فيلفور فانهُ كتب عدة رسائل الى جهات مختلفة يطلب فيها الاستعلام عن حالة الكونت دي مونتوكريستو فوردت اليهِ الاجوبة بان لا احد منهم يعرف هذا الكونت ولكن بينما جاءتهُ رسالة من موسيو دي بوفيل من

مرسيليا يقول له فيها اذا شئت تعرف شيئاً عن هذا الكونت فاسال الخوري بوسيوني المقيم الان بباريس فهو يعرف شيئاً عن احواله وايضاً يعرفه رجل اخر في باريس يدعى اللورد ويلمور فهما يفيدانك عن كل ما تريد . فلما وصلت هذه الرسالة الى موسيو دو فيلفور بعث بعض انفار الضابطة ليستعلم له عن محل الخوري بوسيوني وبعد البحث وجدان الخوري ساكناً بقرب منتزه لكسمبور فتخفى دو فيلفور وسار الى ان وصل الى ذاك المحل فلم يجد الخوري هناك فسال عنه خادمة في اي وقت يعود فقالت على ما اظن انه الساعة ٨ مساء يكون ها هنا اذا لم يكن عنده شغل مهم . فاخذ دو فيلفور ورقة وكتب فيها المرجو من جناب الخوري بوسيوني ان ينتظرني في هذا المساء لاجل سوال وجواب يتعلقان بالحكومة . ولما كان المساء رجع دوفيلفور فوجد الخوري ينتظره في قاعة الجلوس وكان نور خفيف ينير تلك القاعة الواسعة فقبل يده وجلس فجلس الخوري في مكان يقابله وكان بينهما النور حتى ان دو فيلفور كان بالكاد يقدر ان ينظر الى وجه الخوري او يمعن فيه . فقال دو فيلفور اني اريد منك ايها الاب المحترم ان تفيدني عن سوالات لازمة للحكومة ينبغي الاطلاع عليها من قداستك . قال اني مستعد لان اخبرك بكل شيء بشرط ان لا يكون مضراً بصالح وظيفتي الرهبنية لانك تعلم ان الديانة لا تسلم باباحة الاسرار المودعة عندنا من اصحابها . فقال اني لا اطلب منك كشف اسرار عميقة انما اطلب منك ان تفيدني عن حالة الكونت دو مونتوكريستو وتخبرني موضحاً من اين هو ومن اين وصلت اليه هذه الاموال . قال الخوري اني لا اعرف رجلاً اسمه دو مونتوكريستو . ثم افتكر الخوري برهة مطرقاً وبعد ذلك قال اظن ان جنابك تريد ان تسالني عن شخص اسمه زكّا واظن انه هو المقصود وقد لقب نفسه بالكونت دو مونتوكريستو . فقال ربما يكون هذا هو لاني اعلم قبل الان ان اسمه زكّا ولماذا سمى نفسه بالكونت دو مونتوكريستو قال اظن انه اشترى هذه الجزيرة فلقب نفسه نسبة اليها . فقال اذاً يمكنك ان تخبرني عن هذا الرجل هل هو غني وهل لك معرفة سابقة به قال ليس كالواجب انما اعرف انه غني وان ايراده السنوي مائة وخمسين الف فرنك وهو رجل مالطي في الاصل وكنت العب معه حين الصغر لانه كان جارنا وكان ابوه صديقاً لابي حتى انه للان لم يكن بيننا تكليف واني لا ادعوه بالكونت بل بزكّا . فقال اهل كنت حضرتك تعلمه وتهذبه في حين الصغر . قال كلاّ لانه من البروتستانت . فقال اذا كان بروتستانياً كيف يمكنك ان تعاشره . قال لا باس من ذلك فان الدين يعلمنا بالاتحاد والحب لاسيما مع الاجانب والحرية والانسانية تدعيان الى ذلك . فقال ايمكنك ان تخبرني من اين له كل هذه الاموال حتى صار بعد غنياً بهذا المقدار . قال اظن انه انتظم في سلك العسكرية فحصل الرتب العالية والاموال الوافرة والنياشين العالية . فقال هل تعرف له اصحاباً يعرفونه اكثر مما اشرت . قال لا اعرف له اصحاباً في باريس انما اعرف له عدواً اسمه اللورد ويلمور . فقال هل يمكن هذا الانسان ان يصفه لي اكثر مما وصفه حضرتك . قال نعم لانه كان مع زكّا في الهند . فقال

وهل لك معرفة بهذا اللورد وهل تحبهُ . قال نعم اني احبهُ محبة عظيمة الاَّ انهُ يكره زكا وزكا ايضاً يكرههُ فقال هل يمكنك ان تفيدني ياسيدي الاب عن زكا هل حضر قبل هذه المرة الى باريس . قال لم يحضر قط غير هذه المرة وهو كان يجهل باريس انما انا الذي اهديتهُ الى المحلات التي تعرف بها وباصحابها ولا يزال اذا تعذر عليهِ امر يستفيد عنهُ مني . فقال اذاً ياسيدي لم يبقَ الاَّ سوال واحد فارجوك المعذرة . قال وما هو . فقال اهل تعرف لماذا اشترى زكا قصراً خارج باريس . قال انهُ في زعمهِ ان يعملهُ مستشفىً للمرضى . وبعد ذلك قبل دو فيلفور يد الخوري وذهب الى اللورد ويلمور فسال عنهُ فوجدهُ غائباً عن محلهِ فكتب لهُ ورقة ودفعها الى خادمهِ يطالب اليهِ ان ينتظرهُ في الغد لسوال وجواب يتعلق بالحكومة ودفع الورقة للخادم وافهمهُ المقصود . فقال لهُ الخادم ان سيدي لا يفهم الفرنسوية ولهذا اذا كنت تريد منهُ شيئاً ينبغي ان تكلمهُ بالانكليزية بواسطة ترجمان . قال اني اعرف الانكليزية قليلاً فلا لزوم الى ترجمان

وفي مساء اليوم الثاني حضر دو فيلفور فدخل على اللورد وجدهُ جالساً في زاوية القاعة وهو يطالع في كتاب فوقف لهُ وسلما على بعضهما بالاشارة . وبعد ان جلس دو فيلفور سال اللورد عن زكا اذا كان يعرفهُ . قال نعم اني اعرفهُ معرفة جيدة وهي ان هذا الرجل المدعو بزكا قد خدم في اول عمره عند بعض امراء الهند وكان لما دخل الهند ابن ١٠ سنين ولما كبر اقيم قائداً على بعض الجنود وانا كنت قائداً على جنود انكليزية فتقاتلنا وتصادمنا وفي اثناء ذلك اسر زكا وبعث الى لوندرا ومنها فرَّ وهرب الى اثينا ولما كانت الثورة اليونانية دخل في عساكر اليونان وانتصر في عدة وقائع على العساكر المصرية ونال بذلك الشرف والفخار وبينما هو كان جائلاً ببعض آكام تساليا عثر على معدن من الفضة ماخفى امرهُ الى ان حازت اليونان استقلالها التام فطالب من الملك اوثون ان يشتري المعدن المذكور ويستخرجهُ فاجابهُ فاستخرجهُ وكان هذا هو السبب في غناه وايرادهُ السنوي يبلغ ثلاثة ملايين فرنك ومع ذلك لا يصرف حق الصرف لانهُ بخيل جداً بالنسبة الى ايرادهِ . وكان اللورد يتكلم بكلام يدل على انهُ مغتاظ جداً من زكا وانهُ يكره ان يسمع بذكره . قال دو فيلفور اهل عرفت انهُ اشترى قصراً خارج باريس . قال نعم اني اعرف ذلك وقد كان في ظنهِ انهُ يجد فيهِ معدناً فيستخرجهُ فحفر كثيراً في بستان ذاك القصر دون نتيجة وما ذلك الا من طمعهِ وبخلهِ . فقال وما هو السبب الذي دعاك ان تكره زكا قال هذا امر تعلقت بهِ قديماً من زمن الشبوبية حينما كنا بالهند . فقال اذا كنت تبغضهُ كل هذا البغض فلما لا تحتال عليهِ وتهلكهُ . قال قد بارزتهُ ثلاث مرات الواحدة بالطبنجة والثانية بالسيف والثالثة بالحراب وفي الثلاث مرات انتصر عليَّ وعفى عني وقد جرحني في عدة مواضع . ثم ازاح اللورد ويلمور قميصهُ عن كتفهِ واراه جرحاً كان فيهِ من حين الصغر . ثم ودعه دو فيلفور ورجع دون ان يتوصل الى ما كان يظنهُ وقد اقتنع وتيقن ان الكونت دو مونتوكريستو اسمهُ زكا . ولم يعلم ان اللورد والخوري هما ادمون

وبعد ذلك بايام قليلة عزم البيرابن مرسيداس ان يحتفل بوليمة خصوصية لاصحابهِ ولا سيما الكونت دي مونتوكريستو وذلك بطلب والدتهِ فدعا الجميع ولما كان مساء اليوم المعين حضر الجميع ومن جملتهم الكونت وكان الجميع يحيطون بهِ الاَّ دو فيلفور فانهُ ابتعد عنهُ وصار كلما اجتمع باحد المدعوين يقول لهُ سرًّا اننا مغشوشون بهذا الرجل بانهُ كونت مع ان اسمهُ الاصلي زكا وهو مالطي انما اشترى جزيرة مونتوكريستو فدعي باسمها . فكان يقول لهُ الاكثر ما لنا ولهذا الخبر اليس انهُ رجل كريم اليد لين الطباع محمود الخصال فذلك يكنيهِ دون لقب ولا نسب . ولما دخل الجميع الجنينة تقدمت مرسيداس ومدت ذراعها للكونت فاخذها واعطاها ذراعهُ وانفردا وصارت تقطف لهُ من الفاكهة والزهور وتناولهُ وهو ياخذ منها ذلك الاَّ انهُ كان غير مسرور وكان يظهر عليهِ ذلك فجعلت مرسيداس تضاحكهُ وتكلمهُ وتسليهِ بكلام لطيف ونوادر مضحكة كانا يحكيانها زمن الخطبة فكان يتعلل بانهُ منحرف المزاج وان صحتهُ على غير المراد . قالت ليس هو كذلك انما على ما اظن انك تخلقت بالاخلاق الشرقية وتركت الاصطلاحات الاوربية لان من عادات اهل الشرق اذا صاحبوا احدًا واكلوا من بيتهِ خبزًا فلا يخونونهُ قط ويكرهون معاشرة النساء وعليهِ فانك تكره تجديد الوداد وترغب في قطع حبال الآمال . قال ليس هذا المقصود . قالت بل هذا مرادك لا سيما وانت متزوج الان فقال من اخبرك اني متزوج . قالت كل اصحابك يعرفون انك متزوج لانهم يرون عندك بنتًا يونانية ذات بهاء ولطف غريبين . فقال ليس هذه زوجتي انما اشتريتها حينما كنت في القسطنطينية لاني علمت انها نصرانية وانها ابنة احد الاشراف فشفقت عليها واشتريتها لاستخلاصها واكرمها الان كانها ابنتي واحبها حبًّا خالصًا اكيدًا غير انهُ كان لي خطيبة في مالطة وكان الحب متمكنًا منا كل التمكن ولما كانت الحرب ودعتها وذهبت املاً باني عند ما اعود اقترن بها ولما رجعت وجدتها قد تزوجت برجل هو من الد اعدائي فقاتل الله النساء ما اقل ودهن واكثر غدرهن الاَّ اني ارجو منك المعذرة ياسيدتي لانهُ ربما لا تكون النساء مثل بعضها الا ان المليح نادر . قالت وحينما رجعت ووجدتها تزوجت غيرك هل سامحتها على ذنبها . قال نعم سامحتها من كل قلبي انما لا ازال اطلب الانتقام من الذين كانوا السبب ببعدي عنها لان حبها لا يزال مقيمًا في قلبي انما لا اريد اظهاره لانها ليست لي بل لغيري . وفي تلك الساعة حضر ولدها البير ومعهُ بعض الجماعة فقصدت مرسيداس تغيير الحديث وقطفت زهرة من الزهور واعطتها الى الكونت فاظهر انهُ مشغل بالآتين فتركها ولم يلتفت اليها وحينئذٍ قال البير اننا تكدرنا الان جدًّا لان دومارند ابا زوجة دو فيلفور الاولى قد توفي في بيت دو فيلفور ولهذا صار لا بد من ابطال الوليمة لان الكدر شمل الجميع . وكان هذا دومارند جد فالنتين اي ابو امها المتوفاة وكان حضر الى باريس مع زوجتهِ لاجل ان يوصيا بتركتهما لابنة بنتهما فالنتين ويزوجاها ويحضرا عرسها فتوفي قبل تمام المقصود . وفي الحال ذهب دو فيلفور وزوجتهُ وابنتهُ فناحوا وبكوا على المفقود

ولا سيما فالنتين فانها كانت تحب جدها حبًا اكيدًا و بعد ان دفنوا الميت رجعوا الى البيت فوجدوا زوجة وهي جدة فالنتين قد مرضت فدعتهم اليها وامرت باحضار كاتب شرعي لتوصي الى حفيدتها فلم يحضر الكاتب في ذلك اليوم وفي اليوم الثاني زاد حالها وثقل مرضها فاصرت على احضار الكاتب الشرعي وقالت لهم آكدوا اني لا اقيم اكثر من هذا اليوم بينكم لاني رايت في نومي امرًا مهولاً وهو ان خيالا ابيض دخل من الباب الخفي ودنى من زجاجة الدواء و وضع بها دواء اخر فخفت من ذاك الخيال وقصدت ان اصيح فلم استطع فقصدت ان احرك جسمي واقرع الجرس فهرب ذاك الخيال ولم اعد اراه واظنه خيال بعلي المتوفي وقد جاء لزيارتي وفي نيتهِ ان ياخذني اليهِ اذ لا يقدر على مفارقتي . فقال لها الحاضرون لا باس من ذلك فهو وهم مضى وانقضى وما ذلك الا من تاثيرات المرض . وفي ذلك الوقت حضر طبيب عائلة دو فيلفور فنظر في المريضة واعطاها علاجًا ولكن دون الحصول على نتيجة لانها بعد ان حضر الكاتب الشرعي واوصت لحفيدتها بموجوداتها غاب وعيها وهي تشير الى فالنتين ان تبعد عنها واذ ذاك وضعوها في غرفة وصار الجميع في حزن عليها ولا سيما فالنتين فانها بكت عليها بكاء مرًا ثم ذهبت الى جدها نوارتيه فقبلت يديهِ واخبرتهُ بحالة جدتها فاشار الى السماء وعزاها بالاشارة ثم خرجت من هناك ونزلت الجنينة وانفردت بنفسها تتنقل بين تلك الرياحين مبلبلة البال حزينة القلب . و بينما هي على ذلك سمعت صوتًا يناديها فمالت بوجهها الى جهة الصوت فنظرت مكسيمليان حبيبها كامنًا بين الاشجار الغضة منتظرًا سنوح الفرصة ليتمكن من مقابلتها فانذعرت لما راتهُ وارتجفت وقالت لهُ ما الذي دعاك ان تحضر في مثل هذا الوقت الى هذا المكان . قال اني لما تاكدت ان الشاب فرنند قد حضر الى باريس وفي نية والدك وعائلتك ان يعقدوا الزواج في هذه الليلة الساعة تسعة قصدت لايجاد طريقة نتخلص بها من ظلم الظالمين ونعيش سعداء مع بعضنا . قالت وما هي الطريقة اهل عندك راي نقدر ان تنقذنا بهِ من هذه المصيبة الكبرى . قال اتجيبيني الى كل ما ادعوك اليهِ . قالت نعم اني اطيعك حتى الموت . قال اعلمي انهُ لم يعد يسمح لنا الوقت اكثر من الساعة التاسعة ولذلك ينبغي ان تحضري الساعة الثامنة فاكون قد هيأت كل ما يلزم لنا واتيت بمركبة فنركب عليها ونهرب من فرنسا ونبعد عن اولئك الذين يصرفون الليل والنهار في الجد والكد ليبعدونا عن بعضنا فنقصد ايطاليا او امركا او اسبانيا فنصرف زمنًا هناك الى ان يكون صفا خاطر والدك فنعود وقد بلغنا المقصود وفزنا بالمراد . فقالت ان هذا لا اقبل بهِ ولا اريد ان يقال عني اني عاصية على والدي فاغضبهُ واخسر شرفي بين اهلي واقراني فيرموني باللوم والتنديد فضلاً عن انهُ ربما ادركنا ابي او وقع بنا البوليس. فقال لا تخافي فاني افدي روحي بين يديك فكل من دنا الينا اعدمتهُ الحياة واحميك بطاقتي وجهدي هذا اذا قدر الحال لانه لا ينتبه احد الى هربنا قبل ان نكون فزنا بالنجاة و بعدنا عن هذه البلاد . قالت وكيف تقبل ان تجعلني عرضة للمذمة والعار اوكيف يمكني ان افارق

جدي الماجز نوارتيه . قال هذا الراي الموافق عندي فابدسيه لي ما عندك علة يخطر لك ما يكون به فرجنا . قالت ليس عندي طريقة للخلاص فاني في حالة يأس وكدر لاني اعلم اني بواسطة زواجي بفرنند ساعدم الراحة طول حياتي . قال اذا كان الامر كما تعهدين فاعطيني يدك الان لاودعك الوداع الاخير اذ لم يعد يمكني ان اقابلك مرة اخرى حيث لا بد من اتمام عملي . فقالت على م عولت وما هذا الكلام اهل عزمت على ايقاع الضرر بفرنند او افتكرت بقتله . قال كلاً كيف امد يدي اليه بسوء وهو لم يوذني قط . قالت اذاً على ماذا عولت . قال افتكرت ان اصبر الى حين تاتي الساعة المعينة لعقد الزواج على الله سبحانه وتعالى ياتني بالفرج وتتعسر الامور والاَّ فاني عندما ابلغ انك افترنت بغيري وخرجت من يدي اقتل نفسي وعلى ذلك فلا يعود يمكنك ان تريني ولا اعود اسمع اسم فالنتين باذني فيما بعد وهذا اخر عهدي معك . خاطرك يا فالنتين يا حبيبتي فالنتين سوف يطرق اذانك قريباً ان مظلومك مكسيمليان قد تضرج بدم الجور والهجر . ثم دار بوجهه وقصد الذهاب ودموعه كانت تتساقط على خديه موضحة عنه بلسان الصدق انه لا بد ان يفعل ما قال ولذلك انجرح له قلب حبيبته فمسكته من يده واوقفته . وقالت له يا حبيبي يا مكسيمليان ان كل ما هو عزيز لديَّ لقد هان انت وحدك لي وحدك اطلب وحياتك هي اغلى من حياتي وشرفي وحياة كل عزيز عندي ولهذا فاني اعدك اني الساعة ثمانية ونصف اكون عندك هنا اسلمك نفسي كحبيب ابدي لتذهب بي حيثما تريد فاكفف دموعك التي جرحت بها قلب فالنتين المعذب بهموم كثيرة . فتهلل وجه مكسيمليان من الفرح وقال لها سترين اني نعم الرفيق ومحبتك تبرهن لك عن صدق نواياي والان فاني اودعك لاذهب فاحضر ما يلزم احضاره وفي الوقت المعين ينبغي ان تلاقيني هنا . ثم افترقا على هذا الراي فذهب مكسيمليان واتى بما يحتاجه من اللبس والسلاح والدراهم واتى ايضاً بمركبة مهياة للسفر فدخل البستان وانتظر فالنتين فلم تحضر فصبر الى ان دقت الساعة التاسعة فضجر واشتعل في قلبه نيران الوساوس والاوهام ولذلك عزم على اقتحام المخاطر وارتكاب الاهوال فطاف في البستان فوجد سلماً فالقاه الى حائط القصر وصعد اليه حتى انتهى الى طاقة هناك فدخل منها على انه لو كان نظره احد لما تيقن الاَّ انه من اللصوص ولما صار في زاوية غرفة مظلمة شعر برجلين يتكلمان سراً بالقرب منه فارتبك وخاف من ان يقفا على حاله الاَّ انه تشجع وكمن منتظراً كيف يكون منهما وتبينهما فعرف ان احدهما دو فيلفور والاخر الطبيب وسمع الطبيب يقول اسمع يا موسيو دو فيلفور وانتبه لنفسك وتحذر من عدوك وافحص عن فاعل هذا الفعل والاَّ وقعت في شرك لا خلاص لك منه . فقال دو فيلفور وما ذلك . قال لاني متيقن ان عمك دومارند لم يمت موتاً طبيعياً انما كان موته مسموماً لا محالة وكذلك امراته التي توفت الان فانها شربت السم فماتت . فاغتاظ دو فيلفور من كلام الطبيب واظهر على نفسه الكدر . وقال انتم معشر الاطباء اذا تعسر

عليكم الدواء وجهلهم الداء تعللون بعلة فارغة احتراصاً من ظهور عجزكم وجهلكم فمن اين ياتي السم وهل نحن اهلاً لذلك او يقال عنا قبل الان اننا نسعى بقتل النفس . فتكدر الطبيب وقال له انك تتهمني بالميل والتعرض مع اني لم اخبرك الا بالصحيح فاذا شئت فلندعُ جماعة الاطباء وندعهم يشرحون المائتة ويفحصونها ليتبين لك انها قد ماتت بفعل السم وانما اذا كنت تجهل من يدس السم فهذا لا يعنيني ولذلك قصدت ان انبهك كصديق وخليل لتكون على حذر خوفاً من الوقوع في ورطة وبيلة . فلما سمع دو فيلفور كلام الطبيب تكسر في داخله واطرق الى الارض وقال من يا ترى يقدر ان يفعل ذلك فليس في بيتي عدوٌ نعم اذا كان ذلك اكيداً وعرفته الحكومة فلا ريب في اني اكون ضحية البطل وانا بريء فارجوك يا ايها الطبيب كتمان هذا الامر واني شاكر فضلك وجميلك بحيث اطلعتني على امر اجهله ودعوتني للبحث والتفتيش على فاعل هذه الجناية والا وقعت في اكبر الاهوال واعظم المصائب . فوعدهُ الطبيب بالكتمان واوصاهُ بعدم التهاهل . وعاد من هناك كل هذا ومكسيمليان يسمع كلامهما وقد تاكد عندهُ وفاة جدة فالنتين مسمومة وعرف ان هذا هو السبب الوحيد الذي اوجبها ان تتاخر عن الحضور ولا تفي بصدق قولها . وبعد ان صبر بريهة وهو لا يسمع صوتاً ولا يرى خيالاً تقدم بكل خفة الى غرفة كان بابها مغلقاً فدنا منهُ وصبر ليسمع اذا كان داخلة صوت فلم يسمع شيئاً . ثم فتحهُ وهو ينظر الى داخلهِ ليرى اذا كانت فالنتين فيها . فراى مرتبة عالية وعليها جسم مغطى الى حد راسهِ وكان النور ضعيفاً جداً حتى كان لا يكاد يقدر ان يعرف ما داخل الغرفة ثم نظر الى جانب المرتبة فوجد شخصاً راكعاً ملقي براسهِ اليها وهو يصلي موجهاً بوجهه الى السماء فامعن واصغى فلم يسمع الصوت انما تبين له ان ذاك الشخص هو فتاة وترجح له انها فالنتين لعلمهِ ان لا احد هناك يفعل ذلك الا فالنتين لكونها هي انسب الموجودين الى المائتة وكان يتردد في الدخول خوفاً من انهُ يكون قد اخطا في ظنهِ انما لما رآنه فالنتين تركت صلاتها ووقفت باهتة ودنت منهُ وهي ترتجف . وقالت له ما هذا يا مكسيمليان الم تخف من ان يراك احد فتفضحنا ويشتهر امرنا ولا سيما اذا راك والدي فانهُ رجل ظالم لا يرثي لحال ولا يشفق على ولد . قال لما رايتك لا تقومي بايفاء وعدك وكنت قد هيات جميع لوازم السفر التزمت ان اقتحم المخاطر ولا اعود بالخيبة . وبعد ان دخل الى قربها اخبرها كيف دخل وانهُ اجهد نفسهُ بان لا يترك احداً يراهُ كل هذا وكانت فالنتين ترتجف من الخوف واذ ذاك شعرت بمرور شخص بالقرب من الغرفة فكادت تقع الى الارض وتيقنت انها سيشتهر امرها ويتهمونها بالاعمال القبيحة ولذلك كانت قد فقدت عقلها وخسرت قواها وزاد رجفانها الاَّ ان ذاك الشخص دنا من الغرفة ولم ينظر الى داخلها لكنهُ لما راى بابها مفتوحاً اغلقهُ وسار في طريقهِ الى غرفتهِ وكان هذا دو فيلفور فلما رات ذلك فالنتين هدأ روعها نوعاً وقالت لمكسيمليان قد نجونا من خطر عظيم لان هذا والدي ولا ريب في انهُ اوصل الطبيب الى الخارج

وعاد ليدخل غرفته فوجد الباب مفتوحاً فغلقه دون ان يظن ان يكون داخله امرًا مهولاً . فلا جدر بك يا حبيبي ان تخرج بالسرعة من هذا المكان وإذا كنت ترتاب فادخل من مكان جدّي نوارتيه فلا باس عليك هناك من شيء وإذا شئت اطلعنا جدي على حالنا لانه يحبني ويحبك لحب ابيك لا محالة لاني طالما رايت وانا صغيرة والدك عندهُ وكان ياتي اليه ليخابره بخلاص شخص يدعى ادمون دانتاس كان مسجونًا في قلعة شانوديف وحتى الساعة ليس لنا معين في كل هذا البيت الاّ جدي على انه وإن كان عاجزًا عن القيام والقعود الاّ انه ينفعنا بآرائهِ وبهيبتهِ . فاستصوب كلامها فقاما ودخلا على نوارتيه . ولما قربت منه رمت نفسها على قدميهِ وهي تقبلهما وتقبل يديهِ وقالت له ياسيدي انت تعلم يقينًا ان والدي مرادهُ ان يجبرني على الاقتران بالشاب فرنند وتعلم ايضًا اني اكره النظر الى وجههِ ولا اقبل ان اراهُ ولذلك قد اتيت بك مستغيثة مستجيرة لتنقذني من تلك المصيبة وتساعدني على الاقتران بشاب طالما احببتهُ واشتهيتهُ وهو مكسيمليان ابن صديقك موريل الواقف امامك الان فارحمني ياجدي وارحمهُ لانهُ وإن كان قد فقد ما بيدهِ من المال الاّ انهُ باقٍ على شرف النفس وجودة الاخلاق والكرامة لا سيما وهو من قواد العسكر المشهورين بالاقدام والمروة وقد اقتحم الخطر ودخل عليّ مخاطرًا بنفسهِ حبًا بي وبان يخلصني من الوقوع مع ذاك الوبش فرنند وقد عزم على قتل نفسهِ اذا امتنعت ان اجيبهُ الى الهرب ثم حكت لهُ ما كان بينهما وكيفية دخولهِ القصر . فتبسم جدها من كلامها . ثم اردفت قولها واعلم ياجداه اني لم اعطهِ يدي ولا اعاهدهُ على حفظ المودة الا بعد ان اقسم ابر الاقسام وعاهدني على انهُ لا يتركك طول حياتهِ وانهُ يثبت معي على خدمتك حتى الموت . فاشار اليها نوارتيه ان تخرج فخرجت وجلس مكسيمليان بقربهِ فاشار اليهِ ان يتكلم . فقال اعلم ياسيدي اني من حيما عرفت حفيدتك فالنتين وانا مولع بها ومغرم بمحبتها وقد تعاهدنا على الاقتران والزواج وان نبقى مع بعضنا طول حياتنا بخدمتك غير ان صروف الدهر منعتني لا سيما ان ابنك فيلفور يكرهني جدًّا لاني ابن رجل من الحزب البونابرتي وهذا هو السبب الوحيد الذي يحول بيني وبين الحصول على اعز الناس عندي ولهذا لما علمت انها ستزف قريبًا على غيري الزمتها ان تعاهدني على الهرب فاجابتني بعد ان قالت لي ان تكون انت بصحبتنا اذ لا يمكنها ان نتركك ولولاك لفزنا بالخلاص وبعدنا عن هذه الديار . وبما انك قد عرفت بواطن امرنا فارجوك ان تساعدني وتنظر الينا بعين حبك والاّ قدت نفسي الى الخطر وقدمتها ضحية لحبها . فاشار اليهِ نوارتيه ماذا يريد ان يعمل . قال مرادي ان اقابل فرنند واسالهُ ان يترك فالنتين واطلعهُ على كل ما هو بيننا فان اجاب وتركها كان الفرج والاّ بارزتهُ وقتلتهُ فاما ان اقتلهُ فيخلو لي الجو واما ان يقتلني فارتاح من عذاب فراقها وبعدها . فاشار نوارتيه كلاّ . قال افهل اخدعها واهرب بها اشار كلاّ . قال اذًا ما هي الطريقة الى اتمام المطلوب . فاشار الى نفسهِ . فقال اهل يمكنك ان

تخلصني ياسيدي وانت لا تحسن الكلام . فاشار مبينًا انه يقدر على خلاصه وان هذا الامر لا يعنيه . فتعجب مكسيمليان كيف يمكنه ان يساعده ولذلك اعاد عليه القول ثانيًا وثالثًا . فاكد له انه هو المسئول بزواجه فالنتين شرط انه لا يخطفها ولا يقتل فرنند فاقسم له بذلك ثم طلب منه ان يسمح له بتقبيل اياديه فسمح له فقبل يديه وهو يذرف دموع الذل والانكسار فانجرح له قلب نوارتيه واشار الى خادمه ان يوصله الى الخارج فاخذه واخرجه من باب السر وسار مكسيمليان فرحًا مؤملاً بالنجاح بعد نفسه بالحصول على محبوبته

وفي غد ذلك اليوم اجتمع جماهير من الاقرباء والانسباء والاصحاب قيامًا بمأتم المتوفاة ولما كان عصر النهار اخذوه الى المدفن واجري احتفال الدفن بكل لياقة ولما عاد القوم من المقبرة وتفرق كلٌ الى منزله دعا دوفيلفور فرنند بن كاستل وقال له لا يخفاك ان حماتي المتوفاة اوصتني ان اسرع بعقد زفاف فالنتين عليك وانه كان في نيتها ان تقوم بمادبة الزفاف فلم يمكنها . فقال فرنند كيف يمكن الان ان تجري الزفاف او نقيم الافراح والعزاء لا يزال مقيمًا وفالنتين لا تزال حزينة على جدتها المرحومة . قال هذا امر لا يعنيك فان لنا بمرسيليا قصرًا جميلاً ومنتزه فيمكنك ان تذهب الى هناك بزوجتك ونقيم فيه ونجري الافراح والهناء . فوافقه فرنند على ذلك . وفي اليوم التالي اجتمع بعض الاقرباء وكاتب المحكمة والقسيس وامر دوفيلفور ابنته ان تلبس ثيابها وتستعد لكتابة كوندراتو الزواج حيث ينتهي اقترانها في ذاك النهار فلما سمعت فالنتين كلام ابيها شعرت بفراق روحها وايقنت بانها هالكة لا محالة فاخذت تنوح وطلبت من ابيها ان يوخر ذلك الى يوم اخر لان الحزن كان لا يزال موثرًا فيها وانها لا تقدر ان تمسك نفسها لتقف في موقف صعب كهذا . فقال لها لا بد من اتمام عقد الزواج في هذا اليوم لاني لا احب تاخيره ولو مهما جرى فازداد حزنها من ظلم ابيها وعلمت انه لابد ان يجبرها اذا امتنعت او قبلت ولذلك دخلت على جدها واخبرته ان في ذاك النهار يعقد عقد الزواج وانها ستموت لا محالة فطيب بخاطرها واشار لها ان تنقاد الى ارادة ابيها مهما كانت وانه يتكفل بفساد ذاك العقد . فتعلق قلبها بكلام جدها وتسلت نوعًا وفي الساعة العاشرة دعوها لتدخل الى قاعة الجلوس بحيث تكتب كوندراتو الزواج ويعقد الاكليل فلبست ودموعها تسكب على خديها كالامطار ودخلت القاعة وهي حزينة كئيبة ولذلك لم تنتبه الى احد ولا قامت بما هو متوجب عليها بل جلست مستكنة وقد تعجب منها كل الحاضرين واذ ذاك وقف القسيس ودعا العريس الى الاقرار بقبول العروس امام الشاهدين فاعترف بقبوله العروس من كل خاطره ثم دعا العروس وعزم على ان يطلب اليها ان تعطي يدها العريس من خاطرها لينتهي عقد الزواج وحينئذٍ دخل خادم نوارتيه وقال بصوت عالٍ امام الحاضرين . ان سيدي نوارتيه يدعو فرنند ابن الجنرال كاستل المقتول اليه ولذلك اتيت بطلبه

فاعترضهُ دوفيلفور وقال لايمكن الآن ذهاب احد من هنا الا بعد تمام شغلنا وكتابة عقد الزواج قال اني لا ادع فرنند هنا بل امرني سيدي انهُ اذا امتنع ان يذهب اليهِ اقودهُ جبرًا . فقال فرنند انهُ واجب عليَّ ان اذهب واقبل يديهِ ولما دخلوا عليهِ دعا فالنتين فقربت منهُ فاشار اليها ان تحضر القاموس فاحضرتهُ فاخذت في قلب اوراقهِ والتفتيش على موادهِ المطلوبة حتى عرفت كل غاية جدها فاحضرت صندوقهُ الصغير واخرجت منهُ ورقة محكمة اللف ففتحتها واعطتها الى خادم جدها الخصوصي فاخذها وقال ان مولاي نوارتيه امرني ان ادفع هذه الورقة الى فرنند ليقراها علنًا ويعرف السر المنطوي من زمن ليس بقليل . فاخذها فرنند ونظر اليها فوجد عنوانها هكذا (هذه صورة حادثة وقعت في المجمع البونابرتي المنعقد في سان جاك في ٥ شباط سنة ١٨١٥) وبعد ان قرأ فرنند هذا العنوان سكت القوم منتظرين ما كان في تلك الواقعة غير ان فرنند وقف باهتًا ثم قال ان في هذا اليوم وهذه السنة قتل والدي كاستل فتعجب دوفيلفور وعزم على المداخلة ومنع فرنند عن القراءة الا انهُ امتنع لما راى الجميع يطلبون قراءة الورقة واما فالنتين فانها وقعت بين الرجاء والياس لا تعرف هل تلك الحالة تودي بها الى الخلاص مما هم بهِ او بالعكس . ثم اشار نوارتيه باتمام قراءة الورقة الى نهايتها واذا بها ما ملخصهُ

نحن الموقعون على هذه التذكرة لتحفظ بين اوراق الجمعية نعترف انهُ في اليوم الرابع من شهر شباط من سنة ١٨١٥ احضرت رسالة من نابليون من جزيرة البا على يد الجمعية السرية يوصي بها الجنرال دوكاستل الذي كان خدمهُ اكثر من ١١ سنة ان يضم الى احزابهِ رأيًا وعملاً وعند ذلك حررت الجمعية ورقة دعوة الى الجنرال المذكور ليحضر اليها في اليوم الخامس من الشهر دون ان يكون في تلك الورقة تعيين محل او شارع او امضاء احدٍ ولما عرضت هذه الورقة الى الجنرال قبل بالحضور ولذلك حضر اليهِ شخص من الجمعية وكان اذ ذاك الساعة ٩ ليلاً فناداهُ وقال لهُ اتبعني لاني ارسلت من قبل الجمعية فتبعهُ . ولما بعد عن محلهِ قال لهُ اني امرت من رئيس الجمعية ان اربط عينيك واضعك في مركبة مخصوصة واذهب بك اليهم والاَّ فعد من حيث اتيت . فقال الجنرال افعل ما بدا لك فربط عينيهِ واركبهُ في مركبة واتى بهِ محل اجتماع العمدة وهناك رفع الرباط عن عينيهِ ونظر يمينًا وشمالاً فوجد جمهورًا كبيرًا من احزاب نابليون يحدقون اليهِ باجمعهم فتعجب لما راى كثيرًا من معارفهِ ورجال المملكة كان لا يظن انهم يحبون الامبراطور . واذ ذاك قال لهُ الرئيس اعلم يا دوكاستل ان جلالة الامبراطور نابليون لما يعهدهُ فيك من صدق الخدمة والمحبة والامانة ولا سيما وانت في خدمتهِ نحو ١١ سنة بعث اليك بتحرير لتكون مع محبيهِ واحزابهِ ولذلك بعثنا فاحضرناك لنطلعك على غاياتهِ ونطلب اليك الانضمام الينا . فاجاب الجنرال بجسارة . انا لااريد ان اسمع بذكر ذاك المختلس ولا احب ان انضم الى احزابهِ ولا اريد ان اعرف احزابهُ فنهرهُ الرئيس نواياهُ وتاكد انهُ

ما حضر الى محل الاجتماع الا وفي نيته ان يعرف من هم فيذكرهم للملك لينال بذلك الشرف والفخار فقال له قد تجاسرت يادوكاستل وتكلمت بوقاحة غريبة الا تعلم نفسك في اي محل انت الآن فاصغ لنفسك ولا تقابل الحسنات بالسيئات واسلك سبيل الامانة وارع زمام مولاك . فقال الجنرال لا يمكني ان اجيب طلبكم او اذكر نابليون في فمي لاسيما واني منذ مدة اقسمت للملكي و ولي نعمتي ان لا اخونه وان احفظ له الزمام . ولما راى الجماعة امتناعه وقاحته تكسروا منه ووقعت بينهم ضجة قوية وكثير منهم طلب اعدام الجنرال كاستل الا ان الرئيس ردعهم وقال لا نريد ان نغدر به او نعامله بقوتنا مع ضعفه . فقال الجنرال وحيث تاكد لكم اني لا اخون ملكي نظيركم فدعوني ارجع من حيث اتيت . قال الرئيس اننا لا نمنعك من الرجوع انما نطلب ان تقسم لنا انك لا تخون جمعيتنا هذه بحضورك بيننا وتذكرها امام احد او انك تذكر احد منا . فقال دوكاستل اهل تجبروني على كتمان امركم فلا بد لي من اطلاع الملك على امركم واخباره باجتماعكم ثم وضع يده على سيفه . فصاح به الرئيس ارجع يدك عن سيفك والا سفكنا دمك في هذه الدقيقة دون ان يعلم بك احد واقسم اليمين دون مكابرة فلا خروج لك من هنا الا باليمين . فلما راى الجنرال كثرة الجمع وتاكد انه لا يخرج الا باليمين قال اعرض عليَّ يمينكم لاقسم لكم . فقال الرئيس قل اني اقسم بشرف نفسي اني لا اخبر احدًا بخبر هذه الجمعية ولا اذكرها امام احد واكون كاني لم احضر اليها فحلف اليمين كما طلب اليه وحينئذٍ ربطوا عينيه وانزلوه المركبة ومعه الرئيس ورجلان اخران وبعد ان بعدوا من هناك وضع يده على رباط عينيه وقصد ان يرفعها فمنعوه . فقال ما هذه الاعمال البربرية دعوني افتح عيني واعرف من انتم يا اعداء المملكة فعند ذلك وقفت المركبة . قال الجنرال اهل وصلت الى بيتي قال الرئيس كلا انما وصلنا الى مكان النزال ثم امر ان تفك عيناه وبعدئذٍ قال له الرئيس لما اتيت محلنا احترمناك اكرامًا لخاطر الامبراطور الذي اوصانا بان نحترمك فلم يكن فيك موضع للصنيعة . وقد اهنتنا ونسبت لنا الخيانة وعدم الامانة فامهلناك كي لا يقال اننا عاملناك بقوتنا مع ضعفك وقصدنا ان نعيدك سالمًا بعد وقاحتك فما اكتفيت بل زدت في الوقاحة والتعدي حتى الزمتنا ان نتيقن انك لا بد من اخبار الملك بخبرنا ولذلك قد حضرت انا رئيس الجمعية لابارزك بعيدًا عن محل الجمعية واصحبت معي هذين الشاهدين لينظرا انصافنا في القتال ويشهدا لنا بمحافظة حقوقه لاسيما وانت حتى الساعة باقٍ على وقاحتك وجسارتك فقال الجنرال لقد اصبت فاني اتمنى هذا القتال لاوضح لسيدي الملك اني صادق بخدمته محافظ على محبته . ثم نزل الى الارض واستلَّ سيفه وقال هيا ان كنت بطلاً لاغمس سيفي هذا من دمك . فاجابه الرئيس وقد اخذ حربة صغيرة ووقفا في ساحة القتال فطلب الجنرال الى الرئيس ان يبتدر بالضرب فابى الرئيس وسمح له ان

يضرب اولاً ثم ابتدرا سوية وكان الغضب يزداد في الجنرال ولذلك كان يضرب الرئيس باحتدام والحيراً وقع الى الارض من عظم جراح كان قد جرح بها فنهضه الرئيس وقد اخذته عليه الشفقة واراد ان يمتنع عن قتاله الا ان الجنرال بعد ان استوى جالساً ثانية رجع الى القتال رغماً عن ارادة الرئيس وضربه ضربة قوية فلو لم يتدارك منها ذهبت بروحه فاجابه بمثلها وقعت على جسده فوقع الى الارض فقصد الرئيس انهاضه فلم يقدر لان دمه كان يتدفق كالانابيب واذ ذاك تقدم الشاهدان الموقعان على ذكر هذه الحادثة فوجداه قد مات فرمياه بالنهر وذلك في ٥ شباط سنة ١٨١٥ وقد حفظت هذه الورقة والتاريخ ليعلم فيما بعد القوم ان احزاب نابليون لم يغدروا بالجنرال ولا اوقعوا به الا بالطريقة القانونية

وما انتهى فرنند الى اخر هذه القطعة الا وقد تفطرت مرارته وهاج الغضب به ولعبت بدماغه يد الانتقام وحركته اميالة الى السعي باخذ الثار من قاتل ابيه اذا امكنه فوضع يده على قلبه ليقدر ان يتكلم . وقال اني عرفت سبب موت ابي ولكن لم اعرف من هو ذاك الرئيس وما اسمه فاجابه دوفيلفور اهل ان ابي الابكم يخبرك عن الفاعل او هل يكتب بالقاموس اسماء الرجال مع كثرتها فقم بنا لنرجع فنقضي ما نحن اخذون به ولا تصغ الى ابي فقد اضاعت عقله يد الكبر والخرف فتبسم نوارتيه واشار اليه ان يحضر القاموس فاتته به فالنتين . فوقف فيه على احرف . (انا) فاضطرب فرنند وقال انت الرئيس قاتل ابي . اشار نعم . فصاح فرنند كيف يمكني الان ان ابارزك وانت شيخ عاجز وكيف ان اقارن بحفيدتك وجدها قاتل ابي فلا كانت ولا كنتم جميعاً ولا كان من يطلب الدنو منكم ثم خرج نائحاً على والده يذم تلك الساعة التي عرف بها هذا البيت ويلعن الشيخ مع عائلته ولهذا انفض جمع الزفاف والجميع يتعجبون من تلك المصادفة الغريبة وبطل العرس وتكدر دو فيلفور وزوجته وسرّت فالنتين ان جدها قد اقام بوعده وانها ستصير سعيدة ببلوغ مآربها وزواجها بمكسيمليان

وفي غد ذلك اليوم اتى الكونت دو مونتو كريستو بيت دنكلار فلم يجده فترحبت به زوجته وادخلته قاعة الجلوس وبعد ان استقر قليلاً اخبرته بما صار ببيت دو فيلفور وكيف تبين ان نوارتيه هو قاتل كاستل وكيف بطل الزفاف وخرج فرنند مكدراً . وبينما هما في مثل هذا الحديث اتى فالكانتي ووالده فترحبوا بهما واجلسوهما معهما واذ ذاك اتت بنت دنكلار وسلمت على الجميع وخصوصاً فالكانتي فانها جلست بقربه واخذت تضرب بالموسيقى وتغني وهو ايضاً يغني مثلها ثم حضر دنكلار فسلم على الكونت والباقين وجلس وقلبه يكاد يطير من الفرح وذلك لما راى دو فالكانتي جالساً مع بنته وانهما متوافقان في الغناء . فقال للكونت وكان جالساً بقربه ان هذا الشاب دون شك يليق ان يكون زوجاً لبنتي لانه يوافقها في كل الامور ولا بد من تزويجها به وتخليصها من البير . فقال الكونت لا اظن انك تقدر على منع البير لانه خطيبها السابق وعائلته ذات اقتدار . فقال دنكلار اني

لا اخاف من هولاء الاراذل فاني اعرفهم اصلاً وفصلاً . ولا خفاك اني حررت سابقًا الى اثينا استعلم عن قضية فرنان وفي هذا اليوم تاتي البوسطة فاتناول الجواب ويظهر ما اطلعتك عليهِ سابقًا وهو موكد . ولا يليق بي ان اترك مثل دو فالكانتي صاحب الشرف الرفيع والمال الوافر واتعلق بالبير فانظر اليهما واحكم بالانصاف . فقال الكونت اني ارجو ان لا تترك البير لانهُ شابٌ كامل الاوصاف وليس كابيهِ . لا سيما وهو من وطنك وابناء جنسك . فضحك دنكلار وهز براسهِ وحينئذٍ حضر البير فراى خطيبتهُ تغني مع فالكانتي فعلم باطن القضية فجلس بين الموجودين دون ان يظهر انهُ ارتبك من ذلك او اخذتهُ الغيرة عليها لانهُ كان يكرهها . وبعد ان انتهى المجلس سار كلٌّ في طريق الا البير فانهُ ذهب مع الكونت حتى دخل بيتهُ وهناك قال لهُ اني على اقصى غاية من الامتنان ياسيدي الكونت فاني اراك قد خلصتني من هذه الخطبة بطريقة غريبة . ثم سمع صوت اوتار تضرب من غرفة بجانب الغرفة التي كانا جالسان فيها فسال الكونت عن ذلك . فقال لهُ هذه عائذة الرومية . فقال لهُ ارجوك ياسيدي ان تسمح لي ان اجتمع بها وقتًا قصيرًا فاني ارغب ذلك واحب ان اسمع غناءها وصوتها . فقال لا باس من ذلك انما بشرط ان لا تخبر بخبرها بعد ذهابك من عندها وان لا تذكر امامها اسم ابيك . قال وما السبب لذلك . فقال لان والدك كان خادمًا عند ابيها حينما كان والي جانينا . فتعجب البير من ذلك وقال نعم ان والدي كان عند والدها في جانينا وهذا سبب ثروتهِ فمن اين قدرت ان تحصل عليها وكيف وقعت بيدك . فقال الكونت اني كنت يومًا مارًّا في بعض اسواق القسطنطينية فرايتها تباع هناك وفهمت انها يونانية نصرانية فسالت عنها فاخبرت انها بنت والي جانينا الذي قتل في حرب الاتراك فشفقت عليها وخفت من ان تقع في يد من لا يعزها ويعرف قدرها فبذلت فيها الثمن الوافر حتى حصلت عليها فعاملتها معاملة الاب ولذلك هي تحبني جدًّا فاكرر رجائي ان لا تذكر امامها اسم ابيك ولا تخبرها بخبر من هذا القبيل فاقسم البير انهُ لا يذكر عندها شيئًا من ذلك . فنادى الكونت خادمهُ وقال لهُ اذهب الى الست عائذة واخبرها ان تستعد لملاقاة احد اصدقائي فانهُ يريد ان يصرف عندها وقتًا فاخبرها الخادم بذلك . ولما دخل الكونت والبير عليها لاقتهما بالانس والبشاشة ثم جلس كل منهم في ناحية من تلك القاعة التي كانت مزخرفة بالنقوش ومفرشة بالحرير الفاخر . فانبهر البير من جمال غرفتها كما انهُ انبهر من جمال وجهها ورقة لفظها وكان عليها ثوب من الحرير الاحمر واذ ذاك دنت من الكونت وقبلت يدهُ بادب وقالت لهُ من هذا الذي اتيت بهِ ياسيدي الكونت . قال هو احد اصحابي الاعزاء فعامليهِ بالرقة واللطف فتقدمت وحيتهُ تحية الصديق الودود حتى كاد يطير عقلهُ من الفرح وجلست بالقرب منهُ ثم قالت للكونت باليونانية باي لغة تحب ان اكلم صديقك هذا . فقال الكونت لالبير اهل تعرف اللغة اليونانية اجاب كلاَّ . قال اتريد ان تكلمك بالفرنسوية ام بالايطالية . قال اني اعرف هاتين اللغتين

فهمت عائلة اللغة التي كان يتكلم بها فقالت لهُ اني سررت جداً بتشريفك يا ايها الموسيو لا سيما لما اخبرني مولاي انك من اعز الناس عندهُ فلا ريب في انك تقبل احترامي هذا الذي اقدمهُ لك اكراماً لخاطرهِ واجابة لطلبهِ . فقال البير لا بل انا الذي تشرفت باتياني اليك وقد صيرتني غريق الطافك حيث سمحتِ لي ان اكون عندك اسمع در لفظك واشاهد جمال ذاتك . ثم سال الكونت في ماذا يجب ان يحادثها . فقال لهُ اسالها عن بلادها واحوالها بشرط المحافظة على الوعد . فقال لها كم كان عمرك حينما فارقت وطنك . قالت كان عمري اذ ذاك خمس سنوات . قال كيف رايت بلادنا . قالت بلاد حسنة وجميلة . قال الا تتذكرين بلادك . قالت اني اذكرها واحن اليها دائماً واتذكر ايضاً تلك الاهوال الخطيرة التي اوجبتني ان اخرج منها فتعجب البير من انها كيف تقدر ان تتذكر هكذا امور وهي في سن خمس سنوات . ثم التفت الى الكونت وسالهُ اذا كان يريد ان تقص عليهِ خبرها . فطلب اليها الكونت باليونانية ان تخبرهُ بخبرها بشرط ان لا تذكر امامهُ اسم الضابط الفرنسوي . فاخذت في شرح قصتها فقالت اعلم انهُ لما ثارت الفتنة في بلاد اليونان وتعصب الاهلون ضد حضرة ساكن الجنان السلطان محمود خان خرجت كل العساكر التي كانت في الولاية عن طاعة ابي وقد فقد نفوذهُ وضاعت كلمتهُ لانهُ كان الوالي من قبل الدولة فالتزم ان يترك الولاية ففي صباح يوم ايقظتني والدتي وهي نائحة باكية فانزعجت وارتعبت وقصدت ان اصيح فزجرتني وامرتني بالسكوت فسكتت فاخذتني بين يديها وخرجت بي فوجدت جميع الخدم في ارتباك وهم يحزمون الحزم ويربطون الامتعة فعلمت اننا عازمون على السفر وبعد ذلك وصلنا الى البحر فانزلنا الامتعة ونزلنا في قوارب واقمنا بالقرب من المدينة منتظرين العفو السلطاني وكان والدي قد بعث جنرالاً فرنسوياً كان يعتمد عليهِ ويحق اليهِ الركون ليسترحم لهُ بالعفو من السلطان ووضع والدي جميع اموالهِ وعشرة صناديق من البارود في محلنا واوصى عليها خادماً لنا اسمهُ سليم وقال لهُ اذا جاء امر بالعفو من السلطان رجعت الى هنا والا فاحرق هذا البارود ليحترق معهُ المحل باجمعهِ لاني اكون هالكاً لا محالة مع عائلتي فقال الخادم من اين اعرف انهُ جاء العفو لسيدي ومن يخبرني بهِ قال ان ارسلت اليك خاتمي فيكون قد جاء العفو والا اذا ارسلت اليك خنجري فافعل ما اوصيتك بهِ واحرق البارود والمحل معاً واقمنا نحن منتظرين اتيان الضابط الفرنسوي امين والدي الى ان كان اليوم الخامس نظرنا عن بعد مراكب اتية فاخذ والدي النظارة ونظر فيها فراى الضابط قد نزل من احدى المراكب الى البر واما والدي فانهُ هيأ نفسهُ واستعد للملاقاة الاخطار واما الضابط الفرنسوي فانهُ دنا من خادمنا سليم فسالهُ عنا فقال لهُ سليم اهل اتيت بفرمان الامان . قال نعم قد اتيت بهِ محفوفاً بالتوفيق فاذهب الى مولاك واخبرهُ بالخبر اليقين واعلمهُ ان سعادة السلطان قد امنهُ ادام الله لنا سرير ملكهِ ووطد اركان دولتهِ . فقال سليم وما البرهان على ذلك . قال هاك خاتم

مولاي فانهُ كان اخبرني ان اتيت بالعفو اظهر لك الخاتم والاَّ اعطيتك الخنجر فتعلمهُ بذلك ولما رأى سليم العلامة تيقن العفو لا سيما وهو يعهد في الضابط الامانة ويعرف انهُ امين عند سيدهِ فسرَّ وفرح ولم يعلم ان اظهار هذه العلامة من الضابط مكرًا وخيانة وبينما الضابط يكلم سليم هجم اربعة رجال على سليم فقتلوهُ ولما عرف والدي بذلك امر خدمهُ وحواشيهِ ان تدافع عن بيتهِ ففعلوا ولم تنشب القتال ودارت رحى الحرب وكان قد طلع من المراكب قوم آخرون فزاد القتال وانتصر والدي على اعدائهِ مرارًا واهلك منهم جانبًا ورماهم بالبحر الاَّ انهم كانوا كثيرون وطافت المراكب بالقصر وخشى والدي من الهلاك لما راى ان العسكر في ازدياد الاَّ انهُ اصيب برصاصتين فمات قتيلاً وتفرقت حواشيهِ وهجمت الاعداء الى القصر ونهبوا الخزائن وفي اوايلهم الضابط الفرنسوي الخائن وبعد ان انتهوا من هذه المعركة ذهبوا الينا وقبضوا علينا واخذني الضابط المذكور قهرًا وانا ابكي وهو لا يشفق على بكائي حتى ادخلونا السراية فوجدنا راس ابي معلقًا بها ومكتوب تحتهُ هذا راس والي جانينا فلما راتهُ جدتي لم يمكنها ان تمالك نفسها فصاحت ورمت بنفسها الى الارض وبعد دقائق قليلة قضت نحبها وبقيت انا مع الضابط المذكور وبعد ايام باعني الى تاجر ارمني وهذا التاجر اخذني الى القسطنطينية وباعني لصاحب المراحم والاحسان السلطان محمود خان . فبقيت حتى صار عمري ١٠ سنين واذ ذاك توفي حضرة السلطان فباعوني في السوق فاشتراني مولاي الكونت وعاملني بكل شفقة واحسان فجزاهُ الله عني خيرًا فهو بلا شك صاحب الفضل والجميل لانني عندهُ السيدة ولست المملوكة يقدم لي ما عز وهان ويكرمني اكرام البنين فاشكر الله الذي ختم مصائبي وافرج عني وعوض عليَّ والدي ففجع الله ذاك الضابط من خائن ناكث فانهُ عوضًا ان يطلب لابي الامان وثق عليهِ وتعهد بتسليمهِ . فقال البير لا ريب في ان هذا الرجل يستحق القتل لا محالة . فهذا ما كان من هولاء ولنرجع الى بيت دو فيلفور فانهُ بعد ان ذهب فرنند يلعن الساعة التي وصل فيها الى بيت دو فيلفور ويشكر الله الذي لم يتم اقترانهُ بحفيدة قاتل ابيهِ نزلت فالنتين الى الجنينة فوجدت مكسيمليان ينتظرها هناك وهو ينقلب على مقالي الجمر واماله معلقة بين الرجاء واليأس فراى وعلائم الفرح مطبوعة على جبهة فالنتين حتى انها من عظم فرحها رمت نفسها عليهِ دون ان تتكلم بكلمة . فقال لها بلهفة اخبريني يا فالنتين هل لم ينتهِ عقد الزواج وهل قدر جدك ان يقوم بوعده وهل تفرحك هذا من سبب موجب يفرحني ايضًا . واذ ذاك شرحت لهُ بالتفصيل ما كان من امر جدها وكيف انهُ خلصها بعد ان كان قد فرغ رجاؤها وتاكدت انها بعد دقائق قليلة تكون لغيره . فتعجب مكسيمليان من وقوع هذه الحادثة وقال كيف يمكن لرجل عاجز مفلج ان يخلصنا من اعظم الصعوبات . فقالت اذًا اريدك ان تتعهد لي بانك ما بقيت حيًا تخدم جدي هذا الضعيف بكل استطاعة . فاقسم لها بذلك ثم ودعها ورجع فرحًا مسرورًا يشكر الله على انعامهِ

ولما دخلت فالنتين على جدها وجدت زوجة ابيها عنده وبعد ان جلست قالت خالتها لجدها ياعماه قد اوصيت باموالك جميعها لحفيدتك لما تأكدت اننا سنزوجها برجل تكرهه وقصدت ان تمنعنا بذلك من اتمام ذاك العقد وها قد تمت غايتك و بطل الزواج وذهب فرنيه خائبًا فهل لا تبطل الوصية وتساوي بين ورثتك فنظر اليها نوارتيه متعجبًا . ثم اشار باحضار الكاتب الشرعي فحضر فاخبره بالطريقة الاولى انهُ ابطل تلك الوصية وانهُ يوصي بكل مالهِ وتركتهِ الى فالنتين فكتب الكاتب الوصية حتى كادت تنفطر منها مرارة دو فيلفور وزوجتهُ

وفي تلك الاثناء اتى دومرسرف الى دنكلار وقال لهُ ارجوك ياصديقي ان تسمح بزواج ابنتك على ولدي البير لانهُ قد طالت مدة الخطبة وآن اوان التزوج . فقال دنكلار ليس الان في نيتي ان ازوج ابنتي ولا والدتها الان تريد ان تزوجها فالاوفق ان تصبر على ذلك . فقال دومرسرف لما هذا التطاول اهل في نيتك نكث العهد وقطع حبال الود وقد اخبرني الان الكونت دومونتوكريستو ان في عزمك فسخ الخطبة وترك ولدي وما ذلك الا احتقارًا بنا . فقال ليس في نيتي احتقارك انما لم ارَ بين ابنتي وولدك ما يكون بين الخاطبين من تمكن الحب والوداد واني لا ازال ارى ابنك يطلب البعد عن ابنتي ولا يرغب في ان يجتمع معها او يصرف وقتًا بمعاشرتها ولهذا ارى من المناسب دفع الاسباب . فقال دومرسرف لما هذه الاهانة ومن اين تعرف بغض ابني وهو ينتظر بفروغ صبر ان ينتهي عقد الزواج ويجتمع بها . وكان يتكلم وعيناهُ تقدحان شرار النار . فاجابهُ دنكلار بتبسم ممزوج بهزء لا يجب ياحضرة الكونت ان تتكدر لاني قلت لك ان الان ليس وقت الزواج سيما وابنتي صغيرة وولدك ايضًا لا يزال صغيرًا على انهُ لا مانع يمنع الزواج الاَّ هذا فقط . ثم افترقا على رضىً وقد وعد دنكلار دومرسرف المواعد الكاذبة بينما يكون قد ربط عقد خطبة ابنتهِ على دوفالكانتي

ولما مضى على ذلك ايام قليلة كتب في احدى جرائد باريس قطعة مالها الطعن في فرنان وحالتهِ وتفصيل ما وقع لهُ مع والي جانينا وذكر خيانتهِ ولما قرأ دنكلار ذلك شكر الله وقال في نفسهِ الان قد تبينت وجهًا لفسخ خطبة ابنتي من البير فلا يمكنهُ بعد هذا ان يدعي الشرف ويفتخر او يرفع لهُ راس . واما البير ابن دومرسرف فانهُ بعد ان اطلع على ما هو مكتوب في الجريدة ذهب الى الكونت صديقهِ فوجدهُ في البستان فقال لهُ اني اتيت لاستشيرك في امر مهم . قال ما هو . قال اني عزمت على محاكمة مدير الجريدة التي تكلمت بحق والدي وهو موسيو دوشان صديقي وصديقك وهاك الجرنال انظر ما هو مكتوب فيهِ . فاخذ الكونت الجرنال فوجد مكتوبًا بهِ (ان والي تلك الجزيرة قد مات وتشتت شمل عائلتهِ وانتهب مالهُ وبيتهُ وذلك بخيانة احد حواشيهِ وهو ضابط فرنسوي اسمهُ فرنان كان قد استخدمهُ وامنهُ على كل ما عندهُ ... على روحهِ وبعثهُ يستمد لهُ العسكر

ويبين للسلطان براءتهُ فغدر ووشى عليهِ وباعهُ بيع العدو) ولما انتهى الكونت دو مونتوكريستو من هذه المقالة قال لالبير ومن اخبرك ان هذا الضابط الفرنسوي هو ابوك لانهُ يسمى فرنان وابوك اسمهُ دو مرسرف . فقال هذا هو ابي لان اسمهُ في الاصل فرنان ويعرفهُ كل الناس بهذا الاسم لا سيما وهو كان عند الوالي المذكور فيكون كلام الجريدة موجهاً اليهِ دون شك وعليهِ قد افتكرت ان احاكمهُ او بالحري ابارزهُ وتكون انت يا سيدي الكونت من الشهود فاجاب الكونت اني اشور عليك يا البير ان لا تتعرض لموسيو دوشان مدبر الجريدة بشيء مما ذكرت بل يجب ان تخابرهُ باللطف لانهُ ربما وقع منهُ ذلك بالغلط وهو لا يعرف ان فرنان والدك او ربما كان هذا الخبر هو صحيح فيمكنك بعد مخابرتهِ ان تتوصل الى الموافق ولا ينبغي ان تعاملهُ بالعدوان قبل ان تفهم منهُ المقصود . قال ان موسيو دوشان يعرف ان اسم ابي فرنان ولكن لا بد ان اذهب اليهِ وافهم منهُ المقصود وبعد ذلك يدبر الله ما يشاء

ثم ترك الكونت وذهب الى محل ادارة الجريدة فوجد مدبرها دوشان هناك فدعاهُ الى حدة وجلس معهُ وبعد التحية قال لهُ اني اتعجب منك يا موسيو دوشان كيف نشرت هذه الجملة في جريدتك وقصدت بذلك اهانتنا وكسر شرفنا وناموسنا مع انك من اعز الاصحاب . فقال دوشان اني اعرف والدك يدعى دو مرسرف وليس فرنان ولو كنت اعلم انهُ هو نفس فرنان لما نشرت تلك الرسالة . فقال البير حيث علمت الان الحقيقة فارجوك ان تناقض ذلك محافظة لشرفنا وناموسنا . فقال دوشان ليس في وسعي المناقضة الا اذا تأكدت كذب الرسالة والا فكيف اناقض الواقع فارجوك ان تصبر لاتحقق اليقين فاما اني اناقضهُ اذا كان كذباً والا فاني ازيد ما كتبتهُ ولا اخاف من احدٍ وذلك مراعاة لصالح الجريدة والراي العام . فقال البير كيف يمكنك التحقيق ومن اين تعرفهُ . قال يجب ان تصبر عليَّ خمسة عشر يوماً لاسال من جانينا وممن يعرف ذلك قال لا يمكني ان اصبر كل هذه المدة لاني اراها اطول من سنة . قال اذا كنت لا تصبر فافعل ما بدا لك وحيث عاملتني بالغضب والقساوة وترغب في العداوة فلست بسائل عنك وعن غضبك . فلما سمع البير كلامهُ هاج بهِ غضبهُ وخرج من هناك وهو لا يعرف يمينهُ من شمالهِ ولا يرى طريقهُ فصادف مكسيمليان فلم يكلمهُ من غضبهِ وسار في طريقهِ . وكان ابن موريل اذ ذاك في غاية السرور والفرح لانهُ كان دعاهُ نوارتيه جد فالنتين فسار اليهِ وقبل يدهِ فلاقتهُ فالنتين واجلستهُ بقرب جدها وقالت لهُ اعلم ان جدي قد دعاك ليراك ويخبرك ان في عزمنا ننتقل الى بيت غير هذا لنتزوّر نافيه وتعلم انهُ يرغب فيك و يشتهي قربك فنظر مكسيمليان الى نوارتيه فاشار اليهِ نعم فخر اذ ذاك عند قدميهِ وقبلهما وغسلهما بدمع الفرح وبعد ان ودعهما ذهب واقامت فالنتين عند جدها تخدمهُ واذ ذاك شعر الخادم بوجع راس فاخبرها بذلك فقالت لهُ هاك الكاس التي على الخزانة فان فيهِ شراب نافع باقٍ عن جدي فاخذ الخادم

الكاس وشرب ما فيهِ . وفي الحال وقع الى الارض وصاح اني اشعر بما يقطع احشائي وجعل يتقلب ويستغيث وفي تلك الساعة حضر الطبيب وطرق الباب فلم يصغَ اليهِ احد لان الجميع اشتغلوا بما اصاب الخادم وتعجبوا منهُ وشفقوا على حالتهِ . وبعد برهة فتحوا الباب فدخل الطبيب ولما نظر الخادم اعطاهُ علاجًا ولكن دون افادة لانهُ كان يصارع الموت . فسال الطبيب ماذا عمل وماذا آكل فاخبروهُ انهُ شرب كاسًا من حامض الليمون ممزوجًا بالسكر . فسال من سقاهُ اياه فقيل لهُ فالنتين . فقال احد الخدم اني انا الذي اصطنعت ما كان في الكاس الى سيدي نوارتيه وليس فيهِ شيءٌ مميت . قال الطبيب اهل وضعتها في محل قبل ان اتيت بها الى سيدك . قال وضعتها بالمطبخ قال اهل شرب منها غير هذا الخادم . قال لا اعلم انما انا عند ما كنت احملها شربت منها لا اعرف مقدار السكر فيها . قال وهل باقٍ بالكاس شيءٌ من الشراب المذكور . قال لا اعرف . فذهب الطبيب والخادم لينظر في الكاس فعارضتهُ في طريقهِ زوجة دو فيلفور وقصدت ان تلهيهُ وتشغلهُ فلم ينتبه اليها ولا سلم عليها بل ذهب الى ان اخذ الكاس ففحصها وعرف ما فيها واذ ذاك اتى اليهِ دو فيلفور وسالهُ عن سبب موت الخادم فقال لهُ انهُ مات بالمرض العادي المعروف في بيتك الذي مات فيهِ دومارند وزوجتهُ . فلما سمع دو فيلفور هذا الكلام وعرف ان الخادم ايضًا مات مسمومًا وقع الى الارض من عظم ما اصابهُ فلم يشفق عليهِ الطبيب بل قال لهُ لا بد يا موسيو دو فيلفور من اخبار الحكومة بهذا الخبر واطلاعها ان في بيتك افاعٍ تفترس ارواح الناس دون شفقة ولا رحمة واني لا اتعجب كيف تصفك الناس بالكمال ويركن اليك لانك وكيل الملك وتحامي عن المظلومين وانت تقتل النفوس تعمدًا فهل عدت الآن تقدر ان تحاولني كما حاولتني في دومارند وزوجتهِ فهاك السم موجودًا في آنيتك وهاك الميت ملقى على الحضيض وقد تاكدت من الفحص يا فيلفور ان هذا السم قد وضع في هذه الكاس لابيك نوارتيه ولكن لحسن حظهِ لم يشرب منهُ فاصاب الخادم بالصدفة وان نوارتيه لم يوثر فيهِ لانهُ اعتاد عليهِ وشرب منهُ غير هذه المرة مع الادوية والعلاجات وان كنت تشتبه في ذلك فاني احل لك هذا الشراب واخرج لك منهُ السم . فقال دو فيلفور اني لا اصدق حتى اراهُ بعيني فاذ ذاك اخذ الطبيب قليلاً من شراب الليمون الباقي في الكاس وصبهُ على شراب البنفسج وفي الحال استحال لونهُ الى الخضرة . فقال الطبيب هاك البرهان وهذا فعل السم . فتاكد دو فيلفور صدق كلامهِ وخرَّ على رجليهِ يقبلهما وقال لهُ اعذرني يا سيدي ولا تفضحني فاني لا اعرف لذلك سببًا ولا اعرف من الفاعل . وجعل دو فيلفور يبكي وينوح ويرجو من الطبيب الكتمان . فقال الطبيب اني اصدق ان لا علم لك بذلك بل دعني اشير الى من يمكنهُ ان يفعل ذلك واكرامًا لك لا اعلم بهِ احدًا بل تحترس انت لنفسك وتعرف من هو العدو في بيتك . انما اذا اصيب احد في بيتك مرة اخرى فلا تدعني والا اكون مضطرًا ان اخبر عنك وما سكت عن ذلك الا لاني بانك ستفحص عن

الفاعل وتمنعهُ . قال كيف تكون طريقة الفحص والكل في بيتي يظهرون العفة ويتبرأ ون من هذا الامر . قال ان الوقوف على ذلك سهل ولا ريب ان الذي يرث نوارتيه ودومارند وزوجتهُ يكون هو الفاعل . قال ان ابنتي فالنتين هي الوارثة والارجح انها لا ترتكب هذه الجريمة لانها ذات نخوة ومروءة وشرف نفس ودين ولا اعرف بالحقيقة من الفاعل فتركهُ الطبيب ومضى وفكرهُ وقلبهُ يدلانهِ ان ذلك عمل زوجتهِ لعلمهِ بدهائها ومكرها وخبثها ورداءتها . واما بقية الخدم فانهم بعد ان دفنوا الخادم الميت اتوا زوجة دو فيلفور وقالوا لها ادفعي لنا حسابنا فاننا لا نقبل ان نستخدم في بيت لعبت ايادي الموت في اسيادهِ حتى وصلت الى خدامهِ فقصدت ان تماطلهم فالحوا عليها فخافت من الفضيحة فصرفت لهم معاشهم وانصرفوا

وفي مساء ذلك اليوم كان دوفالكانتي (بنديتو) في بيت دنكلار يخابرهُ بشان زواج بنتهِ . فاظهر لهُ دنكلار انهُ يرغب من كل قلبهِ ان تكون ابنتهُ زوجة لهُ واتفقا ان دو فالكانتي يقدم عقد الزواج خمسمائة الف فرنك ويقدم دنكلار مثل هذا المبلغ لابنتهِ على سبيل الجهاز وقال دو فالكانتي اني وان كنت اعلم ان بنتك هي الوارثة لكل غناك انما لا اطمع في شيء من هذا الان عندي مالٌ كثير يبلغ اكثر من ثلاثة ملايين فرنك وحيث قد احببت ان اعيش مع والدي في هذه البلاد بعثتهُ الى ايطاليا ليبيع كل املاكهِ ويأتي بكل ما هو عندهُ هناك فنضع المال بالبنك واعيش مع والدي وزوجتي من الفائض وهو يكفينا بدون شك وتبقى ابنتك امامك واكون انا بين يديك في كل حياتي . فسرَّ دنكلار من كلامهِ وصار يناديهِ ياصهري ودو فالكانتي يناديهِ ياعماه . ثم ودع دوفالكانتي دنكلار وخطيبتهُ وركب عربتهُ ورجع الى بيتهِ ولما دخل قال لهُ الخادم اعلم ياسيدي انهُ بعد ذهابك بقليل اتى لهنا شخص مسنٌّ عليهِ سمة الشقاوة والشر وهو نفس الرجل الذي لاقانا يوم كنا خارجين من بيت الكونت دي مونتوكريستو وعلى ما اظن ان اسمهُ كادروس فانتظرك قليلاً ثم ذهب . قال بنديتو الم يقل لك ماذا يريد . قال كلاً بل اعطاني رسالة باسمك . فاخذ الرسالة وقراها واذا فيها هذه الكلمات

ارجوك ياصديقي بنديتو ان تحضر نهار غد الى المحل المعهود ليتم سروري باجتماعك وانال الحظ الوافر واكرر رجائي بان لا تنسى ذلك ولا تترك زيارتي فان الامر ضروري جداً وحضورك يكون الساعة التاسعة قبل الظهر

ففي الوقت المعين خرج بنديتو من بيتهِ وسار الى كادروس فتلقاهُ بالترحيب واعتبرهُ غاية الاعتبار . وبعد ذلك قال لهُ بنديتو ما سبب هذه الدعوة يا كادروس . قال هي لاخبرك ان المائة وخمسين فرنك لم تكفني قط وانت غرقان بالدراهم وعندك الخدم والحشم والقصور ومجالس الكونتين والامراء فليس ذلك من العدل . وقد بلغني انك خطبت بنت دنكلار . ولهذا ارجوك ان تريد

معاشي والاّ ابحث الاسرار واخبرت عنك دنكلار ولئن كان يدعى الان بالبارون الاّ اني اعرفهُ وقد كان جاري في مرسيليا وسكرنا كثيرًا معًا في خمارات عديدة ولهذا يصدقني هذا ولو كان عندهُ انسانية لكان دعاني في خطبة بنتهِ واما في عرسي عزمتهُ وحضر وليمتي ولكن هذا حال الزمان واكد يا بنديتو ان كل هولاء البارونات والجنراليات اعرفهم جيدًا انهم من اللصوص واولاد الحرام ولاسيما دنكلار وفرنان واما انت فقبل ان تصير مثلهم انصفني وعاملني معاملة الصديق ولا تتركني والاّ فاقودك الى الحبوس وتنفذ عنك هذه النعم والخيرات اهل نسيت انّا كنا مسجونين في قلعة طولون مع المجرمين وانا هربنا ولا يزال التفتيش علينا وهل لا تعتقد اذا اخبرت دنكلار باحوالك واعلمتهُ ان لا اب لك لا يعطيك ابنتهُ. فلما سمع بنديتو كلامهُ لعبت بهِ نار الغضب ولكن اخفى ما بقلبهِ وقال لهُ ماذا تريد الان. قال اريد ثلاثين الف فرنك اضعها بالبنك واعيش من فائضها وهذا المبلغ لا يصعب دفعهُ على الامير دوفالكانتي الايطالي فادفعهُ خير لك. قال هذا المبلغ كثير. قال لا بد منهُ وان كنت لا تدفعهُ فاخبرني. قال امهلني ايامًا قليلة لاحصل عليهِ. قال اني امهلك قدر ما تريد انما تدفع لي خمسمائة فرنك كل شهر لبينما تدفع لي المبلغ كلهُ. فقبل دوفالكانتي بهذا الشرط خوفًا من كسر اسمهِ وضياع خطيبتهِ ونقدهُ خمسة وعشرين ليرة فرنساوية وامرهُ ان يأتيهُ بخمر ليصرفا الوقت فاجابهُ واحضر الخمر وجعلا يتعاطيانهِ وقد اضمر بنديتو الشر لكادروس وقال لهُ لا بد من دفع المطلوب لاني قد وصلت الى ابي وعرفتهُ وكنت قبلاً اجهلهُ وهو رجل جليل. قال من هو الذي تعني عنهُ. قال هو الكونت دي مونتوكريستو الذي لا يوجد في هذا الزمان اغنى منهُ ولا اكرم من يدهِ يعطي ولا يسأل كأنهُ البحر اذا سال. فقال كادروس ومن هو هذا الكونت واين يسكن وهل بيتهُ في المدينة او خارجها. فقال بنديتو اهل في نيتك ان تسرقهُ وترجع الى صنعتك القديمة قال ليس في فكري شيءٌ من هذا فاعلمني بمكان سكنهِ ولا باس عليك من شيءٍ. قال ان محلهُ في بستان النزهة خارج باريس. قال وهل يبقى كل ايامهِ في ذلك القصر. قال يتركهُ في اكثر الليالي وينام في قصرهِ الاخر داخل المدينة ويذهب معهُ كل خدمهِ حتى لا يبقى في القصر احد. قال هل في ذلك المحل كلاب. قال ليس شيءٌ من ذلك ولكن قد تأكدت انك مزمع على سرقة هذا الكونت فاخبرني هل تقدر على ذلك وهو امر صعب. قال هذا لا يعنيك انما اريد ان ترسم لي المحل من داخل وخارج وعليّ تدبير الامر. قال لا يمكنني ان اشترك معك في ذلك ولكن ارسمهُ لك كما تريد ثم رسمهُ لهُ بقلم رصاص وافهمهُ داخلهُ وخارجهُ فاخذ كادروس الورقة ووطد نفسهُ على انهُ يسرق الكونت ليلاً وظن في نفسهِ بلوغ الامال. ثم ودعهُ دوفالكانتي ورجع الى محلهِ ومن هناك حرر رسالة الى الكونت بدون امضاء يقول لهُ فيها. اعلم يا سيدي الكونت ان في هذه الليلة قد عزم احد اللصوص ان يدخل قصرك خارج باريس ويسرق امتعتك وما تصل اليهِ يدهُ فاقتضى اطلعتك على الواقع

لتحذرٍ قبل الوقوع بالخطر . فلما اخذ الكونت الرسالة وعرف ما فيها ظن ان تلك حيلة من اللصوص فلاح له ان يطلع عليها الحكومة الاّ انهُ امتنع وقال في نفسهِ لا بد لي من مجازاتهم بيدي فاني اقدر عليهم وحدي

وفي ذلك الليل امر الكونت كل خدمهِ ان تنزل الى قصرهِ داخل باريس فذهبوا ولم يبقَ عندهُ سوى خادمهِ علي الاسود ولما انقضت السهرة اخذ سلاحهُ فحشاهُ رصاصًا وبارودًا وجلس منتظرًا وكذلك خادمهُ عليٌّ اخذ بلطة كان احضرها معهُ من مدينة تونس ولا زالا ينتظران الى ان صارت الساعة عشرة فلم يحضر احد فتردد الكونت وظن ان ذلك كذب ومحال وعول على النوم الاّ انهُ صبر الى ان صارت الساعة ١١ فنظر الى جهة البستان فوجد شخصًا آتيًا تحت ذلك الظلام فمسك الكونت فردهُ وامر خادمهُ ان يرفع البلطة ودنا من طاقة مطلة على البستان فوجد الشخص يتقدم شيئًا فشيئًا ونظر من ورائهِ شخصًا آخر لكن بعيدًا عنهُ لا يكلمهُ فجعل ينظر الى الشخص الاول دون ان يعرفهُ فراهُ قد وضع سلمًا وتسلق الحائط حتى ادرك طاقة احدى الغرف التي كان رسم لهُ اياها بنديتو واخبرهُ ان صندوق المال فيها وفي الحال اخرج من جيبهِ كماشة وجعل يخرج مسامير الشباك حتى فتح منهُ محلاً لدخولهِ ثم اخرج فص خاتم ومال بهِ على زجاج الشباك فكسرهُ وبعدئذٍ دخل الى داخل فوجد الصندوق مقفلاً فاراد ان يحملهُ فلم يقدر فعهد على كسرهِ الاّ انهُ قبل ذلك دنا من الباب وهزهُ ليعرف اذا كان مقفلاً فوجدهُ مقفلاً فعاد الى الصندوق واما الكونت فانهُ لما راهُ دخل الغرفة حضر من الدار ونظر من ثقب الباب فوقع نظرهُ على كادروس فعرفهُ على نور المصباح وفي الحال اسرع الى احدى الغرف فنزع ثيابهُ ولبس ملابس الخوري بوسيوني واتى من الباب ففتحهُ بسرعة ودخل بغتة . فنظر اليهِ كادروس وفي الحال عرفهُ فصاح الست الخوري بوسيوني قال بلى فما هذا العمل يا كادروس هل لا تكفيك الجوهرة حتى اتخذت اللصوصية مهنة وعمدت على سرقة الكونت دي مونتوكريستو ولو كان الكونت الليلة هنا لكان دون شك يعدمك الحياة ولكنهُ قد ذهب الى قصرهِ داخل باريس مع خدمهِ وبقيت وحدي هنا . فقال ارجوك ياسيدي ان تغفر لي وتسامحني فانت عاملتني في اول معرفتك بي باللين والرفق والآن ارجوك اتمام جميلك معي ومعروفك بمسامحتي لان الضرورة احوجتني واذا اطلعتك على قصتي فانك تعذرني . فقال الخوري لا خوف عليك فاحكِ ماجرى لك واين فقدت الجوهرة فاني اسامحك واشرط عليك عدم العودة الى مثل هذه الافعال القبيحة . فقال حبًا وكرامة . ثم دنا كادروس من الكونت وفي ظاهرهِ ان يخبرهُ بقصتهِ ولما قرب منهُ اخترط خنجرًا وضربهُ بهِ في صدرهُ وقد قصد ان يقضي عليهِ لما اخبرهُ انهُ وحدهُ هناك الاّ انهُ صادف فشلاً فان الضربة وقعت على المجن لان الكونت كان يلبس دائمًا درعًا تحت ملابسهِ حرصًا من الغدر بهِ . فلما نظر ما فعل كادروس ضربهُ بيدهِ فالقاهُ الى الارض ونزع

منهُ الخنجر ووضع رجلهُ على راسهِ وقال لهُ الان اسحق راسك فتموت لانك شرير وما علاج الشرير الا الموت. فصاح كادروس وقد اظهر الندامة العفو ياسيدي فقد اخطأت اولاً وثانياً فارحمني لان الله رحوم. فقال لا خلاص لك من تحت رجلي ما لم تطلعني على خبرك وتعلمني عن الذي دلك الى قصر الكونت واوصلك اليهِ. قال اعلم ياسيدي انك بعد ان اعطيتني الجوهرة وذهبت لاح لي ربما تكون من الزجاج المصنع فذهبت الى السوق واعرضتها فيهِ فاخبروني انها جوهرة وعاهدني احدى باعة الجواهر انهُ يذهب الى بيتي و يشتريها مني ولسوء حظهِ حضر في ليلة شتاء وعمل حيلة عليَّ واشتراها مني بمبلغ خمسة واربعين الف فرنك ولكثرة الامطار لم يمكنهُ ان ينصرف تلك الليلة فطلب ان ينام عندي وفي الليل وسوست اليَّ زوجتي فقتلت الرجل طمعاً بمالهِ واخذت المال والجوهرة وهربت الاَّ ان البحث والتفتيش من الحكومة لم ينقطع حتى مسكوني فاودعوني السجن وترجح لهم اني القاتل فحكموا عليَّ بالسجن المؤبد وارسلوني الى طولون وهناك نفذما بقي معي من الدراهم وكان في السجن شاب شرير اسمهُ بنديتو فتوافقنا وتيسر لنا الفرار بواسطة رجل انكليزي اعطانا اوائل حديدية فهربنا من السجن واتينا الى هنا ورفيقي هو الذي اهداني الى هذا القصر ورسم لي داخلهُ وخارجهُ واطلعني على كل ما فيهِ. فقال الخوري وما صنعة هذا الشاب. قال ليس لهُ صنعة معروفة الاَّ انهُ يدعي انهُ دخل في صحبة الكونت دي مونتوكريستو المذكور وعلى قولهِ انهُ تبناهُ واوصى لهُ بجميع تركتهِ بعد موتهِ وافادني ايضاً ان الكونت رتب لهُ اربعة الاف فرنك في السهر وكل ذلك من الامور العجيبة وافادني ايضاً انهُ خطب بنت دنكلار وابوها يظن انهُ من امراء ايطاليا فاغراني بسرقة هذا الصندوق وان نقتسمهُ بالاسواء وقد سمى نفسهُ بالامير دوفالكانتي. فقال الخوري حيث الامر كما قلت فاكتب قصة هذا الغلام في ورقة وارسلها الى دنكلار على سبيل الرسالة. فاخذ كادروس ورقة وكتب.

اني اخبرك ياموسيو دنكلار انك مغشوش بالذي خطب ابنتك وليس هو اميراً بل لص كبير فانهُ كان في سجن طولون مسجوناً اذ حكم عليهِ بالحبس المؤبد وقد هرب منهُ مع رفيقهِ

كادروس

فقال لهُ الكونت امضها باسمك. قال كيف يمكني ان امضها وارمي نفسي بيدي فاذا عرفت الحكومة بوجودي ترجعني الى السجن ولا يعود يمكني الفرار فيما بعد. قال يمكنك ان تذهب الى اسبانيا والبلجيك وانا ارسل لك مصروفك في كل سنة بقدر الحاجة. فقال كادروس اذا امضيت هذه الورقة تصفح عني وتسمح لي بالخروج دون ادنى معارضة. قال نعم اني لا اعارضك ابداً انما يجب ان تخرج من المحل الذي دخلت منهُ. فامضاها واسرع الى الطاقة وهو لا يصدق بالنجاة ونزل منها حتى انتهى الى ارض البستان وما استقر حتى سمعهُ الكونت ينادي اني وقعت بايدي اللصوص. وذلك ان دوفالكانتي كان قد تاثرهُ حتى راهُ صعد القصر وكان في نيتهِ ان يرميهُ في يد الكونت ليظهر لهُ

صدق الرسالة وقد قال في نفسه ان تم له التوفيق وسرق الصندوق قتلته واخذته منه والا فيكون وقع في ايدي الكونت فيعدمه الحياة واتخلص منه . وعند ماراه قدعاد دنا منه وضربه بالخنجر في صدره وراسه وفر هاربا . ولما سمع الكونت صياحه اسرع مع خادمه علي الى معونته فوجداه ملقى الى الارض مضرجا بالدماء وهو على اخر رمق . وفي الحال ارسل الخوري فدعا المدعي العمومي وطبيب الحكومة للفحص عن كادروس . وقبل ان حضرا قال الخوري الا تعرف من عمل معك هكذا قال احضرلي ورقة لاكتب بها قراري قبل موتي ليوخذ ثاري من عدوي لان الذي فعل معي ذلك هو بنديتو الشرير ولا شك انه دلني على هذا المكان وفي بيته هلاكي وموتي . قال الخوري اني كنت اعرف انه سيصيبك ذلك لاني شاهدت لصا اخر يتاثرك بيما كنت آتيا من البستان ولذلك اشرط عليك ان ترجع من حيث اتيت . فقال كادروس اذ قد عرفت ذلك فلما غششتني فبالحقيقة انكم زمرة الكهنة مجبولون بالشر تتظاهرون بعمل الخير وليس فيكم من الخير مثقال ذرة فقبحكم الله وقبح اعمالكم . قال قصدت ذلك لما رايتك غدرت بي وضربتني بالخنجر ولو لم يمانع عني الدرع والا اهلكتني وحيث الان لا مندوحة من الموت فاستغفر ربك واعترف بكامل ذنوبك علة يقبلك ويصفح عن آثامك الكثيرة . قال لا اريد استغفر ربي ولا اطلب صفحا لا سيما وعدة ابالسة وشياطين مثلكم فاعطني ورقة لاكتب تقريري واخبر عمن ضربني ورام قلعاني . فقال الكونت اني اقسم بتربة ابي الذي رافقته يا كادروس طول حياته لا بد من اخذ ثارك من عدوك والاقتصاص لك منه . قال من هو ابوك الذي تدعي اني رافقته طول حياته وانا لا اعرف لك ابا ولا اما . قال الان اعرفك بنفسي فاشكر الله الذي منّ عليك بموتك بين يدي . ثم نزع الخوري قلنسوته وثوبه وقال انظر يا كادروس اذا كنت تعرفني فاحدق به ثم صاح عرفتك يا ادمون هل لا تزال في قيد الحياة . قال اني لم اتركك فانا الخوري الذي اعطيتك الجوهرة اعانة لفاقتك وفقرك وانا الانكليزي الذي دفعت لك الالات لتنجو من سجنك وانا هو الكونت دي مونتوكريستو الذي في زعمك ان تسرقه . فرفع كادروس اذ ذاك عينيه نحو السماء وقال اشكرك يا ربي فانك اكرمت عليّ ان اموت بين يدي صديقي الكريم فاغفر اللهمّ ذنوبي واقبل نفسي عندك . ثم اتاه ادمون بورقة فكتب على نور المصباح الذي كان احضره الكونت معه عند ما نزل مع علي الى البستان ما ياتي . اني اتيت لسرقة بيت الكونت دي مونتوكريستو وذلك باتفاق بنديتو الذي كنت مسجونا معه في سجن طولون وهربنا معا ولما لم يتيسر لي طريق السرقة رجعت الى البستان لارجع الى بيتي ففاجاني بنديتو المذكور الذي ليس له اب معروف وضربني ضربات متوالية ولذلك اقرر لجانب الحكومة ذلك لتاخذ لي بثاري من [illegible] الشقي وبعد قليل اسلم روحه بعد ان ادركه المدعي العمومي والطبيب وسالاه عن حاله [illegible] بما في الورقة فاخذت جثته ووضعت عند نهر باريس لتاتي اقاربه ومعارفه فتاخذها [illegible] هذه

الاخبار في كل باريس بان كادروس كان قد اتى ليسرق قصر الكونت فقتله رفيق له كان ينتظره في البستان . وعلى ذلك اتى كثيرون من معارف الكونت وسالوه عن الواقع فقال لهم ان ذلك صار بسماح من القضاء والقدر فاني كنت غائبًا تلك الليلة عن قصري خارج باريس ولذلك ابقيت فيه صديقي الخوري بوسيوني للمحافظة حيث الخوري نفسه يرغب دائمًا ان يقيم في ذاك القصر . وكان هذا اللص قد انتهز فرصة غيابي وقصد نهب قصري الا ان الله رد كيده في نحره فانه قتله رفيق له . وكان الكونت يقول ذلك ليدفع عن نفسه الالتباس ولا سيا ان الحكومة تاكدت ذلك لانها تعرف شقاوة كادروس ووقوعه مرارًا في يدها قبل ذلك وهروبه من سجن طولون ومما زادها تاكيدًا ان البوليس وجد مع كادروس مفاتيح والآلات الكسر وسحب المسامير ومصاحًا مخصوصًا بهذه اللصوص وعلى ذلك اخذ البوليس بالتفتيش على بنديتو الشقي

كل هذا وموسيو دنكلار مشتغل بتجهيز بنته ومسرور لصهره الجديد وهو من الفرح بمكان رفيع لا يعلم ان صاحب ذاك الفعل هو صهره بنديتو

واما البير دو مرسرف فانه ترك خطيبته ولم يعد يفتكر فيها وبات ينتظر نهاية المدة التي وعده موسيو دوشان مدير الجريدة انه يستخبرها عن حالة والده . ولما انتهت المدة المعينة اتى الى محل الجريدة فصادف دوشان . فقال له هل عزمت على مناقضة ما كتبت . قال لا يمكن المناقضة والخبر اكيد . قال اذا كنت لا تناقض فلا بد من المبارزة فعين شروطها . فقال لا تجهل يا البير فاني اعدك من اعظم الاصدقاء واكد اني لما قلت لك ان بعد ١٥ يومًا احاوبك ذهبت الى جانينا وفحصت عن هذا الامر وقد تاكدته واذا كنت لا تصدق سفري فهاك تذكرة الطريق ثم دفع اليه التذكرة فتحقق ذهابه الى جانينا فقال له ماذا تبين لك عن والدي قال اني اخجل ان اقوله لك ولكن خذ هذه الورقة ففيها صورة ما وقفت عليه . ثم اعطاه ورقة ففتحها فوجد مكتوبًا فيها . ان الرجل الفرنسوي الذي كان كاتم اسرار والي جانينا هو الذي خانه وباعه لعساكر ساكن الجنان السلطان محمود خان بخمسة الاف ليرا وهو كان سبب موته وبيع بنته وزوجته . وكان في هذه الورقة شهادة اربعة اشخاص من شرفاء المدينة ومصادق عليها من قنسلوس فرنسا فيها . فلما قرأ البير هذه الورقة ضاقت الدنيا في عينيه وهانت نفسه عنده وتاكد سقوط شرفه . فقال له دوشان هل علمت الحق الان وتاكد لك ان ما كتبته صحيحًا . قال نعم . قال اني لم امتنع عن مبارزتك الا لصداقتك لا خوفًا منك فقال له البير سامحني واعذرني فان شرفي عزيز علي ولا بد من قتل نفسي والبعد عن هذه الديار هربًا من العار . فقال دوشان لا باس فهيا بنا لنذهب الى الكونت دو مونتو كريستو ونصرف وقتًا عنده علة يذهب عنك ما لحق بك من هذه الحادثة . ثم اخذه وسارا حتى دخلا الى الكونت فوجداه متاهبًا للسفر فسلما عليه فترحب بهما وبعد ان جلسا قال لهما اني اراكما عدتما الى الصحبة بعد تلك العداوة

فقال دوشان ان الامر قد هان وعرف كل منا دنية مع الاخر ولذلك اتينا نقيم عندك وقتاً لنرفع الاحقاد من بيننا ويرجع الحب الى اصلهِ فوجدناك على اهبة السفر فالى اي جهة تقصد . قال اني ازمعت ان اذهب الى نورمنديا فاقيم بها اياماً للنزهة وحيث ان البير متكدر فلا بد لي من اخذهِ معي ليذهب عنهُ ما اصابهُ . وكان البير يتمنى السفر والبعد . فقال اني اذهب معك دون شك . قال اذهب واخبر امك وات عندي في هذا المساء حيث مزمع فيهِ على السفر . فقال ان والدتي ترغب جداً في ان اكون معك ولذلك ساذهب الى تهيئة لوازمي وارجع اليك . ثم ودعهُ وسار وكذلك دوشان وكان البير مسروراً بهذا السفر وهو لا يعلم ان ذلك حيلة من الكونت ليبعد هو عن باريس ويمدهُ معهُ لمقاصد خصوصية ستذكر . وفي المساء اتى البير الى الكونت وسافرا معاً الى نورمنديا فنزلا في لوكندة كبيرة وصرفا ثلاثة ايام في سرور وافراح وتنزه وفي صباح اليوم الرابع خرج البير من باب غرفتهِ فوجد خادمهُ اتياً على جواد ينهب الارض نهباً وهو يلهث والعرق قد غسلهُ فارتبك البير من هذا ويتيقن ان خادمهُ ما اتى في مثل ذلك الوقت الا لامر خطير ولذلك وقف باهتاً محيراً حتى قرب منهُ الخادم فدفع اليهِ رسالة فقراها وفي الحال تغيرت منهُ الاحوال وذهب الى الكونت استاذن منهُ بالرجوع الى باريس لداعٍ عظيم كان يعلمهُ الكونت وفي الحال ركب وعاد مسرعاً حتى وقف بباب محل موسيو دوشان فلاقاهُ وعليهِ لوائح الكدر . فقال لهُ ما هو السبب يا صديقي دوشان حتى دعوتني بالسرعة الكلية . قال هو انهُ بعد سفرك قرأت في احدى الجرائد نبذة هذا ملخصها (انهُ منذ اكثر من ١٥ يوماً اعلن ان الرجل الذي خان والي جانينا وباعهُ بيع العبيد اسمهُ فرنان . والان قد بلغنا ان هذا فرنان قد غير اسمهُ فدعا نفسهُ دومرسرف وهو من وكلاء المملكة ولذلك يجب على الحكومة الفرنسوية الانتباه والحذر من قبول هكذا رجل خائن في دوائرها السياسية فلما قرأت يا اخي هذه النبذة خفت من ان تصغى الحكومة الى ذلك فذهبت الى مدير الجريدة وسالتهُ لما كتب ذلك الا يخشى اذا كان ذلك كذب من الضرر بهِ وربما تعطل جريدتهُ . فقال اني لا اخشى من ذلك لان بيدي سند راهن وعندي البراهين القوية فخرجت من هناك وانا في كدر لا يوصف فبلغني ان وكلاء المملكة طلبوا من ابيك ان يظهر براءة نفسهِ عما اتهم بهِ في الجرائد والا فيكون بالحقيقة خائناً فينبغي رفضهُ . فقال لهم والدك ان كل ما نسب اليَّ هو زور وبهتان فعلتهُ الاعداء اللئام . ولذلك قررت الوكلاء تعيين عمدة خصوصية لفحص هذه المسئلة حتى اذا تبرأ ابوك من تهمهِ ياخذ مضبطة بيدهِ ووعد والدك انهُ يظهر للعمدة سنداً يشير الى براءتهِ ثم انصرف لاحضار السند وشاع هذا الخبر حتى عرف بهِ الرفيع والوضيع وتعينت لجنة الفحص واجلت الى غير يوم وهو اليوم الثاني من سفرك

الفصل السابع

في قيام لجنة التحقيق وظهور عائلة اليونانية ووقوع العداوة بين الكونت والبير

وكان دوشان يتكلم والبير يسمع وقلبهُ يتقطع وقد كاد من الغيظ ان يختنق . ثم دام دوشان في حديثهِ . فقال ولما كان اليوم التالي اجتمعت اللجنة المعينة وجلس الرئيس في صدرها واجتمعت الوكلاء والاعيان وكثير من الاهالي وكتبة الجرائد وكنت من جملة الحاضرين وكان عدد المحققين ١٢ نفسًا من الوكلاء والباقون اقاموا للسمع فقط ولما انتظمت الجلسة افتتح الرئيس الكلام مع والدك بقولهِ اعلم يا دومرسرف ان الجرائد قد اشارت اليك بانك خائن وبينت سببًا لخيانتك وهو انك بعثت من قبل مولاك والي جانينا لتطلب له العفو من حضرة السلطان محمود العثماني . فذهبت الى القسطنطينية ونسبت الى الوالي تهمة العصيان وتعهدت بتسليمهِ واتيت بالعساكر فدخلت بيت سيدك وقتلته وبعت زوجته وبنته بيع الجوار فهل ذلك صحيح او بيدك ما يدحض ذلك . فقال والدك ان بيدي اوراق وشهادات تبين لمعاليك كذب هذه الاشاعات ثم دفع للرئيس اوراقا لا نعلم ما فيها فدخل الاعضاء الى غرفة المذاكرة ففحصوا الاوراق مدة ثم عادوا الى الجلسة وبيدهم مضبطة اعلنوا الى انهم اعطوا قرارًا بتبرئة والدك ومآل القرار انهُ تبين من الاوراق التي بيد الموسيو دومرسرف انه لم يخن والي جانينا بل سعى في خلاصهِ بكل جهدهِ ولما لم يقدر على ذلك خاطر بنفسهِ حتى قدر ان يخلص زوجته ملكة وابنته عائدة . ثم اخذ كل من الاعضاء يمضي المضبطة بالتتابع حتى انتهى الدور الى الرئيس فنظر في المضبطة ثم قال لوالدك انك قلت انك خلصت زوجة الوالي وبنته فاين هما الآن وهل يمكنك ان تاتي بشهادة منهما . قال لا يمكن ذلك لاني اذكر موتهما فامعن الرئيس برهة ثم قال انهُ موجود في هذا المكان من يقيم عليك الحجة ويثبت خيانتك فارتجف ابوك وقال اذا كان يوجد من هو كذلك فليحضر امامي ويقدم بوجهي دليله . واذ ذاك وقعت غوغاء بين الحاضرين فقرع الرئيس الجرس فرجعت الحال الى السكينة والهدوء ثم قال الرئيس . هو شخص مقيم خارج الباب وقد اعطاني هذا العرضحال فاني اقراهُ علنًا ليعرف بهِ الجميع وهو

المعروض الى لجنة وكلاء فرنسا المحترمين ان فرنان الذي يدعى اسمهُ دومرسرف ينكر خيانته لمولاهُ والي جانينا فاسترحم صدور امركم بدخولي لاقدم البرهان عليهِ بوجههِ وابين لجنتكم الوقرة انه خانه وباع حريمه الى حضرة السلطان محمود . فلما قرأ الرئيس هذا العرضحال التفت الى دومرسرف فوجدهُ في اضطراب وقد علا وجهه الاصفرار ونظر الحاضرون الى جهة الباب منتظرين دخول الشخص المذكور واذ ذاك امر رئيس الوكلاء مباشر المجلس ان ياذن مقدم العرضحال بالدخول وبينما القوم محدقون اذ دخلت عائدة اليونانية وهي تحت ملاية من الحرير تغطيها من راسها الى قدمها والروائح العطرية تفوح من ثيابها الديباجية وقد انبهر من حسنها كل من حضر في ذلك المحضر واما والدك فقد كاد ان يذوب في ثيابهِ وتاكد انهُ افتضح لا محالة . ولما وقفت ... تجاه الرئيس قال لها أأنت مقدمة هذا العرضحال . قالت نعم يا سيدي . قال وما هو البرهان الذي تقدمينه ...

باني خائن واني قتلت والي مابينا وبعت حريمه . وقد قصد الرئيس بذلك ان يغالطها . فقالت حاشاك ياسيدي من ذلك فاني اقصد فرنان الجالس في هذه الناحية . ثم اشارت الى والدك . فالتفت اليه الرئيس وقال لهُ ما تقول في من يدعي عليك بوجهك الان . قال لا اعرف هذه البنت ولا نظرتها قبل الان . فقالت انا اعرفك يافرنان بانك ارتكبت اقبح الاعمال وبعت الوالي بعد ان ركن اليك وشتتّ حريمه ونهبت امواله . فقال لها الرئيس اهل عندك على ذلك البرهان . قالت واي برهان اصدق مني وانا حايده بنت الوالي المعدوم وقد باعني هذا الخائن الى مولاي المرحوم السلطان محمود خان . فقال الرئيس وما الذي يثبت لنا انك بنت الوالي المذكور قالت ان بيدي اوراق معموديتي وغير اوراق مما يوكد ذلك فضلاً عن ان فطنتكم ونظركم فيَّ وفي حالتي يوكد ان لكم ذلك وحالة فرنان تبين لكم انهُ خان والدي وفعل ما فعل والدليل الاكبر ان في يده اليمنى جرح من تلك الوقعة اذا نظرتم فيه تتاكدون وان كان يزعم اني قد هلكت فان الله لا يتغافل عن المظلومين ولا يترك الايتام . فقال الرئيس قد قلت قبلاً ان فرنان باعك الى السلطان محمود ونحن نراك هنا فمن الذي اتى بك من القسطنطينية الى باريس . قالت لما باعني هذا الخائن الى ذاك السلطان المعظم بقيت بين جواريهِ في عز وانعام الى ان وافاهُ الاجل وانتقل الى الجنان فباعوني بعد ذلك بايام في السوق فاشتراني رجل ارمني والارمني باعني الى الوالد الحنون والاب الشفوق الكونت دي مونتوكريستو وهذا اتى الى باريس فاتيت معهُ ولا ازال عندهُ اعامل بالاكرام والانعام . فقال وهل ان الكونت هو الذي بعثك لتظهري لنا نفسك . قالت كلاً فان سيدي الكونت قد ذهب من يومين الى نورمنديا وتركني في البيت وقد سمعت الخدم يتحدثون بحديث فرنان فاستعلمت منهم فاخبروني بما نشر عن دو مرسرف هذا في الجرائد واخبروني ان حضرة وكلاء المملكة الذين يعتبرونهُ شريفاً مثلهم قصدوا محاكمته ليبرؤهُ او يطردوهُ من بينهم فقصدت اطلاعكم على الحقيقة لتكونوا على يقين ولو كان سيدي الكونت موجوداً لما سمح لي ان احضر في مثل هذه الجلسة . واذ ذاك دخل كلامها في اذهان الحاضرين وحل محل الصدق . وقبل ان ينهوا الحكم خرج ابوك من المجلس وعلائم الخجل والكآبة موسومة على وجهه حتى خيل للحاضرين ان عملهُ هذا وخروجهُ وسكوتهُ دليل اعترافهِ بكل ما تدعيهِ عائدة اليونانية . ولما ظهر لي ان اباك لحق بهِ العار ورفض من مجلس الوكلاء وتحدث بامرهِ الرفيع والوضيع بعثت اليك لتحضر حالاً وتنظر في تدبير هذا الامر الخطير

فلما سمع البير كلام دوشان صديقهِ لطم على وجههِ وصاح من ملء راسهِ هذه هي المصيبة الكبرى هذا هو العار العظيم اين ا... فليجعل عليَّ لاتخلص من الافتضاح فياليت اعرف من هو ذاك العدو الذي اوصلنا الى شغير العار والمذلة فالويل لهُ فقال دوشان الا تعرف يا البير عدواً لابيك . قال

ان اعداء ابي كثيرون كما ان اصحابهُ كثيرون فان كنت تعرف او تسمع بان لهُ عدوًّا انبئهُ . قال اني لما كنت في جانينا هذه المرة لافحص عن ابيك كما كنت وعدتك وذلك بعد ١٥ يومًا سالت بعض ذوات جانينا مستفهمًا عن حالة ابيك فاخبرني انهُ اتاهُ كتاب من موسيو دنكلار يطلب بهِ الاستفهام عن ذلك فلهذا لا بد من ان يكون دنكلار هو السبب في اشاعة هذه الاخبار وهو الذي استعلم من اهل جانينا لغاياتهِ الذاتية . فضرب البير برجلهِ الارض وقال صدقت ياموسيو دوشان فان اصل هذه الاشاعات كلها لا بد ان يكون دنكلار لاني اعلم انهُ عدوٌّ الد فلهذا لا بد من قتالهِ فاما ان يقتلني واما ان اعدمهُ الحياة فهيا ياصديقي سر معي اليهِ . فسارا ولما دخلا على دنكلار لاقاهما بالبشاشة والترحاب فقال لهُ البير دع عنك المكر والخداع وعين مكانًا ووقتًا للبراز فلا بد لي من هدر دمك واعدام اسمك . فقال دنكلار لاي سبب نتقاتل ونحن اخوان وما بيننا قط عداوة . قال كيف لا يكون بيننا عداوة وانت الذي كنت السبب في كسر شرفنا واضاعة ناموسنا وسالت من جانينا عن ابي . قال نعم ولي بذلك الحق الاكبر لانك مزمع ان تاخذ بنتي ولهذا لا بد لي من السوال والفحص وقد بعثت استعلم عن ابيك من جانينا باشارة صديقك الكونت دو مونت كريستو لانهُ هو الذي نبهني الى ذلك . على اني لم اظهر انا هذا الخبر بل هو في جواب ابقيتهُ عندي ولا اعلم من اشاعهُ . فقال دوشان قد ثبت عندي ان العدو هو الكونت لا ريب فقم بنا لنذهب اليهِ . وبينما كانا في الطريق قال البير لدوشان اني كنت لا اتصور ان الكونت يكون عدوي وذلك من الصعب غير اني بعد التبصر والتفكر تبين لي من اعمالهِ انهُ هو اصل هذه الاشاعات لاني كنت عندهُ ذات يوم فطلبت الدخول على جاريتهِ فاشترط عليَّ ان لا اذكر لها اسم ابي لانها بنت والي جانينا وكان عندهُ علم بكل ذلك ومما زادني وضوحًا انهُ لمكرهِ وخبثهِ اصحبني معهُ في سفره بعد ان ترك جاريتهُ وعلمها ماذا تفعل كي لا اشتبه ان لهُ اطلاع بذلك وكي تشيع هذه الاخبار في باريس وانا معهُ في غير جهة . قال عليك بالصبر لنعرف جرثومة العداوة . فلما وصلا بيت الكونت وجدا الخادم عند بابهِ فسالاه اذا كان حضر الكونت من السفر . قال نعم حضر وهو الان في الحمام يزيل اوساخ السفر وبعد ياتي فراشهُ لياخذ راحتهُ بالنوم وقد امرني بعدم مقابلة احد في هذا اليوم . قال البير ان الامر مهم ففي اي وقت يمكن مقابلتهُ . قال يمكنك مقابلتهُ في التياترو هذه الليلة والا فانتظر الى الغد . ورجعا وفي المساء دخلا التياترو ومعهما جماعة من الاصحاب والخلان فسار البير الى الغرفة التي يعرف ان الكونت يقيم فيها ولما راهُ الكونت وقف لهُ احترامًا وقال لهُ اهلًا بصديقي البير الامل تكون في صحة وقد زال عنك ما لحق بك من الكدر والغيظ . فقال دع عنك هذا الكلام بامرائي وعين وقتًا للقتال الذي اريد منهُ . فقال ايطلب القتال في التياترو فهدئ روعك واجا اظهر لي السبب . قال اترك المداهنة فالقتال يطلب في اي مكان فعين لي وقتًا ومكانًا للبراز . فقال الكونت انسيت من

انا الا تعلم ما لي عليك من الافضال وهل لا تعلم ايضاً اني قادر عليك في كل وقت ومهما عملت فارجع الى نفسك ولا تقود نفسك الى الخطر. قال نعم اني وان كنت اعرف باسلك انما كنت اجهل مكرك وخداعك حتى ثبت لي الان انك من اخبث الرجال واشرها. وكان البير يتكلم بصوت عالٍ مسموع من الجميع وعلائم الغيظ والحدة تلوح على وجهه. فاجابهُ الكونت بصوت عالٍ ايضاً على رسلك يا مكابر فعلى ما اظن ان اهل باريس ليسوا بهذه العوائد المتوحشة يا ابن دومرسرف. واذ ذاك وقعت ضجة كبيرة بين تلك الجماهير عند سماعهم هذا الكلام لاسيا دومرسرف صار مرذولاً من الجميع فزاد هذا غيظ البير ولم يعد يعرف ماذا يتكلم فشتمهُ الكونت وعيرهُ بقبائح ابيهِ ودفعهُ الى الخارج وهو جالس فاخذهُ موسيو دوشان. واجلسهُ في مكانهِ وكان ذلك وسيلة كبرى ذكرت جمهور الموجودين بحوادث دومرسرف حتى ان الذي لم يكن قد بلغهُ ما كان من امرهِ عرفهُ تلك الليلة وبعد ذلك بقليل اتى موسيو دوشان وجلس عند الكونت هنيهة. ثم قال لهُ ارجوك ان تخبرني لماذا فعلت ذلك وكيف اشهرتهُ وممن استخبرت من جانينا ومن الذي اقتهُ يكتب الاخبار هناك وما هي الغاية من ذلك. فاجابهُ الكونت ان هذا امر لا يعنيك ولست انا من الاطفال لافشي لك سري فاذهب الى صاحبك البير واخبرهُ ان يستعد القتال الساعة ١٠ قبل الظهر ويختر لنفسهِ اقوى سلاح فاني قد وطدت ... على هلاكهِ بعد ان كنت اودهُ واحترمهُ غاية الاحترام. ثم اعرض عن دوشان والتفت الى عائلة اليونانية وهو يضحك دون ان يظهر على وجههِ خوف او اضطراب حتى ان عائلة لم تعرف ما هو فيهِ لجهلها ما هو بينهما وكان موجوداً مع الكونت مكسيمليان ابن موريل فسالهُ عن السبب قال ان لذلك سبب لا يمكن اظهارهُ على اني مخلص الود لالبير وهو يجب ان يحامي عن ابيهِ الخائن. فسكت مكسيمليان وانقضت التياترو وذهب كلٌ الى محلهِ وكان البير لم يذهب بعد الى بيتهِ ولا راى والدتهُ. فلما دخل سلم عليها فقبلتهُ فنظرت في وجههِ علائم الغضب وهو يكاد يختنق حتى انهُ كان من غيظهِ لا يقدر على اخراج الكلام فارتبكت مرسيداس من ذلك وسالتهُ عن السبب فلم يجب فاعادت عليهِ. فقال اني اسالك يا اماهُ هل بيننا وبين الكونت عداوة او هل العداوة بين دومرسرف والكونت فقط. فارتجفت والدتهُ من كلامهِ ولاح لها انهُ مغتاظ من الكونت. فقالت لهُ لا عداوة بيننا فما الداعي لذلك وهو من اعز الناس عندنا. قال اني لا اجهل انك تحبينهُ وطالما عرفتهُ منك وسترين الى اين ينتهي الحال بيننا ثم اعرض وذهب الى غرفتهِ وترك والدتهُ في اضطراب.

واما الكونت فانهُ نهض في اليوم الثاني وامر خادمهُ ان ياتيهُ باسلحتهِ ليختار منها الاجود فاتاهُ كان يعرف انهُ لا يتخطى المرمى وكان قد اوصى مكسيمليان ان ياتي اليهِ مع صهرهِ عمانوئيل ليكونا شاهدَين في القتال فاقام ينتظرها وفي تلك الساعة فتح الباب ودخل ارتيستو الخادم ومعهُ امراة ملثمة

فاوصلها الى سيده وخرج فقال الكونت من انت ايتها الامراة وما تريدين . فلم تجبه بل نظرت يمينًا ويسارًا لترَ هل احد هناك ولما لم ترَ احدًا قامت له بصوت مرتجف ياصديقي ادمون كيف تطاوعك نفسك في ان تقتل ولدي وليس لي سواه. فارتعد الكونت عند ذكرها اسم ادمون وقال اي ادمون هنا ياست دومرسرف . قالت هو انت ياحبيبي ثم رفعت عن وجهها اللثام . وقالت يا ادمون داتناس اهل تتذكر مرسيداس فانظر كيف هي الان والى ماذا اوصلتها يد الايام . قال نعم اعرفها واعرف انها ماتت فرحمها الله . قالت لما تتجاهل وانت تعرف انها هي الان امامك كما اني انا ايضًا عرفتك ولم يخفَ عليَّ امرك ولو غبت عني خمسين سنة لان شخصك نصب عيني . قال ومن اخبرك اني ساقتل ولدك . قالت قد تأكدت ما دار بينكما في مرسح التياترو وقلبي يخبرني بذلك لان قلب الوالدة لا يغفل عن ادراك اعمال البنين . قال بعد ان عرفت ما كان منه افتقبلين ان يرذلني في محفل كذاك المحفل ولا سيما ان الله عادل لا يترك مظلومًا ويغفل عن ظالم فقد حلَّ وقت الانتقام ففرنان خان وغدر فلا بد من احراق قلبه قبل موته . فقالت دع عنك ما هو ليس من متعلقاتك فان الله وحدهُ هو القادر على الانتقام وقصاص العبيد . قال نعم ان هذه القضية تتعلق بدومرسرف وعائلة اليونانية ولذلك لا مدخل لي بها . انما انا اقسمت ان انتقم من فرنان الصياد ابن عم مرسيداس خطيبتي ساكنة الكاتالان . فقالت ما هو ذنب فرنان يا ادمون انا الذي اخطأت ضدك ولم انتظرك لحين خروجك من السجن انما لا يخفاك انه مال بعادك حتى سئمت نفسي من الوحدة ولم يكن عندي من يسعفني فالتزمت ان اسلم نفسي الى ابن عمي كونه احق بي من غيري فها انا بين يديك خذ بثارك مني وافعل بي ما تريد . فقال تذكرين انه طال بعادي فهل تدرين لما كان ذلك . قالت لكونك كنت مسجونًا . قال وهل تدرين اسباب سجني قالت لا اعلم انما الذي سمعته كونك من احزاب نابليون قال حيث تجهلين ذلك فانا اطلعك عليه لتحكمي بيننا وتعذريني فيما بعد . وهو انه اتفق دنكلار وفرنان على هلاكي فكتبا عرضحالاً وبعثاه الى وكيل الملك يتهماني باني من حزب البونابرتيين وذلك كله لاجلك فبعث وكيل الملك ليلة عرسي فاخذني وسجني ظلمًا وعدوانًا وهاك العرضحال فخذيه واطلعي على ما به فاخذت العرضحال وقراته ولما انتهت قالت اني لا اكاد امسك نفسي عن الغيظ فهذا الذي سبب سجنك ومن ابن وصل لك هذا العرضحال قال قد جعلت نفسي وكيلاً لبيت الخواجات تومسون واتيت محل وكيل القلعة واحتلت بتخليص ما يلزمني من الاوراق وقد دفعت ثمن هذه الورقة مائتي الف فرنك لاني بسببها اقمت ١٤ سنة في السجن حتى اني كنت اظن اني اموت فيه وقد قطعت الرجاء من الخلاص ونذرت قاسمًا اعظم الاقسام اني اذا تخلصت من سجني لاوقعن باعدائي واخذ ثاري منهم وكان فكري كل هذه المدة عندك وعند والدي الذي مات جوعًا وكنت لا ارجو الخلاص الاَّ وفي فكري انك تنتظرين خروجي

ولم يخطر لي قط انك تتزوجين بفرنان الخائن الكذاب فاشكر الله الذي بمساعدته اخرجني من سجني وقدرني على الانتقام وانفذ الثار. فقالت ومن اين تتاكد ان فرنان له دخل في مسئلة هذا العرض. قال كيف لم يكن له دخل وقد اتفقا على ذلك في الحمارة وكتب دنكلار العرض واوصله فرنان الى البوسطة وليس هذه اول خيانته فانني اعرفه حينما كان مع العسكر الفرنسوي في حرب الانكليز فانه ذهب الى العدو واطلعه على الحقائق وتدبيرات معسكره وخان دولته وايضاً انه اسباني الاصل وحارب ضد الاسبانيين وبذلك خان جنسته ولما كان كاتم اسرار والي جانينا وبعثه مولاه يسال له العفو عكس مآل ماموريته ونسب لولي نعمته الخيانة وتعهد بتسليمه بالحيلة مع ان مولاه بري من كل هذه التهم فكل هذا يامرسيداس لم يكن برهاناً على خيانته فلذلك لا بد من الانتقام منه والسعي في هلاكه. فقالت اسالك العفو يا ادمون ورمت نفسها على رجليه فقبلها فتاثر من كلامها وقال لها انهضي ياست مرسيداس. فقالت له لما لا تصغى لرجائي هل لا استحق ان اكون معدودة الخاطر عندك وانت حبيبي ولا ازال احفظ ودك وارعى عهدك وطالما تضرعت الى الله ان يطلقك من سجنك صارفة الليالي بطولها منتصبة على ركبتي وطالما ايضاً قبلت ايادي ابيك عنك وانا اغسلها بدموع الحزن ولم انفك عن خدمته حتى عند موته اهداني البركة ولم يكن عنده غيري وانت تعلم لو لا ضعف حالي وضيق معاشي وقطع رجائي لما اخترت الزواج مطلقاً فارحمني ياادمون ارحمني وان كنت لا تزال مصراً على الانتقام فانتقم من المذنبين فها انا وها فرنان بين يديك فانتقم وخذ بثارك منا ولكن لا ذنب ولا علم لولدي بكل هذه الحوادث وحاشاك ان تاخذ البري بجريرة المذنب وانا اعرف انك بطل بالحقيقة وليس لولدي قدرة الثبات امامك. فشفق ادمون عليها ودفق الدمع من عينيه عند استماعه كلامها حيث ذكرته بكل مامضى وعرف انها معذورة فقال لها ان كان لا يهون عليك قتل ولدك فانا لا اتعمد قتله واذ كان لا بد من القتال فاكدي يامرسيداس اني ساقتل نفسي وارجع ابنك سالماً اليك. فقالت لا لا ياحبيبي فان حياتك عندي ثمينة جداً كحياة ولدي واعز من حياته فاذا كنت ازمعت ان تقتل نفسك فاقتلني قبل كي لا اسمع فيما بعد انك تعذبت او قتلت لاجلي مرة ثانية فقال لا بد لي من قتل نفسي والخلاص من يميني الذي اقسمته قالت اذاً اقتل ولدي يا ادمون وابق انت بالحياة فاني وان كنت خطيبي اتخذتك عوضه واشكر الله الذي لم ينزع من قلبك مراعاتي وكرامتي لاني وان كنت قد فقدت جمالي الاول لم افقد منزلتي عندك فالحمد لله الذي رفعك من درجة النوتية الى درجة الامراء وانعم عليك بجزيل كرمه. واخيراً اطلب اليك ان تسمح لي لاني اخمدت نار غضبك على اليمين فلا بد من اخماد ناره وانقياده اليك. ثم ودعته وذهبت وبقي الكونت في حيرة وارتباك وهو يلعن تلك الساعة التي اصرّ فيها على الانتقام وندم على يمينه السابق وقال في نفسه مالي ولهؤلاء الاوغاد لاعاملهم نظير اعمالهم القبيحة واين تعرف

الكرامة اذا كانت فقدت مني على ان قلبي ربما لا يطيعني للانتقام فاني من كلام امرأة قد اضعت كل ذلك الحقد ورق قلبي ولان حتى اني وعدت بقتل نفسي فلا كانت هذه الدنيا ولا كان بوسها ونعيمها فهي للشر والفساد والى الله مرجع الامور

الفصل الثامن

في الاستعداد للمبارزة ورجوع الحب بين الكونت والبير

وبعد ان جرى ما جرى على الكونت تذكر عائدة اليونانية فقام من مخدعهِ وعزم ان يذهب اليها فوجدها عند الباب نائمة الى الارض لانها كانت قد شعرت بفراق الكونت على غير داعٍ فانت ولما لم تستحسن الدخول خوفاً من تصديع خاطرهِ اقامت عند باب مخدعهِ لئلا يخرج فلا تراه ولما راها نائمة رفعها الى مخدعها واذ ذاك تذكر ان يوصي باموالهِ لانهُ وطد نفسهُ على قتل نفسهِ وما كتبهُ في تحرير الوصية هو

انا الموقع اسمي على سند الوصية هذه اوصي وانا بصحة عقل وجسم لمكسيمليان ابن المرحوم الخواجه موريل بعشرين مليون فرنك تشترك معهُ اختهُ جوليانا وجل ارادتي وقصدي ان يتزوج بعائدة اليونانية واني اهب لعائدة المذكورة ايضاً جميع ما املكهُ في هذه البلاد وفي لوندرا والنمسا من العقارات ونحوها واهبها ايضاً ستين مليون فرنك موضوعة بموجب سندات في بنوكة متفرقة وليس لعائدة من مشارك في ذلك ولا معارض وللبيان حررت هذه الوصية

واذ ذاك انتبهت عائدة وخطفت الورقة من يدهِ وقرأت ما فيها فصاحت من ملء راسها الى اين ياسيدي الى اين . قال الى سفر طويل لا رجوع منهُ . قالت لا اقبل ان ابعد عنك فخذني معك فلا احد يحلو لي اذا كنت بعيداً عني وماذا تنفعني الاموال والاملاك اذا كنت لا اشاهد وجهك في كل صباح . ثم مزقت الورقة وقالت اعذرني ياسيدي فلا اقبل هذه الوصية فاني مزمعة ان لا افارقك حتى الموت وبعد الموت ايضاً . وبعد ذلك حضر ابن موريل وصهرهُ عمانوئيل فوجدا الكونت ينتظرهما وبعد المفاوضة قال مكسيمليان اني ذهبت الى شاهدي البير لاسالهما عن السلاح الذي يجب ان تتقاتلا بهِ فقالا يجب ان يكون القتال بالرصاص فحاولت منع ذلك وان يكون بالسيوف او الحراب فلم يقبلا وذلك حباً بك لاني اتيقن انك اقدر منهُ وفي غير الرصاص تبان المقدرة . فقال الكونت اني اشكر فضلك فهكذا تكون الاصحاب والا فلا على ان القتال بالرصاص احب اليَّ من غيره وسار بك . ثم الصق الكونت ورقة بالحائط ونقط عليها اربع نقط ووقف بعيداً عنها محط مرمى الرصاص واطلق فردهُ فاصاب المقصود وهكذا حتى الاربع نقط . وحينئذٍ قال مكسيمليان صدقت ياسيدي الكونت فالان لم اعد اخاف عليك غير اني التمس اليك ان لا تقتل ذلك الولد الوحيد فانهُ جهلهُ وغيرتهُ على شرفهِ حملاهُ على معاداتك . قال الكونت صدقت فقد وطدت

نفسي ان لا اضرب بل اقتل نفسي واخلصهُ . وكان مكسيمليان لم يعلم ما كان بين الكونت ومرسيداس ولذلك تعجب من كلامهِ وقال لهُ هل طرأ طارئ عليك او عدمت عقلك ايها الكونت قال لا شيء ما ذكرت انما جاءني الوحي في المنام فقال لي قد كفاك ما مضى عليك من العمر الان فاعد نفسك للرحيل واستعد لملاقاة مولاك

وفي تلك الساعة اتى الخادم ودعاهم للركوب لان الوقت المعين قد دنا فركبوا المركبة وساروا الى الساحة المعينة فوجدوا شاهدي البير هناك ولم يكن بينهما وهما فرنند وشخص اخر فنزل الكونت وصاحباهُ وهو يتبسم كانهُ ب وليمة فرح ولم يكن يعرف احدما في فكره وفي تلك الساعة حضر البير معفرًا بالغبار فنزل عن جواد ونظر الى ما حولهُ دون ان يحيي احدًا بل دنا من الكونت ورفع برنيطتهُ عن راسهِ وركع بين يديهِ واظهر على نفسهِ الذل والانكسار فقال لهُ شاهداهُ اننا هيأنا استعدادات القتال فقم واحفظ لنفسك شرفها . فقال ارجوكم جميعًا ان تبعدوا عني فاني احب ان اكلم الكونت كلمة سرية ولا اعرض نفسي للخطر . فقال مكسيمليان ليس الان وقت اسرار يا البير فاحكي ما انت حاكيهِ علنًا فاننا شهود عليك . واذ ذاك قال البير اعلم ياسيدي الكونت اني ما طلبت مبارزتك الاَّ وكان فكري انك المتعدي على دومرسرف وانك اهنتهُ وكسرت شرفهُ وحيث تاكدت الان انك تقصد اهانة فرنان الصياد ابن عم مرسيداس لا دومرسرف فلذلك اكون قد تعديت على حقوقي معك ولم اسالك سيدي الامانة على الجميل والمعروف الذي اوليتنيهما . وليس من حقي طلب القتال بعد ان ظهر لي كل ما كنت اجهلهُ وها انا بين يديك ذليل النفس التمس العفو والسماح وارجو المعذرة وان تعاملني بحلمك وكرامة اخلاقك . فلما سمع الحاضرون منهُ هذا الكلام اخذتهم الحيرة وتعجبوا من كلامهِ وتذللهِ . وكان اكثرهم تعجبًا الكونت لانهُ بهت برهة دون ان يبدي حركة او يتكلم بكلمة وهو يفتكر بامرء مرسيداس التي بحكمتها حفظت حياة ابنها وحياتهِ . ثم قال البير ان كان ما قدمتهُ لديك ليس كافٍ للعفو فاعطني يدك ياسيدي الكونت لاقبلها . وللوقت رفعهُ الكونت وصافحهُ . وبعد ئذٍ قال البير للحاضرين ارجوكم يا اسيادي ان تعلنوا تذللي هذا امام الرفيع والوضيع وتبينوا انهُ هو المقتدر وانا الضعيف وما ذلك الاَّ لما لهُ عليَّ من الفضل واني انا المتعدي وقد الزمتهُ الى القتال متوهمًا انهُ عدوي و بالحقيقة هو صديق صدوق وعدوهُ فرنان الصياد لا دومرسرف والبادىء بالشر لا بد ان يجني ثمرة شرهِ . ومن كلامهِ هذا تاكد الكونت ان والدتهُ اطلعتهُ على باطن الامور واخبرتهُ بقصة ابيهِ معهُ من البداءة الى النهاية فلم يهن عليهِ ذلك . وبعد وقوع الصلح ورفع الاحقاد رجع كل الى محلهِ وسار البير مسرعًا الى بيتهِ فراى والدهُ ينتظر عودتهُ فلما راهُ دنا منهُ وسالهُ عن حالهِ فلم يجبهُ بل دخل مخدعهُ واغلق الباب واخذ يهيىء لوازم السفر فجمع ثيابهُ وبعض دراهم قليلة كانت معهُ ثم خرج الى والدتهِ فوجدها قد جمعت ثيابها وهيأت احتياجاتها . فقال لها ما ذلك

يا اماه . قالت قد عزمت ان اسافر معك واتبعك اينما سرت فلا اقامة لي بعد هذه الاحوال مع ابيك . فقال ان في ذلك صعوبة عظيمة لان الدراهم معي قليلة لا تكفينا لايام قليلة وعزة نفسي لا تطاوعني ان امد يدي الى شيء من حوائج ابي وامواله . قالت لا بد من السفر معك ولو ذقت الفقر والفاقة فان غايتي البعد عن ابيك والقرب منك اينما كنت والله هو الذي يساعدنا في عيشتنا . قال اذا كان لا بد من ذلك فاسرعي لاني لما دخلت نظرني ابي وكان في فكره ان يكلمني ويطيل الحديث معي فاظهرت الغضب فركب مركبته وسار واظنه يعود حالاً فالعجلة في السفر تدفع عنا العوائق . قالت اني حاضرة للرحيل فات بالمركبة لنركب . وفي الحال اتى البير بمركبة ونقل امتعته وامتعة والدته وعزم على الركوب فيها واذ ذاك اتاه ارتيشتو واعطاه تحريرًا ففتحه وقراهُ ثم التفت الى الخادم فلم يرهُ فاعطى التحرير الى والدته فاخذته واذا هو مكتوب فيه

اعلم يا صديقي البير انه من مدة ٢٤ سنة كان لي خطيبة ذات جمال باهر ولطف وظرف فاتيت ذات يوم ومعي مائة وخمسين ليرة قصدت ان ادفعها لها فلم اجدها فوضعت الدراهم في قارورة ودفنتها في الجنينة الكائنة في البيت التي كان يسكن فيه والدي تحت التينة التي ذرعها حين ولادتي ووالدتك مرسيداس تعرف تلك التينة وقد جلست مرارًا تحتها تستظل بظلها من حرارة الشمس ولهبات اعين الحاسدين وحيث غبت عن بيتي لم اعد اقدر ان اصل الى تلك الدراهم ولما رجعت الى مرسيليا تفقدت القارورة فوجدتها كما هي وبما انها تذكار جميل لم يطاوعني قلبي على حملها فابقيتها مكانها حيث لم اكن احتاجها فهي الان اعانة لسفرك وكان في نيتي ان اهبك ثلاثة ملايين فرنك اكرامًا لك ولوالدتك انما اعرف ان عفة نفسيكما لا تطاوعكما على قبولها انما هذه حقها منذ القديم فارجوك قبولها ولا تتعجب من معرفتي بسفرك والسلام يصحبك اينما كنت (الامضاء)

الكونت دي مونتو كريستو

فلما قرات مرسيداس الرسالة قالت نعم اني اقبل هذه الدراهم فقط وهي تكفينا لنستاجر محلاً في بعض الاديرة . وكان السبب في معرفة الكونت بسفرهما هو انه بعد ان ذهب البير ارسل خلفه خادمه ارتيشتو ينظر ما يكون من امره وكان لارتيشتو مودة مع خادم البير فدنا منه وساله ان يفحص له ماذا سمع فاخبرهُ انه ازمع على السفر مع والدته وانه ذهب لياتي بمركبة فعاد واخبر مولاهُ فكتب حالاً تلك الرسالة وارسلها لها . وبعد ذلك دخل على عائدة اليونانية فقبلت يدهُ وقبلها في راسها وجلس عندها يروض باله ويتسلى عما كان فيه ولم يستقر الاَّ القليل حتى اتاهُ الخادم واخبرهُ ان دومرسرف بالباب . فصاحت عائدة هل لم ننتهِ بعد من الاصحاب ولا سيما اولاد الحرام فقال لها الكونت لا تخافي واصبري ترين ثم ذهب الى دومرسرف . وكان سبب حضوره الى الكونت هو انه لما راى ولدهُ رجع سالمًا ظن انه قتل الكونت فساله فلم يجبه وبعد ان د... مخدعة سال خادمه ماذ

عمل سيدك مع الكونت . قال لم ابارزهُ قط بل حينما وصل اليهِ سجد بين يديهِ والتمس منهُ السماح . فلما سمع كلامهُ طار عقلهُ وفي الحال ركب مركبتهُ وسار الى الكونت وبعد التحيات قال لهُ اعلم ان ابني لهُ الحق في قتالك لانك كنت السبب في خرابنا وكسر اسمنا وطردي من بين رجال المملكة . قال نعم انهُ قد كان صمم على القتال الا انهُ لم يتم بيننا قتال . قال لماذا هل طلبت منهُ السماح . قال كلاَّ بل هو سجد امامي معترفًا باقدامي مقرًّا بفضلي عليهِ ومساعدتي اياهُ عالمًا بانهُ يوجد شخص اخر هو المسئول بوقوع كل هذه الحوادث وهو وحدهُ المذنب . قال من هو ذاك الذي تعني عنهُ . قال هو والدهُ دومرسرف . قال كيف ابني يعلم ان والده المذنب . قال هذا لا اعرفهُ فاسالهُ عنهُ . قال الحق معك وما اتيتك مستفهمًا بل جئت اطلب قتالك . قال حبًا وكرامة فهيا نتقاتل الان ولا يلزمنا شهود لاننا نعرف بعضنا منذ الصغر . قال دومرسرف انا لا اعرفك ولا رايتك عمري الاَّ في هذه الايام . قال الكونت هل لا تظن اني اعرف فرنان الصياد ساكن الكاتلان الخائن الذي اعرف لهُ عشرين خيانة فهيا الى المبارزة لتعلم من انا . قال الم يكفك اشهار اسمي وخراب بيتي حتى تروم هلاكي ايضًا او هل لا تظن انني مشتبه في امرك وانت تارة تعمل انكليزيًا وطورًا كاهنًا واخرى كونتًا فاظهر لي ما اسمك الحقيقي حتى اذا قاتلتك اعرف من اقاتل . قال الان تعرف اسمي وشخصي فاصبر قليلاً هنا ثم ذهب الكونت الى مخدع اخر فلبس ثياب النوتية والبرنيطة واتى الى فرنان وقال لهُ انظر ياخائن ياخداع . وفي الحال عرفهُ وصاح انت ادمون انت ادمون ونهض راكضًا وقد غاب وعيهُ وفقد قسمًا من عقلهِ ثم نزل المركبة وسار وقلبهُ يرجف وشخص ادمون لا يفارقهُ كيفما مال حتى انتهى الى بيتهِ فدخلهُ فوجدهُ خاليًا من كل انيس وجليس فسأَل الخادم عن زوجتهِ وابنهِ . قال لهُ سافرا ليفيا في بعض الاديرة وقد اوصياني ان ابلغك انك لا تراهما فيما بعد وانكما ستجتمعان في اليوم الاخير . فزاد هذا الخبر قلق افكارهِ وهيجان دمهِ وضاقت الدنيا في وجههِ ولم يعد يعرف كيف يسير وحركهُ دنو اجلهِ الى الانتقام من نفسهِ فاخذ طبنجة ووضعها في جوفهِ فاطلقها ووقع الى الارض قتيلاً يخبط بدمهِ وهكذا قد انتهت حياتهُ على هذه الصورة بعد ان شاهد خراب بيتهِ وفقد زوجتهِ وولدهِ الوحيد وعرف ايضًا عدوهُ انهُ قدر عليهِ واخذ منهُ ثارهُ

الفصل التاسع

في ما وقع لفالنتين وما جرى لدو فيلفور ودو فالكانتي ودنكلار

ولنرجع الى مكسيمليان ابن موريل صديق الكونت الذي كان لا يود من كل اولئك الاَّ فانهُ بعد ان فارق الكونت في ذاك النهار ذهب الى نوارتيه ليشاهد خطيبتهُ حسب العادة ويجتمع بها عند جدها ولما وصل اليهِ قبل يديهِ وسلم عليها وجلس برهة فوجد فالنتين منحرفة المزاج دون ان تعرف السبب . واذ ذاك اعلمتها الخادمة باتيان زوجه دنكلار وابنتها فاستاذنت من خطيبها ووعدتهُ

انها تعود بعد قليل وسارت فسلمت على زوجة دنكلار وجلست بين الموجودين ثم دار بينهما حديث زواج بنت دنكلار . فاخذت والدتها تمدح دوفالكانتي وتصفهُ بالكرم والغنى والشرف وقالت في اخر الكلام ان يوم الزواج قريب فادعوك يامدام دوفيلفور مع ابنتك ليتم فرحنا بكما . فقالت بنتها اني ارى والدي ووالدتي يمدحان هذا الشاب مع اني لا ارى فيهِ شيئًا من ذلك وقلبي لا يميل اليهِ ونفسي تطلب البعد عنهُ . وطالما قلت لهما اني لا ارغب في الزواج فصنعتي التصوير ويمكنني ان اتعيش منها واستغني عن كل ما هو لابي ولغيرهِ واشكر الله الذي تخلصت من البير ابن فرنان فالتين الخائن الذي اشتهر بين كل قاص ودان واسالهُ ان يخلصني من هذا ايضًا فهو السميع المجيب . فقالت اهل تظنين ان البير لحقهُ ما لحق بابيهِ من العار . قالت نعم وهو نفسهُ عرف هذا ولاجلهِ طلب قتال الكونت دومونتوكريستو صديقهِ الاول . قالت كلاَّ فان تلك افعال شخصية وقعت من دوموسرف على نفسهِ ولما عرف البير صحة الواقع طلب السماح من الكونت فسمح لهُ وبعد ذلك لم نعد نعرف ماذا صار . وبينما كانت فالنتين تتكلم شعرت بالم ووجع شديدين فاستاذنت وذهبت مسرعة الى خطيبها الا انها لما لحقت باب الغرفة وقعت الى الارض فقصدت النهوض فوقعت ثانيًا فاسرع اليها مكسيمليان ورفعها بين يديهِ فوجدها في حالة رديئة فنادى الخادم فاخذها الى سريرها وهناك زاد عليها الحال ولم تعد تعي فقام لذلك ضجة وغوغاء وحضر دوفيلفور فوجد ابنتهُ في هذه الحالة فصفق على يديهِ وضرب وجههُ وخرج مسرعًا الى الطبيب بنفسهِ وعندما قرب منهُ . قال لهُ ادركني ايها الطبيب فان ابنتي التي اتهمتها بارتكاب جريمة القتل ها هي قد وقعت في تلك العلة نفسها فادركها وخلصها فالان بالحقيقة قد عرفت عدوي فالويل لهُ ثم الويل . قال الطبيب نعم اني كنت اظن ان فالنتين هي التي تدبر السم ولذلك اذهب بنا لاطلب منها السماح . ولما نظر الطبيب الابنة تاكد فقدها الا انهُ اعطاها علاجًا نافعًا وصرف عنايتهُ في مداراتها وامر ان يوتى لها بالعلاجات واوصى دوفيلفور ان ياتي بالدواء بنفسهِ ولا يسلمهُ لاحد ولا يسلم الورقة الا للصيدلاني فقط وفي تلك الساعة دخلت خالتها نائحة باكية وهي تقول ارجوك ياسيدي الطبيب ان لا تتركها فانها زهرة بيننا وعزيزتنا فاذا اصابها شيءٌ لا بد من ان نموت معها فلا كان صاحب هذا الفعل ولا كان من يسعى بالشر فالى متى هذا التهامل ولم يبقَ في البيت عندنا احد . وكانت تتكلم ودموعها تسكب على خديها كانها لم تكن هي نفسها القاتلة . وكان موسيو نوارتيه يعرف منها ذلك وقد هم الى قتلها الا انهُ لعجزه لم يقدر ان يصل اليها . واذ ذاك دخل عليهِ الطبيب منتظرًا عودة دوفيلفور فاشار اليهِ ان يقرب منهُ فقرب ثم اشار لهُ انهُ يعرف الفاعل وانهُ وضع لهُ السم فلم يوثر فيهِ . فقال الطبيب لا بد من مداركة هذا الامر انما السعي في خلاص فالنتين هو من اعظم الاشياء لعلَّ الله يطيل في اجلها واذ ذاك اتى دوفيلفور بالدواء فذهب الطبيب وسقاهُ بنفسهِ الى فالنتين واقام عندها . واما مكسيمليان فانهُ كبر

عينيه هذا المصاب ولم يعد يعرف ماذا يصنع ولكثرة الازدحام لم يمكنه ان يبقى هناك فخرج هائماً على وجهه قاصداً الكونت دي مونتوكريستو يطلعه على الواقع ويستمد رأيه . فلما وصل اليه لم يعرف كيف يسلم عليه فعرف الكونت منه ذلك وقال له ما انت في هذه الحالة يامكسيمليان هل فقد احد من عائلتك فاني اراك باكياً . قال ياليت فقد احد من عائلتي ولا وقعت في هذه المصيبة الكبرى . قال اذاً ماذا دهاك . قال بما انك صديقي وعزيزي لا اخفي عنك شيئاً فاطلعك على ما اصابني علك تفرج كربتي وتنظر لي وجهاً اتخلص به . قال الكونت قل ولا تخف فاني اساعدك واقدم لك حتى روحي . قال اعلم ياسيدي اني دخلت ذات ليلة الى احدى البيوت مختفياً فسمعت شخصين يتكلمان على انفراد دون ان يرياني وهما الطبيب وصاحب البيت وسمعت الطبيب يقول له . يجب ان تحترس لنفسك فها قد مات عندك بالسم اثنان واذا لم تحترس وقعت في اسوإ الاحوال . وبعد ذلك بايام مات شخص ثالث بالسم في ذلك البيت والان قد سم الرابع واشرف على الموت فلهذا اتيتك مستجيراً علك تعرف دواء ينقذ هذا الشخص الاخير . قال الكونت لما تخفي عني صاحب ذلك البيت وهو موسيو دوفيلفور والاشخاص الذين ماتوا هم دومارند وزوجته والخادم والان فالنتين . وهذا قد صار اشهر من نار على علم . قال مكسيمليان ارجوك ياسيدي مساعدتي بخلاص فالنتين قال لما تطلب خلاصها وهي ليست من اقربائك ولا بينك وبينها علاقة . قال ان بيني وبينها علاقة كبرى فهي اعز من كل اقربائي ومن كل من اعزّ فهي خطيبتي وشريكة حياتي . قال الكونت اني لا ارغب ان نتدنس بالقرب من ذلك البيت المملوء بالشر والفساد . فرمى مكسيمليان نفسه على اقدام الكونت وقال له انظر اليَّ يامولاي ففالنتين ليست كاهل ذلك البيت وقد عاهدتها وعاهدت جدها على الامانة ودوفيلفور حتى الساعة لا يعرف حبي لها ولو عرفه لمنعني فارجوك خلاصي وخلاصها فرفعه الكونت وقبله بين عينيه وقال له لو لا انك ابن موريل لما ساعدتك انما اذهب الى بيتك ونم آمناً فاني اخلص لك خطيبتك وازوجك بها . فكرر عليه . فوعدهُ بالفرج ثم انصرف مكسيمليان معلقاً آماله بمواعد الكونت لعلمه انه يقدر على ما يقو . وفي مساء ذاك اليوم وُجد الخوري بوسيوني مستاجراً بيتاً ملاصقاً لبيت دوفيلفور دون ان يعلم احد ما هي الغاية . ولندع الكونت او الخوري يسعى بانفاذ مقاصده ونرجع الى موسيو دنكلار فانه لما قرب يوم زفاف ابنته على دوفالكانتي دعاها اليه فلم تحضر فارسل خادمه اليها بان تحضر عنده حالاً فابت واقامت في مخدعها فذهب اليها وسالها عن امرها قالت ارجوك يا ابتاه ان ترحمني فاني لا اقبل ان يتم زواجي على هذا الرجل الغريب ولا ارغب في غيره ولو كان من العائلة الملكية لاني لا ارضى في ان املك حريتي لانسان قط . قال لما لم تقولي من اول الامر لما رهنت قولي مع خطيب قط . قالت طالما عرفت غايتي وفهمت ان نفسي تكره الزواج سيما في اوائلك الاوباش وانت تتغاضى عن ذلك . قال اتريدين ان تجعليني اضحوكة بين

الناس . قالت ان القول في ذلك لي فاذا صار مانع فيكون مني ولذلك لا يلحق بك عار وانت قد عينت لي خمسمائة الف فرنك فهذا القدر يكفيني فائظة لمعيشتي . قال اني لم ارغب ان ازوجك بالامير فالكانتي الا وفي نيتي ان اعيد محلي كما كان لاني قد اصبحت على نية الافلاس ولم يعد احد من الناس يأمني بعد ان شاهد واخسائري وما لحق بي من الضربات المتوالية وحيث اعهد ان هذا الامير هو من الاغنياء فيمكني بعد زواجك ان اضع امواله واموالي فيستقيم حالي وترجع لي الامنية كما كانت وقد تعهد دوفالكانتي ان يقدم لي ثلاثة ملايين فرنك فنضم اليها الخمسمائة الف فرنك وهذه اعانة كافية . قالت اهل في نيتك ان تاخذ ما اعطيتني اياه . قال حاشا بل هو على اسمك وان كان معنا . قالت اذا كنت تطلب الغنى بواسطة هذا الزواج فافعل ما بدالك ولو قدمت نفسي ضحية لنجاحك لكن اشرط عليك ان تطلق لي الحرية بعد الزواج افعل ما يريدهُ مني حب الشرف والحرية قال لك بعد ذلك الارادة المطلقة . وفي ذلك اليوم ذهب دوفالكانتي الى الكونت دو مونتوكريستو ودعاهُ الى حضور عقد الزواج وطلب اليهِ ان يكون نائباً عنهُ في كتابة العقد . فقال الكونت لا يمكني ذلك لاني لم اعرفك قبل الان قط وانما هذه المعاملة التي اعاملك اياها هي اسناداً لتحرير من الخوري بوسيوني واكراماً لخاطرهِ . فقال دوفالكانتي وقد اظهر الذل والانكسار قد فهمت انهُ لا يمكنك ذلك انما اطلب اليك ان تخبرني متى يرسل لي والدي الدراهم . قال اظن ان والدك صرف املاكهُ وكل امتعتهِ وعلى ما هو موكد عندي الان انهُ في الطريق . قال ارجوك اذاً ان تحضر وليمة الزفاف ليزيد بوجودك شرفي و يعرف الحاضرون اني من اصدقائك واحبائك . قال هذا لا بد منهُ لان عملك دنكلار دعاني الى ذلك . فتركهُ دوفالكانتي وسار ودعا جماهير من الذوات وارباب المناصب العالية ولما كانت الساعة التاسعة غصّ المحل بالحضور وكانت قاعات قصر دنكلار تضيء بالشموع وقد صفت الاواني وغنت الاغاني ودارت الافراح واشتغل كلٌّ من الموجودين بتعاطي كؤوس الفرح وفي تلك الساعة تسابقت الخدم الى دنكلار واخبروهُ بقدوم الكونت دي مونتوكريستو فخرج الى ملتقاهُ وترحب بهِ ولما دخل قام لهُ الجميع اعتباراً ووقاراً وسلم عليهِ كلٌّ بمفردهِ وبعد ذلك جعل يحادثهم بكل حديث شهي مطرب و يقدم لهم الاخبار السياسية الجديدة نحواً من نصف ساعة حتى كان الجمع برمتهِ باهتاً من فصاحتهِ و بلاغتهِ . وفي ذلك الوقت حضر كاتبو عقد الزفاف فجلسوا بين القوم ثم كتبت كندراتو الزواج وعرضت على الجمهور ليوقعوا عليها شهاداتهم و بينما القوم مهتمون باتمام هذا العقد بفرح اخذ من الجميع كل ماخذ سألت احدى الموجودات كيف لم يحضر دوفيلفور فاجاب الكونت بصوت عالٍ سمعهُ الجميع . ان موسيو دوفيلفور مشغول بمسئلة السرقة التي وقعت في بيتي حيث ان اللص قتل وقبل موتهِ عرّف الحكومة المحلية بقاتلهِ فلهذا اهتم دوفيلفور مع البوليس بالقبض على القاتل قبل تمكنهِ من الفرار لانهم عرفوهُ حق المعرفة ولما انتهى الكونت من

كلامهِ سمع ضجة خارج القصر وتبين ان البوليس وانفار الضابطة قد احتاطت بالقصر ودخل منهم نفران بعد ان اوقف رئيسهم شخصين على كل باب وتقدم النفران مع الرئيس فقالوا اين دوفالكانتي فان الحكومة تطلبهُ لدعوى مقدمة عليهِ فلما سمع دنكلار هذا الكلام كاد يغشى عليهِ واراد ان يسال البوليس عن السبب فلم يقدر على الكلام ولا عرف كيف يتكلم . واما جمهور الحاضرين فانهم وجهوا بانظارهم الى الانفار منتظرين النهاية وقد وقعت عليهم السكتة . وبعد ذلك برهة تقدم الكونت دي مونتوكريستو وقال لرئيس البوليس ماذا تريدون من جناب الامير . فقال اعلم يا سيدي انهُ ليس باميرٍ ولا بسيد وانكم مغشوشون بهِ لانهُ من اكبر اللصوص المشهورين سفاك للدماء شرير وقد ثبت انهُ هو قاتل كادروس اللص الذي قتل اول امس حال هجومهِ على بيت رجل مشهور بالكرامة يدعى الكونت دي مونتوكريستو وكان هذا الذي تدعوهُ اميرًا مسجونًا مع كادروس المقتول في سجن طولون محكوم عليهما بالسجن المؤبد فلشقاوتهما كسرا نوافذ السجن وهربا وبعد التحري تأكد لنا انهُ دعي باسم دوفالكانتي وانهُ مزمع في هذه الليلة على الزواج فاين هو الان واخذ البوليس بالتفتيش على بنديتو فلم يقفوا لهُ على اثر لانهُ كان عند سماعهِ كلام الكونت شعر في داخلهِ بقلق واضطراب وتصور في ذهنهِ ان هذه الحالة التي هو فيها واجتماع هكذا جمهور يظهر امرهُ وربما حضر تلك الليلة احد رجال الحكومة فيعرفهُ ويكتشف امرهُ فاستغنم الفرصة وهرب وما انتهى الى طريق البيت حتى التقى بالضابطة فاختفى الى ان وجد سبيلاً للفرار فنجا بنفسهِ . ولما لم يجدهُ البوليس رجعوا عن البيت وبعد ذلك انصرف الجمع المدعو لوليمة الزفاف يتحدثون بهذه الحادثة الغريبة العجيبة وما منهم الا من يندد في دنكلار ويهينهُ كيف رغب في زواج بنتهِ بهذا الرجل الغريب الخبيث اللص المحتال دون ان يعرف اصلهُ وفرعهُ . اما بنت دنكلار فبغضها لوقوع هذا الزواج جعلها ان لا تشعر بعظم هذا العار الذي وقع عليها وعلى عائلتها بل ذهبت الى مخدعها ومعها خادمتها ففتحت صناديقها واخرجت ثيابها وجعلتها بقجًا فقالت خادمتها الى اين يا مولاتي قالت الم اقل لك انني بعد الزواج سارحل عن هذه الديار تاركة ابي في فرحهِ الجديد مع صهرهِ يتنعمان باموالها وحيث ان وقوع هذا الحادث كان اكبر سبب بوضح عذري فلا بد من الرحيل والهرب دون ان يراني احد . قالت الخادمة كيف يمكننا نهرب ونحن امرتان وليس لنا مسعف ولا مساعد قالت اني اعرف لذلك سبيلاً ثم اخذت مقصًا فقصت شعرها ولبست ثياب رجلٍ وبدلت تلك الهيئة اللطيفة بهيئة اخرى ووضعت ما عندها من الدراهم والجواهر وقيمتها جميعها نحو ٥٠ الف فرنك في صندوقها وامرت خادمتها ان تتبعها وكان اذ ذاك قد تنصف الليل فخرجتا الى محل المركبات فركبتا في مركبة وسارتا الى مرسيليا ومنها الى بروكسل في بلاد البلجيك وهناك قالت بنت دنكلار لخادمتها ان ما معنا من الدراهم يكفينا لزمن فضلاً عما احسناهُ من تعليم فن الموسيقى والتصوير فيمكننا ان نعيش بعيدًا عن اولئك الاوباش

واني اشكر الله الذي خلصني من دو برسيرف ودوما الكاتب فاني كنت اكون ... فما لبثت حتى وقعت بالاسر

واما دوما الكاتب (بنديتو) فانهُ كما اشرنا قد هرب من بيت دنكلار ولم يكن يعرف في اي طريق يذهب وقد استدرك في وجههِ المذاهب واخيرًا خطر لهُ ان يهرب الى احدى القرى المجاورة باريس ويختبئ فيها ليرى ماذا ينتهي اليهِ الامر فصادف مركبة فارغة فركبها وسار بهِ بكل سرعة وقد اشترط على سائقها ان يسرع بهِ فيعطيهِ ٥ فرنكات لان احد اصحابهِ ينتظرهُ هناك ولما نزل من المركبة لم يجد في القرية محلاً يختفي فيهِ فاستاجر جوادًا فركبهُ وسار ركضًا حتى انتهى الى مدينة كامبين عند اقبال الظهر فسار الى اللوكندة وطلب من صاحبها ان تعطيهُ غرفة نمرة ٣ لان مرادهُ ان يقيم فيها بضعة ايام . فقال لهُ صاحب اللوكندة ان بها اثنان من باريس وهما شاب وبنت فاذا شئت غيرها فخذ . فاخذ مفتاح غرفة ثانية وفي نيتهِ ان يقيم تلك الليلة وفي الصباح يسير عن تلك المدينة ويتخذ طريق بروكسل الا انهُ لشدة تعبهِ غرق في النوم ولم يستيقظ الاَّ لحين الضحى . ولما استيقظ وعرف ذلك طار عقلهُ واحتار في امرهِ وارتبك ارتباكًا عظيمًا فانهُ نظر من نافذة الغرفة فوجد جماعة من البوليس والضابطية قد وقفوا بباب اللوكندة وترجح عندهُ انهم يطالبونهُ الاَّ انهُ كان يطمن نفسهُ ويتفكر انهُ ربما كانوا ضيوفًا في تلك اللوكندة او ربما اتوا لغاية اخرى لانهم من اين عرفوا انهُ هناك . وبعد ان لبس ثيابهُ نظر ثانية ليعلم في اي جهة سار البوليس فوجد خمسة انفار واقفين في الباب وسمع ضجة داخل اللوكندة فتيقن انهم اتوا من اجلهِ فاستعد على الدفاع وان لا يسلم نفسهُ لهم الاَّ انهُ خاف من ذلك لما وجد كثرتهم . ثم خطر لهُ ان يدخل في مدخنة الغرفة ويختفي فيها الى ان يذهب البوليس ومن هناك يذهب الى حيث يشاء . وفي الحال اخذ دفتر اللوكندة وكتب عليهِ الى صاحبها ما معناهُ

اعلم ياسيدي اني اتيت محالك مستعجلاً ولذلك لم يكن معي بارة واحدة ادفعها لك مقابلة لما لك عليَّ من اجرة الغرفة هذه الليلة وعليهِ فقد سرت دون ان اراك خجلاً منك . وقد وضعت لك دبوسي الذهب رهنًا عندك فابقهِ لديك ريثما اعود فاستردهُ منك وادفع لك حقك

ثم وضع الدفتر والدبوس على المائدة وتسلق المدخنة وفي تلك الاثناء دخل البوليس الغرفة فلم يجدوهُ ووجدوا الدفتر والدبوس الاَّ ان البوليس لم يصدقوا انهُ هرب بل خطر في بالهم انهُ داخل الداخون ولذلك اتوا بقليل من القش اليابس ووضعوهُ في فم الداخون واشعلوهُ ليتحققوا عدم وجودهِ . فلما علم بنديتو خاف من الحريق فصعد الى اعلى الداخون وخرج منهُ الى داخون اخر افتكر ان يبقى فيهِ وبعدئذٍ ينزل منهُ فينجو . ولما دخل الداخون الثاني ودار فيهِ وسدلهِ زلقت رجلهُ فسقط الى الارض في غرفة نمرة ٣ فسمع عند سقوطهِ ... قويَّة ... الشاب واختهُ النازلان في

تلك الغرفة وصاحب البيت من خوفها . ولما راى بنديتو ذلك خاف من الفضيحة فصمم على قتلها واخماد صوتها . الا انهُ خاف ربما ادركهُ قبل تمكنهِ من الفرار جماعة البوليس ولذلك تقدم من البنت فعرفها وقال لها الست خادمة دنكلار . قالت بلى وانت الست دوفالكانتي اللص المحتال وسفاك الدماء فرمى بنفسهِ على قدميها وقال لها ارجوك كتم امري فان الحكومة تطلبني ومتى وقعت في يديها لا ريب تحكم باعدامي فاستري عليَّ الى نصف ساعة وبعد اسير الى حيث اتخلص من الموت . قالت الخادمة لا يمكنك ان تبقى هنا فاذا اردت السلامة فاصعد في الداخون وارجع من حيث اتيت . كل هذا والشاب الذي هو بنت دنكلار وقد تقدم انها لبست ملابس الرجال واقفة باهتة فهو متعجب من امرهِ خائف من انهُ يعرفها فيوقع بها او يوصل اليها الاذى لكنهُ عزم على الصعود من الداخون والرجوع الى السطح ليبما يخلو المكان من الطالبين الا انهُ قبل تمكنهِ من ذلك هجمت الانفار على الغرفة المذكورة ودخلوها عنوةً وقبضوا عليهِ وكتفوهُ لانهم سمعوا الصياح فاسرعوا الى هناك وقادوهُ الى السجن ثم ارسلوهُ الى باريس

واما زوجة دنكلار فانها عند ما شاهدت ما صار في بيتها وان صهرها قد هرب تكدرت غاية الكدر لانها كانت تحب دوفالكانتي وترضاهُ . وفي اليوم الثاني ذهبت الى بيت دو فيلفور تطلب اليهِ ان يرفق في حال دوفالكانتي وكان سبب هذا حبها لهُ على غير ارادتها لانهُ كان ابنها منهُ وهي لا تعلم ذلك بل كان يعطف اليهِ قلبها غصبًا عنها . ولما وصلت الى بيت دو فيلفور طرقت الباب فاعترضها الخادم فامرته ان يفتح الباب . فقال لا يمكني ذلك لان مولاي قد امرني ان لا افتح لاحد لانهُ في اضطراب لاسباب داخلية في عائلتهِ فالحت عليهِ ان يفتح الباب فلم يجبها . فقالت اذهب اذًا الى سيدك واخبرهُ ان زوجة دنكلار تطلب مواجهتك نحو خمس دقائق فسار اليهِ واخبرهُ فخرج من مخدعهِ وامرهُ ان ياذن لها بالدخول فدخلت فلاقاها واعتذر لها عما فعل الخادم معها . ثم انفرد بها وسالها عن سبب حضورها قالت اني اتيت مستجيرة بك من امر وقع في بيتي . قال اني اعلمهُ وهو لا يتعلق بكم . قالت انسم عليك بالحب القديم الذي بيننا ان تساعد صهري دوفالكانتي وتظهر براءتهُ واذا وقع في اليد تطلقهُ ليلهُ لانهُ يحب بنتي وانا احبهُ رغمًا عن ارادتي ولا اعلم السبب لذلك وانهُ اذا تبرأ يرجع الى شرفهِ ويتزوج بنتنا . قال ان ذلك لا يمكن لان المقتول يشير الى انهُ هو الذي قتلهُ وانهُ شريكهُ في اللصوصية وانهُ هرب من سجن طولون وكل ذلك يشير الى وجوب اعدامهِ . قالت اظن ان المطلوب غيرهُ وليس هو فان هذه الصفات ليست صفاتهُ . قال هو نفسهُ دون شك حيث تقرر لنا من الخورنيين وبني علمهُ وصفاتهُ من جهة الشبوبية وانهُ دعا نفسهُ دوفالكانتي ولاذ بالكونت دي مونتوكريستو زاعمًا انهُ امير واخذ منهُ قدارًا وافرًا من الدراهم وكما غش الكونت غشكم ايضًا حتى زوجتموهُ بنتكم . فقالت ان قلبي لا يطاوعني على تصديق هذا الخبر بل لا بد من وجود

اعداه له فعلوا معه ذلك فاكرر رجائي بغض النظر عنه ومساعدتي . قال لا يمكن ذلك ولا يسلم به النظام والشريعة ولا اقدر عليه فانه سيحاكم في المحكمة الكبرى . قالت ارجوك ان لا تريد تغضبنا فانت تقدر على كل شيء وامور كثيرة اعظم من هذه وقعت منك . قال لا سبيل الى ذلك فلا تكثري من الكلام وهذا آخر جوابي والسلام

فغضبت زوجة دنكلار من كلامه وقالت له كيف اذا قصدت ان تنقض الشرع والنظام لا تسال عن المحكمة ولا الحكام وكيف لما قتل في بيتك دومارند وروحته والخادم تغاضيت ولم تسال عن القاتل . قال حتى الساعة اجهله ولو عرفته لانتقمت منه ولا بد لي من ذلك وان كان من احب الناس اليَّ . قالت وهل الان لا تريد ان تخلص هذا الشاب اكراماً لخاطري . قال لم يعد في وسعي ذلك فاني بعثت بالتلغرافات الى كل قرية وبلد من فرنسا للقبض عليه ولا بد ان يكون وقع باليد ولهذا صار خلاصه من المستحيل . ولم ينته دوفيلفور من كلامه حتى دخل عليه خادم التلغراف وبيده نسخة تلغراف فدفعها اليه فقراها واذا بها انه قبض على دوفالكانتي وسيرسل مربوطاً . فاطلع زوجة دنكلار على الكتابة . فلما علمت ذلك نهضت غضبى وتهددت دوفيلفور بالانتقام وذهبت الى بيتها وهي لا تعرف اليمين من الشمال فلم يبال دوفيلفور بكلامها وتهديدها . ولما وصلت الى البيت دخلت مخدع بنتها فلم ترها فسالت عنها فلم يفدها احد فتكدر صفو كدرها وعلمت انها تركت البيت وبعدت عنه ولم تعلم انها سارت من نصف الليل وانها صارت على طريق البلجيك

الفصل العاشر

في موت فالنتين وما حصل لخطيبها مكسيمليان ومساعدة الكونت دي مونتوكريستو

سبقت الاشارة الى ما اصاب فالنتين بنت دوفيلفور من السم وان خطيبها مكسيمليان ذهب الى الكونت فوعده بانقاذها وتعهد له بان يزوجه بها . فلبس الكونت ملابس الخوري بوسيوني واقام في البيت الذي استاجره بجانب بيت دوفيلفور . وكانت فالنتين في حالة مخطرة وكان يشتد عليها المرض ولولا اهتمام الكونت بها لماتت حالاً وكانت في النهار تقاسي اوجاعاً والاماً وفي الليل ترى اشباحاً وخيالات مرعبة ولهذا وضع لها والدها احدى النساء تقيم عندها طالما كانت مستيقظة وعندما تنام تتركها لتاخذ الراحة . ففي ليلة من تلك الليالي بعد ان خرجت الامرأة من عندها استيقظت اثر حلم مرعب اذ لاح لها ان باب مكتبتها قد تحرك فظنت ان ذلك من قبيل التخيل التي كانت قد اعتادت عليه لا سيما في وقت وجود الحمى عليها . الا انها بعد ذلك نظرت باب المكتبة قد فتح ودخل منه شخص فارتعبت ولو لم يطرق ذهنها ان نظرها كاذب لصاحت من الخوف فكانت تتردد بين صدق هذا المرأى وكذبه ولما لم يعد يمكنها التكذيب ظنت انه خطيبها فاحدقت

يو فهال اليها حتى تاكدت انهُ ليس هو فصممت على ان تتناول قليلاً من الدواء علها تتمكن من النوم فلا ترى احدًا وطالما رمت يدها وقعت على جسم محسوس فلم يبقَ عندها شبهة في انهُ بشر فاخمدت نفسها وسكنت حركتها انما نظرها لا زال موجهًا اليهِ فوجدتهُ قد دنا من الكاس الذي فيها الدواء وكبهُ وصب فيها دواء اخر ثم بعد ذلك قال لها لما تاكد انها مستيقظة اشربي يا ابنتي فلا باس عليك من شيء فهمت ان تصرخ فاشار اليها ان لا تفعل فعرفتهُ اذ ذاك من صوتهِ وهيئتهِ وقالت لهُ الست انت الكونت دو ... نتوكريستو. قال نعم فلا تجزعي ولا ترتاعي فان لي اربع ليالٍ اصرف الليل بلا نوم لاجلك وحفظًا لنفسك من الموت وما ذلك الا ً لحظى بك مكسيمليان ابن صديقي موريل. فلما سمعت فالنتين ذكر خطيبها شعرت براحة غير اعتيادية في جسمها الا ان الخجل لم يخفَ فوق وجهها وقالت هل ان خطيبي وحبيبي مكسيمليان اخبرك بقصتي. قال نعم قد قصَّ عليَّ قصتهُ وقال لي انهُ ان اصابك امر يموت لا محالة فوعدتهُ بانقاذهِ من الهلاك. قالت كيف تقدر ان تنقذني وانت لست بطبيب. قال اني طبيب ماهر وما اعرفهُ من العلاجات والعقاقير لا يعرفهُ احذق اطباء هذه البلاد قالت كيف تقول ان لك اربع ليالٍ ساهر لاجلي ولم اركَ الا ً في هذه الليلة فقط. قال اني كل ليلة ادخل من هذا الباب لانهُ يودي الى بيت ملاصقًا لهذا البيت استاجرتهُ من نحو اربعة ايام. واني كنت اصرف الليل ساهرًا لاجل المحافظة عليك ولا نظر من سيدخل اليك حتى اني لم اتغافل عن كل ما يقدم اليك من العلاجات فان وجدتهُ سالمًا تركتهُ والا ً ارقتهُ ووضعت مكانهُ شرابًا نافعًا ودخولي دائمًا من هذه المكتبة كما دخلت الان ولولا اني ارقت السم مرارًا لكنت مندرجة في الاكفان من بداءة مرضك. قالت قد تجاوزت الحد يا حضرة الكونت فما هو السم ومن اين ياتي وليس عدوٌ في بيتنا يفعلهُ. قال سترين بعينيك وتعرفين صدقي فخذي الان هذا الدواء واشكري الله الذي سهل لي سبيل الوصول اليك لارفع عنك الاذى. ثم اخرج الكونت من جيبهِ زجاجة فيها شراب احمر صب منهُ مقدارًا فوق قليل من السكر ودفعهُ اليها فاخذتهُ ووضعت الكاس على فمها وقصدت ان تشرب منها لكنها ارجعتها وقد خافت من ان يكون فيهِ ما يوذيها فعرف الكونت منها ذلك فاخذ الكاس من يدها وشرب امامها فشربت الباقي وقالت مثل هذا كنت اشرب كل ليلة. قال هو بعينهِ فاني اضعهُ لاجل حفظ صحتك وكما اخبرتك اني ارى السم في الكاس فاصبهُ واضع من هذا الشراب فيها. قالت اني عند ما اشرب هذا الدواء اشعر براحة في كل جسمي. قال اني اعرف ذلك ولاجلهِ قد كابدت مشقات السهر واجهدت نفسي في التغلب على النعاس خوفًا من ان اغفل فتشربين السم. قالت قلت انك ترى في الكاس السم فهل رايت من يضعهُ. قال اني اعرفهُ ورايتهُ مرارًا بعيني. قالت لا ... ان احدًا يتجاسر على وضع السم في زجاجة الدواء وانا في بيت ابي وما كلامك هذا الا لغايات ... رجوك يا ايها الكونت ان تتركني وتذهب فاني كدت اصدق كلامك لولا تيقني

ان لا عدو في بيتنا . قال اني اتعجب كيف تنكرين قولي وقد شاهدت ما وقع بجدك دوماربن وزوجته والخادم وبجدك توارتيه الذي لم يوثر فيه السم لاعتياده عليه . قالت ان هذا مشتبه فيه فانه وان كان قد شاع هذا الخبر في بيتنا الا انه غير محقق فاذا شئت ان تقنعني فارني بعيني . قال الم تري في كل ليلة شخصاً يدخل عليك . قالت اني ارى تخيلات كثيرة في كل ليلة وذلك اوهام لا اصل لها . قال اذا كنت تجهلين من يطلب موتك فستريته قريباً . قالت من اين اراه . قال ها قد تنصف الليل وقرب ميعاد حضوره فلا تنامي واحدقي به فتعرفينه بشرط ان تتظاهري انك نائمة ولا تبدي حركة مطلقاً . فاخذت فالنتين يد الكونت وشكرته وقالت له ارجوك ان تختفي فاني اسمع صوت حركة مشي واظن الشخص المعهود قد اتى . فقال اني اذهب الان فاحرصي ان تنامي ثم خرج من المكتبة ووقف خلف الباب . وبقيت في فراشها وهي تضطرب خوفاً من ان يدركها ذلك العدو وربما اذا وجدها لم تمت بفعل السم اماتها بالسلاح وهذا الفكر قد اضعف عزائمها وزادها خوفاً ولولا تيقنها بان الكونت قريب منها وانه يسرع لاغاثتها لتيقنت موتها لا محالة ومع كل هذا كانت لا تعرف كيف ينتهي بها الامر ولم يمض الا دقائق قليلة حتى سمعت صوت الباب فتجلدت واخذت نفسها وجعلت ذاتها كانها نائمة وكانت الحمى قوية عليها فدق لها الكونت على المكتبة دقة خفيفة ليوقظها اذا كانت نائمة . وفي تلك الدقيقة دخلت خالتها وتقدمت رويداً رويداً حتى قربت منها ورفعت الغطاء عنها لترى اذا كانت نائمة ونادت بصوت واطئ فالنتين يا فالنتين فلم تجبها فتيقنت انها نائمة فاخذت اذ ذاك قدح الشراب وصبت فيه شراباً آخر كان معها وعادت . وحينئذٍ فهمت فالنتين عدوتها وتاكد لديها ان خالتها تريد ان تميتها كما اماتت غيرها وقبل ان خرجت من الباب نظرت اليها فالنتين فوجدت بيدها خنجراً فثبت عندها انها لو ظهر منها ادنى حركة لقتلتها كي لا تنفضح بعد ذلك لانها اذا راتها لا بد ان تخبر عنها . وبعد ان ذهبت زوجة دوفيلفور وقفلت الباب دخل الكونت وقال لفالنتين هل تاكدت ذاك الذي كنت اخبرك عنه فانه يدس لك السم وصارف جهده في هلاككِ . قالت عرفته يقيناً وتاكدته عياناً فماذا ينبغي ان افعل اهل يليق ان انتقل الى غير هذا المحل واتخلص من الموت واني لذلك معذورة . قال لا يمكن ذلك لان عدوك لا ينفك عن عناده ولا بد له من ايصال الاذى اليك ولو ذهبت الى غير بلد قالت لما تفعل هذه الفعال وتسعى في موتي وانا لم اغضبها قط ولا ازال اظهر لها حبي وطاعتي . قال لانك ذات ثروة وايرادك السنوي مائة الف فرنك . قالت ان هذا المال ليس هو منهم بل هو ميراث ابائي واجدادي . قال ولاجل ذلك تطلب هلاكك وبه يتحول المال الى ابنها الوحيد الذي ليس له الا ما يصيبه من ميراث ابيه القليل . قالت اهل ان والدي يعلم بهذه الفعال . قال كلا الا انه كان من الواجب ان يبحث عليه من حينما مات جدك وزوجته واو يبحث لعرف الحقيقة

ومحكمة لو فعل مثلك كما فعلت انا لنظر زوجته عيانًا وحيث ان الجميع اعداؤك فلا بد من انقاذك

قالت ها انا بين يديك وقد سلمت نفسي اليك وكل قصدي ان اعيش لاقوم بخدمة جدي نوارتيه وافي حق المحبة لحبيبي مكسيليان . قال ولاجلهما قصدت خلاصك لان الاول اخي بالعهد كونه بونابرتي الميل نظيري والاخر اعز الناس عندي لانه ابن صديقي موريل صاحب اليد البيضاء والجميل معي فلا تخافي ابدًا من احد ولو فقدت نفسك وسمعك وذوقك او انتبهت من النوم ووجدت نفسك في غير هذا المكان في المقبرة او في غيرها فضعي هذا الامر في راسك وحافظي على عقلك واكدي اني لك اب شفوق لا اضيع دقيقة يمكنك بها الوصول الى حبيبك وحبيبي . فبكت فالنتين من كلامه وقالت بالحقيقة لم ارَ بنتًا قليلة الحظ نظيري لاقت كل عذابات الدنيا واحتملت حتى الموت ومع ذلك لا تعرف اذا كانت تقدر ان تصل الى حبيبها ام لا . قال اذا شئت ان لا تعذبي فلا تنالي ما ترغبي الا تعلمي ان القلب الضعيف لا يحصل على الظريف فاذا كنت لا ترغبين في البعاد عن هذا البيت فانني عمل خاالتك . قالت لا ارغب ذلك ولو احتملت الموت فافعل ما تريد فاني اركن اليك اركان البنت العاقلة الى الاب الشفوق . قال قد ثبت لديّ الان انك قد خلصت من الموت ولم يبق الا انتشالك من هذا البيت الجهنمي . وفي الحال اخرج علبة من عبه وتناول حبة من معجون فيها وقال ابلعي هذه الحبة فانها الطريق لخلاصك فتناولتها منه وازدردتها وهي تثني على الكونت . وما استقرت في جوفها حتى غرقت بنوم ثقيل وتغير لونها واصفر وجهها وغارت عيناها وتقلصت شفتاها وخمدت انفاسها وصارت كانها مائتة من فعل السم . فلله در هذا الكونت من رجل قد جمع بين المعرفة والحكمة والغنى والشجاعة والمقدرة والكرم وما ذلك الا من عطايا الله سبحانه وتعالى الذي بعث له في السجن رجلاً عالمًا طبيبًا ماهرًا وهو الخوري فاريا فعلمه كل علومه وسهل له بعد خروجه من السجن اسباب الثروة حتى عدّ من مشاهير العالم . وبعد ان نظر الكونت ان الحبة فعلت بفالنتين ما فعلت اخذ الكاس وصب نصف الشراب الذي وضعته خالتها فيها في المدخنة كي لا يظن الا انها شربت من الكاس فماتت . ولما كان اخر الليل فتح الباب ودخلت خالتها لترى اذا كانت شربت من السم فوجدتها على تلك الحالة فتيقنت موتها فقربت من الكاس فرات فيها قليلاً من الشراب فصبته ونظفت الكاس ومسحتها بمنديل كي لا يرى الطبيب اثرًا السم فيعرف انها ماتت به كل هذا وهي ترجف وترتعد وقلبها يخفق لانها وان كانت قد فرحت بموتها الا انها كانت تعلم انها ارتكبت امرًا خطيرًا وما تعهده من حب زوجها لفالنتين جعلها تتيقن انها لا بد ان ينتقم لها منها فندمت على فعلها حيث لا ينفعها الندم وفيما هي على ذلك طفئ المصباح فزاد ارتباكها وخوفها وكادت تفقد عقلها لانها تيقنت ان شخصًا اطفاه ومن عظم ما حل بها خارت عزائمها ووقعت الى الارض ولم تعد تساعدها قوائمها على النهوض فزحفت على يديها ورجليها

الى ان ادركتها فراشها ولحقها من ذلك رجفان وبعده حمى شديدة

ولما انفتح الصباح اتت المرأة المعينة لخدمة فالنتين فظنتها نائمة فنامت بقربها ولم ترد ان تكلمها وفي نحو الساعة الثامنة استيقظت فوجدتها لا تزال على ما هي فتعجبت من طول نومها فدنت منها ورفعت الغطاء عن وجهها واذا بها مائتة فصاحت ولطمت على وجهها ونادت بموتها وفي تلك الدقيقة حضر الطبيب فسمع كلامها فتعجب وقال كيف ماتت فاني فارقتها وهي في راحة تامة وقد قاربت الشفاء وقبل ان يدنو منها حضر والدها وهو يصيح و ينادي بالثبور . ولما جسها الطبيب وتاكد موتها قال هذا من اعجب العجائب فالويل لهذه العائلة فانها لا تبالي بقصاص الحكومة ولا تراعي شروط الانسانية ولا تخاف خالق البرية . فصاح دوفيلفور الويل لي انا المتهامل فقد قادني عدم الاعتناء الى فقد اعز الناس عندي . ثم امر الخدم ان ياتوه بزوجته . فاتت متجاهلة ووقفت مستخبرة عن هذا الامر ولما اخبرت بموت فالنتين بكت وناحت . واما الطبيب فانه تقدم من كاس الشراب فوجد فيها بقية من الشراب الممزوج بالسم فاخذ قدرها وذاقها بلسانه ليعرف قوة فعله فتعجبت زوجة دوفيلفور من اين اتى الشراب الى الكاس مع انها صبت كل ما فيها ومسحتها بالمنديل ولم تعلم ان الكونت رماها بشراعها . واذ ذاك قال الطبيب قد فهمت الان تركيب هذا الدواء وقوته . ووقع الخوف في قلب الخدم فمنهم من هرب . ومنهم من اقام منتظرًا دفن المائتة وبعد يتصرف الى حاله . وبينما هم في ارتباك واذا بمكسيميليان قد دخل صائحًا نائحًا يلطم على وجهه و يصفق بيديه ويقول هل ماتت حبيبتي ذهب رجائي قطعت آمالي واحسرتاه عليك يا فالنتين خلفت لي الحزن وفي ظنك اني اعيش بعدك لا حملة فعن قريب اذهب اليك اصبري عليّ فقط لاخذ الثار من عدوك ثم رمى بنفسه عليها يقبلها خالعًا ثوب الخجل فانذهل الجميع من عمله لاسيما دوفيلفور فانه لم يعهد ان بين مكسيمليان وبنته روابط حب ومودة وقد اثر فيه كلامه وزاده حزنًا الا انه غضب من قوله آخذ الثار . فصاح عليه قائلاً لما ايها الجسور تدخل بيتي وتتعدى حقوق الاداب وتتكلم بكلام خارج عن الانسانية اذهب من بيتي فقد كفاني ما دهاني فلم ينتبه ابن موريل الى كلامه بل زاد في تعداده حتى ظن الطبيب والجميع انه مجنون لا محالة . ثم ذهب مكسيمليان الى نوارتيه جد فالنتين واعلمه بموت فالنتين ونهضه على كرسيه واتى به الى المخدع الذي فيه جسدها . فلما نظرها نوارتيه بكى ثم التفت الى ابنه مشيرًا ولسان حاله يقول له انظر الان ثمرة اهمالك الى اين اتت بك . واما ابن موريل فلم ينفك عن البكاء وهو يقول لنوارتيه انظر يا سيدي كيف صار بخطيبتي وما الذي غدرت بها ايدي اللئام اهلكوها ظلمًا وعدوانًا لا بد لي من اخذ ثارها ثم ان اسير اليها عاهدتها وعاهدتني على دوام الحب فها انا قائم بعهدي بعد قليل ساقيم بجانبها وكان ابن موريل يعدد هذا التعداد والحاضرون يبكون من كلامه وقد تاكدوا انه خطيب فالنتين فرثوا لحاله ولاسيما دوفيلفور

ثمت لديهِ انهُ يحب بنتهُ وان بنتهُ كانت تحبهُ وانهما تعاهدا على الزواج ولهذا سالهُ السياح وقال لهُ قد فهمت الان انك احق من الجميع بالحزن لانك خطيبها وانها ... لك فارجوك المعذرة عما سبق مني في حقك فاني كنت اجهل امرك ولا اعرف ما بينك و بين فالنتين وها الان قد ماتت وتركت لنا لوعة لا تنقضي بكرور السنين وقد ذهبت كل آمالك التي كنت ترجوها فاسأل الله ان يرحمها برحمتهِ واشفق على نفسك وكن صبورًا . فاجابهُ لا صبر لي بعدها فعما قريب نجتمع معًا ولكن حيث تاكد عندي انها ماتت مسمومة فلا بد لي من الانتقام من عدوها قبل الاجتماع واكد ان كلامك هذا وخداعك لا يلين غضبي ولا يشفي مرضي بل يزيدني نارًا على ناري ولو انها ماتت موتًا طبيعيًا لكانت تلك اعمال القضاء والقدر . فقال دوفيلفور دعني في مصيبتي فقد كفاني ثقل هذه المصيبة . فقال كيف ادعك وانت وكيل الملك الم يقمك محاميًا على حقوق الشعب لحفظ الراحة العامة وللبحث عن كل جانٍ ومرتكبٍ الم يكن من وظيفتك التفتيش على هذا القاتل وتسليمهِ الى ايدي الشرع والنظام . واما نوارتيه فكان ينظر الى ابنهِ وحركات عينيهِ تدل بانهُ كان يقول لولدهِ لقد اصاب مكسيمليان في قولهِ . فقال دوفيلفور وهو في حالة ذل يشير الى مكسيمليان والطبيب بالرحمة اني لا ارى ياقوم عدوًا في بيتي انما الموت الذي وقع فيهِ هو فعل الاقدار . فاعترضهُ مكسيمليان وقال لهُ اني مستعد لان اثبت ان كل من مات في بيتك مات مسمومًا ويشهد بصدق قولي هذا الطبيب الذي وقف على تركيب السم مرارًا و يعرف من مات منهُ وان انكر فاني اذكرهُ واذكرك باليوم الذي كنتما فيهِ على انفراد تحت الظلام اي في الليلة التي ماتت فيها جدة فالنتين وكنتما تظنان ان لا احد يسمعكما مع اني كنت بجانبكما وقد سمعت كل ما تكلمتماهُ . ولا بد من ان اعرض للحكومة وابين لها افعال وكيل ملكها لانهُ لو لم يكن لك في هذا الموت مآرب ومقاصد لما كنت تسكت عنهُ وقد تكرر مرارًا . فلحق دوفيلفور من كلامهِ خوف عظيم وحسب لذلك الف حساب . واما مكسيمليان فانهُ وجه كلامهُ الى جسم فالنتين فقال وآسفاه يا فالنتين اتذهبين لا وداع ولا سلام لكن قسمًا بجبك اني ساتبعك انما بعد اخذ ثارك واهلاك عدوك . ثم رمى بجسمهِ عليها يقبلها وقد بلَّ دمعهُ مرتبتها فرثى لهُ الطبيب وقال لدي فيلفور اعذرني ياسيدي اذا قلت لك اني مجبور ان انقاد الى تنفيذ ارادة هذا الشاب ولا يمكني الانكار ولئن كنت لي من اعظم الاحباب ولا بد ان الحكومة تعاقبني حيث تهاونت ولم اطلعها على القضية من حين المبتدا . فرفع دوفيلفور عينيهِ الى السماء وطلب مساعدة الله كونهُ مرتبك من تلك الاسباب التي اخذت قسمًا من عقلهِ وصيرتهُ اشبه بالمجانين لا يعرف كيف يتصرف ليتخلص من اللوم والتنديد . واما مكسيمليان فانهُ قال الى نوارتيه اتقدر ان تعرف ياسيدي من هو صاحب ذاك الفعل . اشار بعينيهِ نعم ثم اشار الى ولدهِ يقرب منهُ وان لا يبقى احد من الحاضرين ولما خلا المكان اعلمهُ بصاحبة هذا الفعل الذميم . وبعد ذلك قال دوفيلفور ارجوك

ايها الطبيب وانت يامكسيمليان ان تكتما امري لان قد عرفت يقينًا من امات بنتي وقد وطدت نفسي على هلاكه وان كان من الاعزاء فقال دوفيلفور ان كل هذا لا يعنيني وجل غايتي ان انتقم من قاتلها بنفسي وقد اقسمت على ذالك . ثم خرج وهو في حالة يأْس وكدر وهام لا يعرف طريقه. واما الطبيب فانه غاب واحضر طبيب الحكومة الرسمي فنظر فالنتين المائتة واعطى تقريرًا بثبوت موتها ثم سأل دوفيلفور طبيبه ان يدعو جارهُ الخوري بوسيوني ليحضر دفن المائتة فسار اليهِ الطبيب وطلب اليهِ ان ياتي بيت دوفيلفور. فقال لهُ اني عزمت على المسير قبل ان تاتي لتدعوني حيث بلغني موت فالنتين فان الجار ملزوم بالقيام بكل ما تدعوهُ اليهِ واجبات الجوار ثم دخلا معًا وبعد ان قدم الخوري فروض التعزية لدو فيلفور دخل الغرفة الموضوعة فيها فالنتين فصلى عليها ثم قفل الابواب وسار من داخل الغرفة الى غرفة نوارتيه فاجتمع بهِ وتكلما سرًّا كلامًا طويلاً يتعلق بزوجة ابنهِ وحفيدتهِ ثم ذهب الى محلهِ وفي الساعة الحادية عشر من اليوم الثاني اتى الطبيب والاقارب والاصحاب لينقلوا جسم المائتة الى القبر . وكان البعض ينتظرون ان يروا الكونت في ذلك المأْتم ولم يعلموا ان الكونت قبل ذاك الوقت بقليل ذهب الى محل البارون دنكلار فوجدهُ في هموم واكدار فبعد التحية والسلام قال لهُ دنكلار لما ياسيدي الكونت من حين اصابتنا تلك المصيبة لم تات بيتنا على انك من اعز الاصدقاء والمحبين ومن بعد ذهابك في نفس الليلة سافرت بنتي الوحيدة. فاجابهُ الكونت ان من كان مثلك شهير الاسم بين الخاص والعام لا تؤثر فيهِ مثل هذه الحوادث فكم من الامور الصعبة قد مرت عليك وانقضت وكيف تشغل نفسك بمثل هذه الاحوال ومحلك التجاري والمالي يحتاج الى ادارة واسعة وتدبير حسن . الا تعلم يا ايها البارون دنكلار ان عموم اهل باريس تعتقد فيك الغنى المفرط والصدق والامانة واكبر بنكات هذه البلاد يرغب ان يكون لهُ علاقة بمحلك الشهير. فزاد هذا الكلام كبرياء دنكلار وتوهم في نفسهِ فوق ما يظن . فقال صدقت ياسيدي الكونت فاني مشغل بامور كثيرة لا سيما واني قد امضيت الان اربعة تحاويل على بنكات متفرقة كل منها بمليون فرنك . فقال الكونت ان هذا من العجب كيف يكون كل هذا في يوم واحد فارني هذه التحاويل على من فدفعها الى الكونت واذا قد كتب بها هكذا «تحويل على بنك فرنسا» المرجو من جناب مدير البنك ان يدفع المبلغ المرقوم اعلاهُ وقدرهُ مليون فرنك الى ناقل هذا التحويل وقيدوهُ بحسابنا (الامضاء) دنكلار» فقال الكونت حيث حررت هذه التحاويل فارجو ان تسمح لي في قبضها من اصل المبلغ المحول عليك بهِ من محل الخواجات تومسون واعطيك بهِ وصلاً في بستة ملايين فرنك ويكون الباقي لي نحو مائة الف فرنك . فلما سمع دنكلار هذا الكلام وقع في حيرة وجعل يزدرد في ريقهِ ثم قال للكونت ان هذا لا يمكني الان لاني محول بهذا المبلغ الى الفقراء كونهُ امانة عندي لجمعية الاحسان وعلى ما اظن ان ميسيو دو بوفيل وكيل الجمعية يحضر

قريبًا يقبض هذا المبلغ . قال اذا كان لا يمكنك ذلك لا باس انما ما اعهد وما يعهد محل تومسون ان محلك لا يعسر عن دفع ملايين من الليرات في يوم واحد لا سيما وانا مزمع ان اعطيك وصلاً على المحل المذكور لتقبض المبلغ منه اي وقت شئت . فخجل دنكلار من كلامه ووسوس له شيطان الطمع ان يضيع هذا المال على الفقراء ويهرب من باريس . ولذلك قال للكونت اني اقبل بان اعطيك التحاويل شرط ان تعطيني وصلاً لا قبضه من محل الخواجات تومسون الشهير انما يبقى لك عليّ غير هذه التحاويل مائة الف فرنك . قال اني اعطيك وصلاً بستة ملايين فرنك والذي يبقى وهو مائة الف فرنك اهبك اياها مقابلة لفائض المال . فلم يصدق دنكلار كلامه بل قال له أصحيحًا ما تقول . قال اني لا اقصد المزح ولا سيما في امور جدية نظير هذه . وفي الحال وضع الكونت التحاويل في جيبه واعطاه وصلاً بكامل المبلغ بحوالة به على محل تومسون فما صدق ان اخذ الوصل في يده حتى كاد يطير من الفرح وقد تيقن انه ربح مائة الف فرنك عدا عن المال الموضوع امانة لجمعية الاحسان . واما الكونت فانه ودع دنكلار وذهب وما بعد الا القليل عن بيت دنكلار حتى صادف موسيو دو بوفيل آتٍ الى هناك بطلب التحاويل فحياه وسار واما دو بوفيل فانه دخل على دنكلار وطلب اليه ان يسلمه الدراهم . فقال له هي الان في البنك ولا يمكني ان احول عليه الان فارجوك ان تمهلني . قال لما هذه المحاولة فان الجمعية في احتياج الى التوزيع فارجوك الدفع حالا فاني لا اريد ان اصبر . قال ارجوك يا ايها الموسيو الا اني فاني في هذه الساعة حولت على البنك بمبلغ يفوق المبلغ الذي لكم في محلي وذلك الى الكونت دي مونتوكريستو وان كنت لا تصدق فهاك الوصل الماخوذ منه . فاخذ بوفيل الوصل ولما قرأه تاكد صدقه . فقال له دنكلار واذا كنت لا تريد ان تمهلني فخذ هذا الوصل نهريز يد عن مال الفقراء وما ذلك الا لحفظ شرف محلي بين اصحاب البنكات لاني لو حولت بيوم واحد عشرة ملايين فرنك لارتباك الجميع من محلي وظنوا بي السوء . فقنع دو بوفيل من كلامه وقال له اذًا ساعود اليك بعد مدة فارجو ان تكون مستعدًا للدفع اذ لا يمكن المماطلة اكثر من ذلك وربما تكلمت بنا اصحاب الاحسان فوعده بذلك . ثم قال دو بوفيل اني اسأ لك عن هذا الكونت هل هو غني بهذا المقدار حتى يحول عليك بملايين من الفرنكات . قال اني لا اعرف مقدار غناه وخلاصة ما اعرفه عنه انه محوّل عليّ من محل الخواجات تومسون تحويلاً غير محدود ومثله على محل لافيت وعلى بنك روتشيل . قال اذا كان غنيًا بهذا المقدار فلا يدهمت الذهاب اليه علّه يهب للفقراء شيئًا . ثم ودعه وخرج ودنكلار يقول له مسكين يا بوفيل اتظن اني مجنون حتى ادفع لك هكذا مبلغ واذا دفعته فماذا يبقى عندي . واخيرًا وطد نفسه على السفر الى رومية لقبض تحويل الكونت وفي فكره ان لا يعود فيما بعد الى فرنسا . واخذ من ذلك الحين يهيئ ما يلزم السفر ويبيع امواله ويخفي اشغاله

ولنرجع في الحديث الى بيت دوفيلفور فانهُ بعد ان اكتمل الجمع رُفع . . المائتة على مركبة مخصصة للاموات وسارت من خلفها جماهير من الناس في مركباتهم وعددها اكثر من خمسمائة مركبة والناس سائرون ادركهم الكونت دومونتوكريستو وسار معهم حتى انتهوا الى القبرة فنزل الجميع لدفن الجسم في التراب فهناك اخذ الكونت يفحص عن صديقهِ مكسيمليان فلم يرَ لهُ في البداءة اثرًا الاَّ انهُ اخيرًا وجدهُ وهو مبتعد عن الناس مستتر بقبر عالٍ فجعل يراقبهُ الى ان دفنت المائتة وذهب الجمهور ولم يبقَ احد واذ ذاك نهض ابن موريل واتى جهة مدفن فالنتين وجعل يبكي وينتحب ويصيح من فوادٍ كواهُ الهوى وعذبهُ الفراق . فدنا منهُ الكونت ووضع يدهُ على عاتقهِ فالتفت اليهِ فعرفهُ فقال لهُ دعني ياسيدي الكونت فانك تاملت في مساعدتي فلم يجبهُ الكونت بل مسك بيديهِ وقد خاف ان يقتل نفسهُ ويتبع عروسهُ . فاعاد عليهِ وقال لهُ ارجوك ترية المائتك ان تبعد عني وندعني ابكي هذه الدرة اليتيمة التي فقدتها علي ابرِّد بالبكاء هيجان قلبي . حينئذٍ تركهُ الكونت و بعد عنهُ وعيناهُ لا تزالان ترقباهُ و بعد برهة قام مكسيمليان من مكانهِ ومشى في الطريق هائمًا ولهًا حزينًا كئيبًا فتبعهُ الكونت وهو يتاسف على حالتهِ حتى انتهى الى البيت ودخلهُ فدخل وراءهُ فصادف جولينا شقيقتهُ فقال لها اهذا اخوكِ قالت نعم وعلى ما اظن انهُ متكدر ودخل الغرفة لينام فتركها الكونت وقرب من باب الغرفة التي فيها مكسيمليان فلم يسمع لهُ صوتًا ولذلك لم يقدر على الاصطبار وخاف من انهُ يهلك نفسهُ فدق الجرس فلم يجبهُ احد فعمد الى النافذة وضرب الزجاج فكسرهُ ودخل عنوةً فقام مكسيمليان غضبانًا ولما راى انهُ الكونت تعجب من عملهِ ولم يقدر ان يبدي كلمة الاَّ انهُ تكدر من دخولهِ عليهِ فسالهُ الكونت ماذا كنت تعمل وحدك . اجاب لا شيء . قال ما هذا القلم في يدك وهذه الطبخة على المائدة . قال اني قصدت السفر ولذلك عزمت ان احرر لاصحابي واهلي بمكان سفري كي يعرف الجميع منتهى مسيري . فاخذ الكونت الورقة التي كان يحرر فيها رغمًا عن ارادة مكسيمليان فاذا هو مكتوب فيها

«اني انا المحرر اسمي ادناه قد قتلت نفسي بيدي لاسباب تتعلق بي وحدي لا يمكنني شرحها ولا اريد ان يطلع عليها احد ولذلك لا يطالب احد بدمي»

فصاح بهِ الكونت صياح الزاجر . اهل اصبت بالجنون فدع عنك اوهامك الباطلة وعش بالهناء معي واترك الامور لتدبير العناية فاني لم اسعَ فيما انا ساعٍ بهِ الاَّ لاجلك ولا اتيت مهتمًا لك الاَّ وحفظ حياتك يهمني ولي حق التسلط عليك . فاجابهُ بحنق دع عنك المحال ياهذا الكونت فلا يهم امري احدًا ولا احد يقدر ان يتسلط عليَّ لا سيما وقد خنت قولك واخلفت وعدك الم تقل لي حينما استشرتك بما اصاب فالنتين انك تساعدني وانك لا تدعها تموت فها انذا قد كذبت في كلامك وغششتني وما ذلك الا لكون عائلتها من اعدائك والبرهان انك قلت لي انك لا تريد ان اتدنس

بالقرب من تلك العائلة فدعني واذهب عني وماذا يعنيك مني . ثم مال مكسيمليان الى الطبنجة ليأخذها فهجم عليهِ الكونت وقبض على يديهِ حتى لم يعد يقدر ان يحركهما . وقال لهُ بحنق اثبت ايها المجنون فانهُ لا يهون عليّ ان ارى ابن موريل قتيلاً وهو صديقي . قال مالك ووالدي ومن ابن تعرفهُ ذاك قد قضى سعيداً وتركني اتعذب بعدهُ . قال لا يمكن ان تتعذب وانا حيٌّ فاني ابوك واشفق من ابيك . لا تعلم انهُ صديقي فانا الذي خلصتهُ من الموت ومن كسر الاسم وانتشلتهُ من الخراب انا الذي اعطيت اباك الكيس الحرير الاحمر مملوءًا من الذهب وبهِ الحجر الكريم والتحاويل بواسطة شقيقتك جوليا وقد ارسلت اليها الكتاب بامضاء السندباد البحري وانا الذي عوضت على والدك مركبة فرعون بعد الغرق وقد بعثت رجلاً من قبلي مع ملاحيهِ الى الهند فاتوا بمركب نظير الاولى مشحونة بالدودة الثمينة وانا ايضاً ذاك الرجل الانكليزي الذي ادعيت اني مرسل من قبل الخواجات تومسون واشتريت كل التحاويل والكامبيالات التي كانت على ابيك فارجعتها لهُ معلنة بالقبض منهُ فيحق كل هذا المعروف ان ترجع الى نفسك وتترك لي تدبير امرك وطالما اشغلت نفسي بك وقد حملتك الوف مرات على يدي وانت صغير وان كنت تشتبه في ذلك فانا هو ادمون دانتاس احد خدمكم القديم قد اوصلتني ايدي الزمان الى ان اكافئكم على معروفكم . فكان الكونت يتكلم ومكسيمليان محدق بهِ ومتعجب منهُ . ولما انتهى صاح بصوت عال جداً هيا يا جوليا يا شقيقتي يا صهري عمانوئيل يا بنلوب هلمّ فانظروا ذاك الذي مات ابي متحسراً على نظرهِ منهُ . ثم ركض الى الباب فوجد الجميع قد اسرعوا متحيرين لا يعرفون سبباً لهذا الصياح . فلما اقربوا منهُ قال هيا اسجدوا لهذا الرجل الكريم هذا الذي صرفنا العمر في التفتيش عليهِ وهو صاحب الجميل والمعروف الذي منع عائلتنا من الخراب وابعد عن ابي الموت وحفظ لنا اسماً عظيماً ممدوحاً بين الاقران فهو الانكليزي وكيل محل الخواجات تومسون وهو السندباد البحري وهو باعث الكيس الاحمر والجوهرة النفيسة واذا شئتم ان تعرفوهُ بالتمام فهو . . . . فقاطعهُ الكونت واشار اليهِ ان لا يذكر اسمهُ الاصلي . فقالت جوليا نعم هو هو نفسهُ وقد اخبرتك يا مكسيمليان من اول مرة رايتهُ اني اتذكر انهُ معروف عندنا قبل ذلك واني سمعت كلامهُ قبل تلك المرة فاشكر الله على انعامهِ حيث اوصلنا اليهِ وعرفناهُ ولا ريب ان قلبي الذي كان يميل اليهِ دائماً كان ينبهني انهُ يجب علينا حبهُ وخدمتهُ . ثم تقدمت وقبلت يداهُ ومثلها فعل عمانوئيل والجميع وهم يصفقون من الفرح . ثم اتت جوليا بالكيس وقالت هذا يا سيدي التذكار الجميل . قال نعم ان هذا الكيس كان لا يثمن قبل ان ارجع اليكم فكم بالحري بعد ذلك فهو دون شك وسيلة كبرى للخير وهو افضل من كثير من الناس الذين اعتادوا فعل الشر والفساد ثم طلب الكونت ان يخلو بمكسيمليان فلما انفردا قال لهُ اريد منك يا صديقي وابن صديقي ان تعاهدني ان لا تصر بنفسك بل تصبر الى حين المنتهى وعليّ ان اجمعك بمحبوبتك التي تظن انها

ماتت . فقال ما هذا ياسيدي اهلــ نقدر نحيي العظام فغالنتين ماتت وبعيني شاهدت جسدها منفصلاً عن الروح واما هي دفنت ووضع فوقها التراب . قال اقسم لك يامكسيمليان بمحبة ابيك وما لتعطي من الايادي الجميلة اني اعدك ان بعد ثلاثين يوماً تجتمع بفالنتين وتنال منها ما انت طالبة . قال اني اكاد لا اصدق ياسيدي الكونت واذا علقت آمالي بالمحال اخاف من ان تهلكني الوساوس واتعذب من نفسي بنفسي . قال اني اكرر عليك ذلك واعدك وعداً صادقاً انك بعد ثلاثين يوماً تجتمع بفالنتين ويصفو لك الزمان ولا تتجب من هذا الامر فسوف تعلمهُ ولولا ثقتي بحياتها لما وعدتك هذا الوعد وانت تعلم اني لا صديق لي بين كل هولاء الجماعة المنافقين الا ّك فيجب ان تصبر ثلاثين يوماً فاذا لم افِ لك بقولي فافعل ما شئت بنفسك . وعند ذلك اقسم مكسيمليان انهُ يستكن ثلاثين يوماً فاذا لم تحضر فالنتين فحينئذٍ يقتل نفسهُ . فضمهُ الكونت الى صدره وقال لهُ لا بد من اطفاء نارك فاذهب معي الان الى البيت فان عائلة اليونانية مزمعة على السفر فاحب ان تقيم عندي في مخدعها وان لا تبعد عني ولا دقيقة حتى يمضي هذا الاسبوع وبعد ذلك نسافر في اثر عائلة لنصرف هذه المدة ثم ذهبا الى القصر واقاما معاً

الفصل الحادي عشر

في سفر دنكلار وما كان من امر مرسيداس وولدها البير ومحاكمة بندبتو

ونهاية اخذ الثار من دوفيلفور

تقدم الكلام عما وقع في دنكلار من التاخير وانهُ قريب من الافلاس ولم يبقَ عندهُ الا دراهم قليلة لنفسهِ والمبلغ الموضوع امانة للفقراء الذي اخذهُ منهُ الكونت ولما راى انهُ قريب على الافلاس عزم على الفرار الى رومية وانهُ ياخذ التحاويل بامضاء الكونت على محل الخواجات تومسون ولم يعلم ان الكونت صارف الجهد في ارجاعهِ الى الفقر والفاقة وكل ما لحق بهِ من الاضرار ناتج عن تدبيراته ولما وطد نفسهُ على السفر وانتهى من كامل ما يلزمهُ كتب كتاباً الى زوجته وهو

الى قرينتي المحترمة

انهُ لا يخفاك ما لحق بي من الخسائر في هذه السنة حتى لم يعد يمكني ان ادفع ما هو مستحق علي من الديون درهم واحد وقد استحق الان مقدار خمسة ملايين فرنك وهي المطلوبة مني الى موسيو بوفيل وكيل الفقراء وقد دفعت هذا المبلغ الى الكونت دي مونتوكريستو وبات دو بوفيل ينتظر قبضهُ وحيث لم يكن في وسعي دفعهُ عزمت على السفر اذ لم يعد لي مقام في هذه البلاد لاسيما بعد ذهاب بنتي التي ربما لا اعود اراها فيما بعد فيها اني اطلقت لك الحرية التامة التي دون شك توافق غاياتك وقد كفى ما كان من تكدير العيش بيننا في كل ايامنا الماضية واني وان كنت قد تزوجت بك وانت لست بهذا المقدار غنية انما ما سلبتيهِ مني بالاحتيال يكفيك لان تعيشي بهِ سعيدة فاما ان

تبعي بنتك وإما ان تهوي اهواء نفسك والسلام

(الامضا) زوجتك فنكلار

ثم بعد ان امضى التحرير وضعهُ على المائدة في مخدعهِ وركب المركبة وسافر تحت الظلام . وفي الصباح نهضت زوجته فاخذت الكتاب وقرأت ما فيهِ فلم يؤثر فيها بعد زوجها كما انها لم يؤثر فيها فراق بنتها وكان جل اهتمامها موجه الى ان تعرف ما سيصير ببنديتو وكانت واضعة دراهم في احدى المحلات فاخذتها وابقتها عندها وصبرت لتحضر محاكمة بنديتو صهرها الجديد وكان كل قلبها وفكرها عنهُ وهي غير عالمة انهُ ولدها بالزنا

قلنا ان مرسيداس سافرت مع ولدها البير لتبعد عن زوجها ايضاً ولما نزلت الى مرسيليا اقامت اياماً حتى فرغ منها المال فدعت ولدها اليها وقالت لهُ ان المال معنا قليل فقال لها انسيت المائة وخمسين ليرة التي سمح لك الكونت بها . قالت الان اذهب الى الجنينة فاذا وجدتها احضرها قال وانا ايضاً يمكني ان اعطيك الفي فرنك . قالت من اين اتاك هذا القدر . قال اني ذهبت الى دار الحكومة فوجدت رجلاً يطلب ان يقدم عنهُ بدلاً للعسكرية فاعرضت عليهِ نفسي فوافقت المراد فاتفقت معهُ على الفي فرنك قبضت منها الفاً معجلاً والالف الباقي موجلاً . فتكدرت والدتهُ وقالت لهُ كيف ياولدي تتركني وحدي تعيسة منكودة الحظ ليس من يسليني . قال هكذا حكمت يد العناية الالهية . ثم اقامت في مرسيليا في بعض الاديرة ودخل ولدها في السلك العسكري وسافر من هناك الى الجزائر . وكان الكونت متحسراً على ما اصابهما لانهُ كان يقول في نفسهِ ما ذنب هذين الشخصين فلنهما تعذبا بجريرة ذلك الشقي فرنان الذي اماتتهُ شقاوتهُ وبقي الكونت لا يغفل عن السوال عنهما والوقوف على اخبارهما ولم يتهامل ايضاً عن ايصال مساعداتهِ اليهما

ولا يغفل القاري ان بنديتو الذي يدعى دوقالكانتي قد قبض وأُرسل الى سجن باريس ليحاكم هناك على قتلهِ كادروس . فكان في بداءة دخولهِ في السجن يتظاهر بانهُ من الامراء الايطاليين وكان يتوهم انهُ لا بد من ان ياتي رجل شهير يخلصهُ من سجنهِ ولذلك كان غير متكدر من سجنهِ ولا خائف انما لم يكن في جيبهِ دراهم نفي ذات يوم اتى مامور السجن وسالهُ ان يسلفهُ عشرين فرنكاً فابى واعرض عنهُ فالتفت الى المسجونين وقال لهم ان هذا الرجل يجهل قدري ولم يعرف اني الامير دا كانتي فضحكوا عليهِ وقال لهُ احدهم يجب ان تنفق علينا ايها الامير لاننا كلنا هنا عائلة واحدة وقال لهُ اخر ان لم تهبنا شيئاً من مالك والاّ اشبعناك ضرباً واجبرناك الى ذلك . فلما راى منهم ذلك عرف انهُ لا يقدر ان يقيم بينهم بهذا الاسم ولذلك قال لهم بالحقيقة انكم مجانين نظير السجان الا تعلمون اني انا بنديتو مجهول الام والاب وقد سجنت مراراً وتخلصت وما تظاهرت بهذا الاسم الاّ لاخفي نفسي كي لا تعرفني الحكومة وكي تتسهل لي اسباب النصب على ان لا بارة معي الم تروا اني

طلبت عشيرين فرنكًا من السجان وما قصدي الا لانصب عليه فعرف الجميع انهٔ اشرهم فسكتوا عنهٔ وصار بينهم كواحد منهم . وبينما كان ذات يوم جالسًا اتاهٔ خادم السجن وقال لهٔ ان رجلاً يطلبك فتحقق حينئذٍ ما كان يؤملهٔ من خلاصهِ على يد رجل شريف وهو الكونت صامتًا . فنهض مع السجان واتى المحل المعد للمقابلة وهناك وجد ارتيشتو . فقال لهٔ كيف صحتك يا بنديتو فحنق قلب بنديتو وظن انهٔ اتى لينتقم منهٔ ويقيم دعواهٔ عليهِ فقال لهٔ من اتى بك هنا يا ارتيشتو . فقال لهٔ لا تخف فاني اتيت لخلاصك من هذا السجن فتهلل وجه بنديتو بالفرح وسكن روعهٔ وقال لهٔ هل عرفت والدي الحقيقي وهل تقدر ان تطلعني ابن من انا . قال سوف اخبرك بكل شيء انما الان قد احضرت امرًا الى مامور السجن لينقلك من سجن المجرمين الى مكان اخر تحصل منهٔ على الراحة ويمكن جميع اصحابك ان يزوروك ويقيموا عندك لبينما تجرى المحاكمة وتتسهل لك طرق الخلاص ففرح بنديتو بهذه البشارة وتيقن الخلاص واذ ذاك شرح لهٔ ما فعل معهٔ الكونت دومونتوكريستو وكيف دعاه بالامير دوفالكانتي ووهبهٔ اموالاً عديدة حتى انهٔ عزم على الزواج باعظم اغنياء فرنسا وذلك بتعريف الخوري بوسيوني وقال لهٔ في اخر الكلام اني اتعجب كيف ان الكونت بعد هذه المعاملة الحسنة يتغافل عني عند الضيقة ولم يساعدني . قال ان الكونت لا يتغافل عنك لولم تعاملهٔ بالخيانة وتنكر جميلهٔ قال وبما عاملتهٔ . فقال قد حركت بعض اللصوص على سرقة بيتهِ ولم يكفك ذلك حتى قتلت اللص داخل بيتهِ لتوهم الحكومة انهٔ هو القاتل وقد جحدت جميلهٔ كما جحدت جميلي ومالي عليك من حقوق المتربية ومع كل ذلك فانهٔ يوجد من يهتم بامرك ويسأل عنك غير الكونت . وفي تلك الساعة حضر خادم السجن واعلن بفراغ الوقت المسموح فيهِ مقابلة المسجونين فالتزم ارتيشتو ان يبعد عن بنديتو ووعدهٔ انهٔ يعود اليهِ في اليوم التالي . ولما كان اليوم التالي في الوقت نفسهِ حضر ارتيشتو فاجتمع ببنديتو على انفراد واطلعهُ على بواطن القضية وظواهرها مما سياتي في محلهِ . ثم ودعهُ وذهب وكان اليوم التالي هو اليوم المعين لمحاكمة بنديتو العلنية اذ تجتمع القضاة والشهود وكثير من المتفرجين وكتبة الجرائد وتمام الدعوى من وكيل الملك موسيو دوفيلفور الذي كان قد صمم من كل نيتهِ على انهٔ يحمل المحكمة على الحكم باعدامهِ لانهٔ حكم عليهِ قبلاً بالسجن المؤبد ففرّ . الا انهٔ قبل ان يذهب دوفيلفور الى مجلس المحاكمة دخل على ابيهِ فوجدهٔ مقطبًا غضوبًا فقال لهٔ اني اعلم يا ابي ان غضبك هذا لعدم قيامي بالاقتصاص من ذاك المذنب فرف لهٔ بعينيهِ . قال لهٔ لا بد لي من القيام بهِ الان لاني اخاف ان تهاملت نوقع في مصيبة اكبر . ثم ترك والدهُ وذهب الى مخدعهِ وما استقر حتى اتاهُ الخادم بالاكل فقال لهُ من بعثك بهِ الان . قال ان سيدتي امرتني ان اتيك بالاكل لعلمها انك ستذهب الى المحكمة قبل وقت الغداء وامرتني ايضًا ان استأذن منك ان تسمح لها ان تذهب الى المحكمة وتحضر محاكمة دوفالكانتي . قال لا بد لي قبل ذهابي من مواجهتها . وبعد ان فرغ من الاكل نهض الى غرفتها

فوجد انها عندها قاموسٌ ان يخرج ماني فاخرجه رغمًا وقفل الباب عليه وطلبها وارتابت من ذلك وكاد يغشى عليها وحسبت لذلك الف حساب . ولما وقف تجاهها قال لها ابن السم . قالت واي سم هنا ومالك اتكلم كلام من اضاعوا عقولهم . قال انظنين اني اجهل فعلك وقد قتلت دومارند وزوجته والخادم ولم يكفك ذلك حتى قتلت ايضًا ابنتي فالتين وهي في شرخ الصبا وحيث تأكد عندي ان موتها كان بتدبيرك فلا بد من ان الحقك بها وهذا من العدل فان القاتل يقتل . قالت ان كنت انت تعلم تنسب اليَّ هذا الفعل وتتهمني بما لا يمكنني فعله فلمن اشكي امري . قال لست الآن بعلك بل أكلمك بطاير وكيل الملك المسئول بالدعاوى العمومية فلا بد ان انفذ حكم الشريعة فيك . قالت ارجوك ان ترفق بي وترحمني ولا تظلمني لان لا علم لي بكل ما تقوله . قال وهل ما برحت مصرة على الانكار فلا بد لي من موتك لانك كالمجرمين لانك زوجتي . قالت بحق المحبة التي بيننا ان تترك عنك هذه الاوهام ولا تحرمني من القيام بتربية ابني الوحيد . قال لا بد من الموت على اي حالة كانت واني اخاف ان تمتي ولدك كما امتِ غيره وجل تصدي اعدامك سرًّا كي لا يقول احدٌ ان زوجة وكيل الملك قد ارتكبت جرمًا خطيرًا ولا يعلم بموتك احد . فرمت بنفسها على رجليه وهي ترجوه السماح فرفسها وقال اني ذاهب الآن الى المحكمة فان عدت ووجدتك فلا بد من تسليمك الى ايدي الحكومة ثم خرج غير ملتفت الى بكائها ونواحها . ولما قرب من المحكمة وجدها غاصة بالجماهير المختلفة ومن كثرة الازدحام ضاق المقام حتى وقف كثير من القوم خارج ابواب المحكمة والجميع يتحدثون بامر دوفالكانتي وقبح اعماله . ولما دخل دوفيلمور قام له الجميع وقوفًا ثم جلس على كرسيه المخصصة وفي الحال قرع الجرس فسكنت الغوغاء فامر الرئيس ان يؤتى ببنديتو ليحضر مع الافوكاتو الذي تعين للمحاماة عنه ولما دخل المحكمة نظر الى تلك الجماهير يمينًا وشمالاً وهو يتبسم ويضحك غير مكترث بما سيحل به ثم جلس على كرسي بقرب كاتب الضبط وجلس بقربه الافوكاتو . ففتح الرئيس الجلسة وطلب من المدعي العمومي تقديم دعواه وما هي البراهين التي يقدران يقدمها على المدعى عليه وفي الحال اخرج المدعي العمومي ورقة كتب عليها دعواه فقراها بسماع الجميع موجهًا دعواه الى بنديتو مسندًا على اسقيات بنديتو وعلى قول كادروس المقتول وعلى هربه وسكوته في اللوكندة من داخل داخون اللوكندة وعلى هربه ايضًا من سجن طولون واختفائه تحت اسم الامير دوفالكانتي . ولما انتهى دوفيلمور من ذلك دفع ورقة الدعوى الى الكاتب لحفظها في جريدة الضبط . ثم طلب الرئيس الى بنديتو ان يدافع عن نفسه . فاجاب اني لست المقصود . فسأله الرئيس ما هو اسمك ولقبك . قال اني اعجب منك ايها الرئيس كيف تجهل اسمي ولقبي فتعجب الرئيس والجميع من جسارته . وقال له كم سنة عمرك . قال عمري ٢١ سنة لاني ولدت في الليلة الثامنة والعشرين من شهر أيلول سنة ١٨١٧ فحرك كلامه هذا حواس دوفيلمور ورفع راسه ناظرًا اليه

فقال له الرئيس اين ولدت . قال في قصر قريب باريس يدعى اوتويل . قال وما هي صنعتك قال تعاطيت في بداءة عمري تزييف النقود ثم امتهنت اللصوصية ثم اتخذت صنعة سفك الدماء . فلما قال ذلك هاج الاعضاء والحاضرون وهم يتعجبون من جسارته وعدم اكتراثه وخوفه . واما موسيو دوفيلفور فقد علا وجهه الاصفرار وجرى في قلبه خفق وقد سال العرق من جبينه وكان كمن يريد ان يتكلم فلم يقدر . فقال له بندتيو هل تريد سيدي وكيل الملك ان يبدي رأيا فلم يجبه بشيء . وبعد ان رجع الهدو والسكينة قال الرئيس دع عنك هذا الهذيان واخبرنا باسمك جليا . قال اني اتعجب منك ايها الرئيس كيف تنسب لي الهذيان على اني لم اتكلم الا بعين الواقع انما سوالك عن اسمي فلا اقدر ان اعرفه لان كلاً من الناس يدعوني باسم غير اني اعرف اسم ابي ويمكني اذا شئتم ان اقوله لكم . ولما سمع دوفيلفور هذا الكلام وقع في قلبه موقع الجوارح وكادت تحترق احشاؤه ويطير عقله حتى كان لا يعي ولا يعرف ما يقول فقال الرئيس قل عن اسم ابيك قال ان ابي هو دوفيلفور وكيل الملك الحاضر الان في هذا المقام يسمع ويرى . فزجره الرئيس وقال احفظ الجد يا غلام ودع عنك هذه الاوهام فكيف تنسب بوقاحتك الى وكيل الملك وكان جمهور المتفرجين يتحدثون بهذه القضية ويتعجبون من وقاحة بندتيو وكان بين تلك الجماهير امرأة دنكلار وقد حضرت لتسمع محاكمة بندتيو فلما سمعت كلامه كاد يغشى عليها فاسندت راسها الى الحائط وهي مختلة العزائم ضعيفة القوائم وقد تأكد عندها ان هذا هو ولدها من دوفيلفور وخافت من الفضيحة والعار . ثم قال بندتيو ارجوكم ان تسمحوا لي يا اسيادي ان اتكلم وتصغوا لي وتتأكدوا ان كل ما احكيه هو عين الواقع والصدق وقد سالتموني عن اسمي فاخبرتكم اني لا اعرفه بالتمام وعلى ذلك براهين وادلة واما اخبرتكم باسم ابي لتتحققوا نسبي وسألتم عن عمري فاخبرتكم وانا مستعد لاثبت كل ما اخبرتكم به . فتبين الجميع من كلامه وجها للصدق لانهم نظروا الى موسيو دوفيلفور فوجدوه كالاموات في حالة غير طبيعية وهو مع كل هذا لم يجب بكلمة ولا اعترض الغلام . ثم قال بندتيو اهل تطلبون اني اقدم البراهين على ما قلته . قال الرئيس كيف لم تقرر هذا في بداءة استنطاقك امام [illegible] البوليس بل قررت خلاف ما تدعيه الان . قال لو قررت ذلك في البداءة لما تيسر لي ان اجتمع في مثل هذا المحفل النفيس واثبت حسبي ونسبي ليعرف الجميع من هو ابي ويتحققوا فيما بعد اني من سلالة شريفة على اني ان كنت قررت اولاً غير الحق فالان اقول الحق وهو اني ولدت في اوتويل في بيت نمرة ٢٨ ملفوفة بقماش من الحرير الاحمر النفيس وذلك في الليلة التامة والعشرين من [illegible] سنة ١٨١١ واني دون ارتياب ابن وكيل الملك موسيو دوفيلفور ولازيدكم في التوضيح اقول اني حينما خرجت من العدم الى الوجود حملني ابي ملفوفا لفافة من الحرير ونزل بي الجنينة ليدفنني هناك كي لا يظهر امره فتعجب جميع الموجودين في دوو الكاتي لانهم يسمعون امرا عجيبا وكان بعضهم يلوون الى

تصديق كلامهِ . وإما الرئيس فكان من اصدقاء دوفيلفور ولذلك كان قد تكدر من انتساب هذا اللص اليهِ . فقال لهُ كيف يمكنك ان تعرف ذلك وانت في حالة طفولية . قال اخبرني بذلك الرجل الذي رباني لانهُ كان يعرفهُ وكان لهُ عليهِ ثار فترصدهُ زماناً الى ان وقع بهِ تلك الليلة وما ذلك الا لطول عمري ولما حفر ابي الحفرة وعزم ان يدفني فيها انقض عليهِ ذاك الرجل وفاجأهُ بضربة خنجر القاهُ الى الارض طريحاً ثم قادهُ الى الحفرة وفي ظنهِ انهُ مات ورد عليهِ بعضاً من التراب . ثم شفق عليَّ فاخذني ودفعني الى الراهبات فبقيت هناك زماناً وبعد ذلك حضر اليَّ الرجل واخذني الى شقيقتهِ فاعتنت بي وربتني وكانت حنونة عليَّ واخذتني الى بلاد كورسيكا واني اقول لكم ايها السامعون اني لو بقيت في بيت ذاك الرجل لكنت سعيداً حتى الان ولكن بما اني ابن زانية وابي من الرجال الاشقياء جحدت جميل من رباني وخرجت شريراً محتالاً حتى كنت اطلب الشر اينما كان . قال الرئيس وكيف لم تذكر اسم والدتك . قال ماذا يعني والدتي فلا ذنب لها على اني لم اقصد ان اعرفها اذ لا يجب ان انتسب اليها . فلما سمعت زوجة دنكلار هذا الكلام صاحت ووقعت الى الارض مغشياً عليها فادركها الناس ورشوا على وجهها الماء وهم يتعجبون من حالتها ولما وعيت اخرجوها من المجلس وهي في حالة الندم . ثم قال الرئيس لبنديتو لا ريب انك تكذب في كل ما تقول واننا لا نصدقك ما لم تاتنا باقوى براهينك . فتبسم بنديتو مظهراً التعجب من كلام الرئيس وقال لهُ هل لم يمكنك ما تراهُ في وجه والدي من الاصفرار وما يظهر عليهِ من الاضطراب ولم تتاكد لك من سكوتهِ انهُ مصادق على قولي معترف بهِ . فمال الرئيس بنظرهِ الى دوفيلفور فوجدهُ في حالة يرثى لها وقد اصفر وجههُ وغارت عيناهُ وسال عرقهُ وضاع عقلهُ . واذ ذاك التفت اليهِ بنديتو وقال لهُ يا ابتاهُ يطلبون مني شهوداً فهل يحتاج الامر الى شهود . فلم يعد اذ ذاك في وسع دوفيلفور الانكار فنطق بالحق غصباً عن ارادتهِ وقال اعلموا ايها القوم ان هذا الغلام صادق القول وكل ما قالهُ فهو حق لانهُ ابني لا محالة . فاعترضهُ الرئيس وقال لهُ تأنَّ ياموسيو دوفيلفور وانظر في العواقب على انك معذور لان اموراً نظير هذهِ تضيع العقل وتذهب بهِ ولو كان مكانك اعقل رجال الدنيا لخسر عقلهُ في مثل هذهِ التهمة . قال كلا فان ما قالهُ هذا الولد هو الواقع وقد سبق فعلهُ بسماح من الاقدار وها انا ذاهب الى بيتي اقيم فيهِ الى ان يدعوني الشرع الى الاقتصاص . ثم قام من المجلس وخرج كالمجنون بغتةً وحينئذٍ قال الرئيس اني ارى الان ان الوقت قد فرغ فلا سبيل الى استماع المحاكمة فلنؤجلها الى يوم آخر . فانصرف الجميع يتحدثون بافعال بنديتو ويذمون دوفيلفور على ارتكابهِ فعل الزنا والقتل

واما دوفيلفور فانهُ ترك المجلس وسار وهو لا يعرف طريقهُ المستقيم وجعل يلوم نفسهُ ويوبخها وقال ويل لي انا الشقي كيف انظر الى قبائح الغير وقبائحي لا تحصى وقد طلبت قصاص زوجتي على

ارتكاب العظائم ولم انتبه الى آثامي وقبائحي وندم على ما فعلهُ مع زوجتهِ وخاف من ان يدخل البيت فلا يرى زوجتهُ وتكون قد شربت من السم فاتت . فاسرع كي يدركها قبل وقوعها في العدم ليطلقها من السماح ويرحل بها عن تلك البلاد ليعيش منفردًا في احدى القرى بعيدًا من الاحباب والاصحاب . ولما وصل الى محلهِ دخل غرفتها فوجدها على اخر رمق تقاسي نزاع الموت . فقال لها ماذا فعلت قالت فعلت ما امرتني ان افعلهُ ثم وجد امامها زجاجة السم فتاكد انها قد شربت منها . فزاد لذلك كربهُ واضطرابهُ لا سيما عند ما وجد ان ابنهُ ادورد ماتًا بجانب والدتهِ ونظر بقربهِ ورقة فاخذها واذا مكتوب عليها حيث ان عملي من الاول الى الاخر انعطافًا على ولدي وحبًا بسعادتهِ وحيث لا يمكني مفارقتهُ امتهُ معي ليدفن بجانبي كل هذا ودوفيلفو في هياج وانزعاج وقد اختل عقلهُ . ولا ريب ان كل من وقع في مثل هذه الامور والمصائب لا يبقى على حالهِ ولا بد من خسران حياتهِ او خسران عقلهِ ولذلك جعل يصرخ ويصيح على غير وعي فاذا قامهُ شرفة واولادهُ ثم ركض الى والدتهِ لزيارتهِ وهو على صياحهِ وبكائهِ فوجد عندهُ الخوري بوسيوني فارتعش وجزع لانهُ تذكر بواسطتهِ ما كان حكاهُ الكونت دومونتوكريستو ليلة الوليمة وكيف اخبر الحاضرين بتلك القضية التي كانت بينهُ وبين زوجة دنكلار . ولذلك قال لهُ لما انت ايها الخوري هنا فاني لا اراك الا في وقت المصايب وكان الخوري فاهمًا كل ما حل بهِ الا انهُ كان يجهل ما حل بولدهِ وزوجتهِ . فقال قد جئت لاصلي لابنتك لانها كانت ذات اطوار مستقيمة ليست نظيركم واني اخبرك اني مسرور بمصيبتك وقد اخذت بثاري منك وتم لي الانتقام على حسب المرام فاشكر الله الذي قدرني على هلاك اخصامي . فجفل دوفيلفور من كلامهِ وقال لهُ كيف ايها الخوري تقول هذا المقال . قال لست انا الخوري . ثم رفع قلنسوتهُ ونزع ثوبهُ الاسود . فتامل وقال ها انت الكونت دومونتوكريستو . فقال لست انا الكونت بل تامل فيَّ جيدًا علك تعرفني . قال اني اتذكر اني سمعت صوتك هذا قبل الان انما لا اتذكر اين رأيتك وفي اي مكان . فقال سمعت صوتي من نحو ٢٣ سنة في مرسيليا يوم خطبتك على زوجتك الاولى ام فالنتين . قال لا ريب انك عدو الله وقد تحققت الان انك لست الخوري ولا الكونت . فقال تذكر قبيح اعمالك ورداءة جبلتك فافحص ضميرك واكتب اني ما اتيت باريس الا لانتقم منك فكل ما اصابك هو بتدبيري وتدريبي ولي بهِ اليد الطولى . قال ليس لي عقل يذكرني بما مرَّ عليَّ من حوادث الزمان فاخبرني من انت وماذا فعلت معك من القبائح قال انا الذي رميتني في قلعة شاتوديف حاكمًا عليَّ بالسجن المؤبد وقتلت والدي وحرمتني من التنعم بالحرية وضيعت مني زمن الشبوبية . فصاح دوفيلفور من انت من انت فقل لي فاني حتى الان لم اعرفك . قال انا الذي حبستني في قلعة شاتوديف دون حكم ولا محاكمة وفي زعمك اني من احزاب بونابرت والله سبحانهُ وتعالى خلصني حيث رميت نفسي الى البحر وانعم عليَّ بنعمهِ حتى

رفعني الى رتبة الكونتية . فصرخ دوفيلور وزاد صياحهُ وقال نعم انت انت انت عرفتك الآن نعم انت ادمون دانتاس اني بنفسي ظلمتك لاحفظ راحتي وراحة ابي ونالك الحق ان تفعل اكثر مما فعلت ولكن لم يكفك كل ما فعلت فيها اتبعني وانظر ماذا وقع بي . ثم اخذهُ من يدهِ ومضيا حتى ادخلهُ المخدع وقال لهُ انظر هذين الجسمين المائتين فهل لم يكفيك هذا الانتقام وهل لا تكفي هذه المجازاة. فلما رأى الكونت زوجة ووالدة قد ماتا ندم على فعلهِ وتأسف على هذه المصائب فانها اكثر مما كان وحل ولعن الساعة التي وطد نفسهُ بها على الانتقام لان التقادير كانت تساعدهُ حتى انهُ كان يتوفق في كل ما يريد ان يجريهِ فتركهُ دوفيلور ونزل الجنينة وهو من الحزن في مكان رفيع ولم يدرك الجنينة الا وقد ضاع عقلهُ وخسر جوهر فهمهِ فاخذ معولاً وجعل يحفر في ارض البستان وهو ينادي هنا وضعت الولد فتبعهُ الكونت الى هناك فوجدهُ في حالة الجنون فقال لهُ تمهل يا دوفيلور فان كان اولادك قد ماتوا فخذني عوضاً عنهم وارجع الى عقلك فلم يكف عن الحفر بالارض بل كان يقول لا بد من ان اجد ابني هنا رغماً عنك يا ايها الكونت ولو التزمت ان احفر الى الابد وكان يحفر بجد واجتهاد فيرمي التراب طوراً على نفسهِ وتارة يذريهِ حتى صار في حالة يرثى لها لا سيما وقد تهشم وجههُ من ضرب المعول فاجتمع عليهِ الناس فلم يصغ الى احد فكر الجميع بجنونهِ فكان منهم من ضحك عليهِ ومنهم من رثى لحالهِ وما ذاك الا فعل الخبير العليم فانهُ قضى عليهِ بالجنون بعد فقد الزوجة والبنين

الفصل الثاني عشر

في قيام فالنتين وزواجها بمكسيمليان واخذ الثار من دنكلار وفيه ايضاً نهاية القصة

ولما تحقق الكونت جنون دوفيلور تركهُ وسار متأسفاً على حالهِ فكان تارة يبتسم على الفلاح وطوراً يقول في نفسهِ ان فاعل الشر شراً يلاقي فلولا انهُ البادي بالشر لما ساعدتني العناية عليهِ . ولما وصل الكونت الى محلهِ وجد مكسيمليان هناك وهو يتكلم مع شقيقتهِ جوليا عما اصاب دوفيلور من العار والخسران . وبعد ان حياها الكونت قال لمكسيمليان هل هيأت نفسك للسفر . قال اني على اهبة السير منتظر اوامرك . فقال هلم بنا فان المركبة تنتظرنا عند الباب ولا بد لي من ان اكون برومية بعد خمسة ايام دون شك ولا ارتياب . ثم ان الكونت ودع جوليا ومن كان موجوداً هناك بعد ان اوصاهم بالمحافظة على القصر الى حين حضورهِ او يبعث لهم بتحارير ماذا ينبغي ان يفعلوا . وقبل ان ركب الكونت مركبتهُ قال لخادمهِ علي بالعربية هل اوصلت الرسالة الى موسيو نوارتيه . فاشار اليهِ نعم ماداً اشار ايضاً بعينيهِ انهم الكونت ان موسيو نوارتيه يقبل ان يسافر من باريس لانهُ حرر لهُ في ذلك المعنى وان يقيم عندهُ . ثم سارت المركبة حتى خرجت من باريس وهناك التمست

الكونت الى جهة المدينة وقال لها استودعك الله ايتها المدينة العظيمة فانت لا ريب احسن الناس الي لانك ساعدتني على بلوغ المقاصد وسهلت لي ان افرّق اعدائي الذين كانوا مجتمعين بك بعد ان اذقت كلاً منهم عذابًا اليمًا وها انا سائر عنك ولا اظن اعود فاراك فيما بعد . ثم سارت المركبة بكل سرعة حتى انتهت الى مرسيليا فنزلا من العربية وجالا قليلاً في المدينة وقد تذكر كل من الكونت ومكسيمليان ما كان من احوالها القديمة في تلك المدينة وعندما مرّ بشاطىء البحر وجدا مركبا على قصد السفر الى الجزائر فاخذ الكونت النظارة واخذ يتحقق بالمسافرين فوجد امرأة ملثمة فعرف انها مرسيدس خطيبته وشاهد ابنها بقربها وفي نيته السفر الى الجزائر كما تقدم حيث دخل السلك العسكري وباع نفسه حبًا بمعيشة والدته واذ ذاك التفت الكونت الى مكسيمليان وقال له هل في زعمك ان تذهب الى مكان . قال مرادي ان اذهب الى المقبرة لازور قبر ابي . فقال له اذهب اقضي ما انت قاضٍ وارجع حالاً فاني انتظرك في هذا المكان . فقال مكسيمليان اذا شئت ياسيدي الكونت فاذهب معي لزيارة صديقك والدي . ففطن الكونت وسار معه وما بعد الا القليل حتى وقف في مكان هناك وقال اتذكر ياسيدي الكونت انك ودعت ابي في هذا المكان عندما اتى ليحقق ما اخبر به من رجوع مركبه فرعون فدعني ان اقبلك كما قبلني والذي فانه لما تاكد الخبر كاد يطير من الفرح والمالك قبلني . كل هذا وفكر الكونت الى جهة المركب وعيناه موجهتان الى داخله فوجد اناسًا تنزل منه الى الشاطىء فسار اليهم فرأى مرسيدس قد نزلت من المركب وهي في حالة هم وغم على ما اصابها على فراق ولدها البكر . فتبعها لترى الى اين هي ذاهبة فوجدها قد سارت الى الكاتالان ودخلت بيت ابيها القديم الذي كان قد اشتراه بعد خروجه من السجن ندخل عليها فوجدها في بكاء ونواح فجعل يسليها وعرض عليها ان يهبها دراهم لاجل مصروفها فابت وقالت اني لا احب ان اخذ دراهم منك حبًا على خاطر ولدي . قال لا باس من ذلك فولدك هو ولدي واني احبه واتمنى نجاحه ولا بد لي من السعي في ترقيه ولا زال يلاطفها حتى هدأ روعها واستكنت واذ ذاك اخذ يذكرها بما كان من ايامهما القديمة فقاما وطافا في الكاتالان ومرّ بالخمارة التي كانا قد صادفا فيها كادروس ودنكلار وفريان وحرروا العرضحال الى دوفلفور وكيل الملك . ثم طلب اليها الكونت ان تذهب معه الى قلعة شاتوديف . فرجاها عليها فابت وقالت له اني لا اقدر ان انظر ذاك المكان الذي كان سببًا لبعادنا وتفريقنا . وبعد ان اقام معها مدة دفع لها تحريرًا وقال لها ارجوك ان تبقي هذا التحرير بيدك الى ان ارسل اليك تذكرة ممضاة باسمي اخبرك بها ماذا ينبغي ان تصنعي به فاخذته منه وابقته معها ولم تفتحه وبعد ان ودعها الكونت وذهب عنها ارسل لها التذكرة التي وعدها انه يرسلها لها وفيها يامرها بفتح التحرير ففتحته فوجدت فيه تحويلاً لها على البنك بخمسة وعشرين الف فرنك وذكر لها ايضًا ان تقبل هذا المبلغ اكرامًا لخاطره وان تعتبره من قبيل الود والمحبة . ثم نزل الكونت في

قارب وقصد قلعة شاتوديف ليرى ماذا صار فيها ولما وصل اليها وجدها قد تغيرت معالمها وشادت بها الابنية وصارت من المحلات الرسمية واقامت فيها ادارة الرسومات وقد نقلت منها المحابس . الا انها لما كانت قديمة البنيان كانت تقصدها الغرباء للفرجة ولذلك جعل الكونت يتفرج عليها وينظر فيما جد عليها من الابنية وما كان فيها قديماً وهو يتذكر تلك الايام التي ليست بقليلة التي صرفها معذباً فيها . وبعد ان فرغ الكونت من الفرجة سال اهل يوجد رجل قديم العهد بين ساكني ذلك المكان او خدمه فقيل له انه يوجد رجل كان سجاناً عند ما كانت القلعة محلاً للمسجونين فدنا منه وسلم عليه وسالة ان يفرجه على السجن التي كانت قديماً للمجرمين فاخذه وسار به وسار معهم ايضاً جماعة من ساكني القلعة اي من خدمة الرسومات فنزل في تلك الاماكن المظلمة ولا زالوا حتى انتهوا الى السجن الذي كان فيه ادمون فدخله ادمون وهو في اضطراب ولم يقدر ان يضبط نفسه عن الحزن والكابة عند ما نظر الحائط المثقوب الذي ثقبه استاذه الخوري فاريا وحينئذٍ جلس الكونت ليضبط نفسه وقال اهل من يقدر ان يحدثني بحادث هذه القلعة . فقال له الرجل السجان اني اقدر ان احدثك بحديث وقع في هذا السجن اخبرني به السجان انطونيو . فاضطرب الكونت في داخله ورجف قلبه من الهلع لان هذا انطونيو هو السجان الذي كان موكلاً على المسجونين في زمان سجن ادمون وقد قاسى منه العذاب الاليم حتى انه كان لا يزال يشعر بتلك الافعال الخبيثة التي كان يفعلها معه . ثم قال الرجل انه كان محبوساً في هذا المكان رجل شرير جداً لم يرَ اشر منه زمانه بطولو وكان محبوساً بجواره خوري ضعيف الحال لين العريكة الا انه كان من المجانين وكان يتكلم عن نفسه انه يقدر ان يقوم بمصروف جيش لان عنده ملايين من الليرات . فتنهد الكونت عند سماعه هذا الكلام وتذكر الخوري وصدقه وكيف كانوا ينسبون اليه الجنون مع انه من اعقل الناس واصدقهم واعلمهم . ثم قال الرجل وما كان من هذين الرجلين الا انهما ثقبا الحائط الحاجز بينهما وصارا ياتيان بالسر الى بعضهما . ودام الرجل في حديثه حتى انتهى الى رمي ادمون بالبحر كما تقدم بيانه في محله كل هذا والكونت يظهر الغرابة والتعجب من هذا العمل وقال للرجل وهل عرفتم انه مات او ثبت بعد ذلك انه في قيد الحياة . قال ليته لا يزال حياً انما ذلك من المحال لانه وقع على الصخور فلا شك في موته على انه وان بقي حياً فلا بد ان يكون مات غريقاً لان السجانين وضعوا حديداً ثقيلاً في رجليه وهذا الذي يرجح موته الا ان الحكومة لم تفتش عليه فيما بعد لانه لم يحبس بحكم من محكمة الجزاء وحبسه كان ظلماً وقد تحدث بحديثه كثيرون والجميع كانوا يتمنون نجاته لانه نسب اليه انه من احزاب بونابرت الشهير صاحب الافضال الجزيلة والبسالة المشهورة وكان البعض يقول انه كان له اب مسكين وخطيبة كان مزمع على الاقتران بها بعد ان سجن بيوم . قال الكونت اهل يمكن انه لا يعرف احد اسم هذا الرجل . قال كلا فلا احد منا يعرف اسمه بالتمام . قال اتقدر ان تعرف كم

سنة اقام هذا المحبوس في هذه القلعة . قال لا اعلم وعلى ما يظهر انه اقام عشرين سنة تقريبًا . ولذلك فكر الكونت الرجل واخرج له من جيبه مقدارًا من الليرات اعطاها اياهُ فانبهر الرجل وقال اظنك غلطان يا سيدي فانك اعطيتني ذهبًا . قال كلاَّ فهذه مكافاة لك على اتيانك معي الى هذا المكان وحكايتك هذه لي سرتني جدًّا . فزاد تعجب الرجل وقال ياسيدي ان خدمتي لك هذه الدقائق القليلة لا توازي هذا الانعام الجسيم . انما التمس اليك ان تقبل مني هدية اريد ان ادفعها لحضرتك قال ان كانت من عمل المحابيس فابقها لك . قال كلاَّ انما هي تتعلق بنفس المسجونين اللذين اخبرتك عنهما وهو انه بعد ان هرب ذاك المسجون ومات الخوري لم يسجن احد في هذه الغرف ولما تعينت انا حارسًا حضرت الى هنا فوجدت بعض قطع حديد وحبال وغير ذلك فبعتها جميعها انما ابقيت عندي كتابًا من القماش وعلى ما اظن انه للخوري فاريا . قال الكونت ان هذا اقبله فذهب الرجل لياتيه به واقام الكونت ينتظرهُ ولما انفرد جثا على ركبتيه وصلى الى الله سبحانه وتعالى على انعامه له كيف اخرجه من ذلك المكان المظلم وخوله تلك النعم بوقت قريب جدًّا . ثم تذكر الخوري فاريا الذي كان الواسطة الكبرى لتعليمه وتهذيبه وفي النهاية اغناهُ الغناء المفرط . ثم جلس الكونت متفكرًا وقد عظم عليه الحال وقال في نفسه قد مضى كل ما كان مقدرًا عليَّ من حين الصبا ولم يعد عليَّ الاَّ ان اعرف اهل ما فعلته مع اولئك الاوباش يوافق شريعة الله ام لا فكان تارة يقول انه موافق وطورًا يبكته ضميرهُ ويوبخهُ على اعماله . وفي تلك الساعة اتاهُ الرجل بالكتاب ففتحه فوقعت عيناهُ على اول كلام فيه

«ستسحق بقدمك انياب التنين وتدوس برجليك الاسود يقول الرب»

فلما نظر ذلك خرَّ ساجدًا على وجهه وقال في داخله قد فهمت اني لم اعمل شيئًا الا وقد ساعدني الله عليه فرحمك الله ايها الخوري المملوء من التقا والطهارة كنت تصلني بافاداتك وانت حي وهانذا لم تقطع عني افاداتك وانت ميت فان كان ابي لم تساعده الظروف ليقوم بتعليمي وتهذيبي فقد اوصلني الله الى هذا المكان فجعله مدرسة لنجاحي وبعث لي استاذًا خبيرًا بكل فنون الاداب . فكان يفكر بكل هذه الامور وهو يشعر باحسان الخوري والتفات العناية الالهية . وكان ذاك الكتاب الذي اخذهُ من الرجل مكتوبًا بخط الخوري فاريا . فاخذهُ ليبقيه عندهُ تذكارًا ثمينًا . وقبل ان خرج من القلعة افتكر في ماذا يجب ان يكافي ذاك الرجل على اعطائه اياهُ ذلك الكتاب . فاخذ كيسًا صغيرًا وضع فيه عشرة اوراق بنك وقال له خذ هذا ولكن لا تفتحهُ الاَّ بعد ان ابعد عنك فامتثل الرجل امرهُ وشكر فضله

ثم نزل الكونت في القارب وصعد الشاطئ وسار الى المقبرة لجهة ... موريل فوجدهُ جالسًا على قبر ابيه يبكيه ويندبهُ فدنا منهُ ونهضهُ وقال لهُ لا يجب ان تبكي ... بل يجب ان تتعزى لانهُ

مات مجبورًا بين اهله واولاده وعرف له قبر يزار بخلاف ابي الذي مات حزينًا كئيبًا محزونًا على نظر ولده جائعًا فقيرًا ودفن في مكان لا يعرفه احد. ثم بعد ذلك رجع مع مكسيمليان الى البحر وهناك لقي الرجل السجان الذي اعطاه الكيس فقال له ياسيدي املك غادان. نان في الكيس اوراق بنك بمبلغ من الفرنكات. قال اني اعرف ذلك وقد دفعتها لك من الكتاب الذي اخذته منك . ثم قال الكونت لابن دوربل اني قد عزمت على السفر الى رومية. اذهبا انتما الى جزيرة مونتوكريستو واقم فيها الى ان تاتيك مركب تدعى فاريس فقل لرئيسها عن اسمك فيأتي بك الي ثم ودعه ونزل البحر وذهب قاصدًا رومية

فلندع الكونت الان ولنرجع الى دنكلار فانه بعد ان كتب الرسالة الى زوجته كما تقدم في مكانه واخذ سند الكونت سافر الى رومية ليقبضه من محل الخواجات تومسون ثم يذهب الى النمسا ويقيم فيها . فلما وصل الى رومية نزل على احدى اللوكندات وهي اللوكندة التي كان يقيم فيها الكونت كلما اتى رومية ولما دخلها وجد جمًّا غفيرًا من الفقراء والغرباء عند بابها وداخلها حيث كانت العادة في رومية ان يجتمع مثل هولاء عند ابواب الكنائس والاديرة واللوكندات ولما دخل دنكلار طلب الاكل فاكل ثم سال عن محل الخواجات تومسون فقيل له انه داخل المدينة وانه يفتح لقبول زائريه قبل الظهر وبعده ساعات معينة وكان اذ ذاك رجل من اولئك الفقراء يسمع كلام دنكلار فصبر عليه الى ان فرغ من اكله ونزع ملابسه ولبس غيرها وخرج من اللوكندة ودعا بمركبة ليركبها ويسير عليها الى محل الخواجات تومسون. ولما سار سار ذلك الفقير في اثره حتى انتهت المركبة الى باب المحل المقصود وفي الحال اتاه خادم المحل وسأله عن اسمه فقال له اسمي دنكلار فقال له اصبر لاطلب لك الاذن فغاب قليلًا ثم رجع اليه ودعاه ليدخل فدخل ولاحت من الخادم التفاتة فراى الفقير الذي يتبعه فقال له ما تعمل هنا يا بيبو اهل تعرف ان مع هذا الرجل دراهم تستحق السلب حتى تتأثره. قال انا في انتظاره فهذا موسيو دنكلار الذي عرفنا يا رئيسنا عنه الكونت دو مونتوكريستو وان له على المحل تحويل بستة ملايين فرنك . قال اني اعرف ذلك . قال انما نخاف من ضياع الوقت بالباطل قبل وقوعه في شركنا واسألك لا بد من استعمال الحيل والخداع لصيده . قال كن مرتاحًا فلا بد من اسره ونيله وانفاذ غاياتنا ومقاصد الكونت فيه لا سيما وان سائق المركبة هو من رجالنا وعنده تعليمات كافية وبينما هما في مثل هذا الكلام اذ خرج دنكلار وبيده تحويل من المحل المذكور بالمبلغ كله على بنك فينا ليقبضه في الغد فسار به السائق حتى اوصله اللوكندة . وقبل ان يذهب سأل له دنكلار احضر الى هنا في الغد الساعة ٢ بعد الظهر لتذهب بي الى بنك فينا . اجابه سمعًا وطاعة فبات دنكلار تلك الليلة في اللوكندة وفي الغد حضر سائق المركبة في الوقت المعين فركبها دنكلار وحينئذ ضرب السائق الخيل فخرجت تسير سير الريح على الطرق

ولا يزال كذلك ودنكلار لا يعلم نفسهُ في اي طريق هو وقد طال عليهِ المطال حتى غروب الشمس فارتبك في امره وصاح في السائق الى اين انت سائر بي ولماذا لم نصل الى بنك فينا . فاجابهُ باللغة الايطالية التي لا اعرف ما تقول . وكان دنكلار لا يعرف الايطالية فزاد ارتباكهُ وعظم عليهِ الحال واحتار في امره لا سيما وقد شاهد انهُ دخل الليل وانتشر الظلام فنظر على ما بقي من نور النهار الضعيف المفارق من نافذة المركبة فوجد نفسهُ خارج المدينة بين الاجام فصاح في الرجل . فاجابهُ بغضب قد وصلنا الى المحل المقصود فانزل بلا غاية ولا تبدِ ولا كلمة والاَّ فتموت . فتعجب دنكلار من جسارته واراد ان يصيح بهِ فوجد المركبة قد وقفت عند باب مغارة فنظر الى داخلها فرأى الفقير الذي كان يراهُ في باب اللوكندة جالسًا بين يدي فارس خطير . فوقع في خوف عظيم واراد ان يرمي نفسهُ من المركبة ويفرّ بين تلك الادغال لانهُ ظن ان حكومة فرنسا ارسلت تلغرافًا الى حكومة ايطاليا بطلبهِ فوضعت عليهِ العيون والارصاد وظن ايضًا ان ذاك الفقير والفارس هما من البوليس الاَّ انهُ قبل ان يستوي واقفًا في المركبة احاطت بهِ خمسة انفار وتقدم احدهم ففتح الباب وقال لهُ تفضل ايها الموسيو . قال الى اين تريدون ان تذهبوا بي . قال لهُ احدهم اصمت يا ملعون . فصمت دنكلار وهو متعجب مما وقع فيهِ ولم يعد يعرف في اي مكان هو ولاي شيء اتي بهِ الى ذاك المكان وحينئذٍ اتى الفقير اليهِ ومسكهُ من لحيتهِ وانزلهُ الى الارض فتحقق دنكلار انهم لصوص وانهم قادوهُ بالحيلة الى هنالك فزادت مصيبتهُ وتاكد فناءَهُ . ثم ذهبوا بهِ من تلك المغارة الى باب واقع بين حجرين كبيرين فدخلوا منهُ وتوصلوا الى مغارة ثانية حتى كان دنكلار لا يعرف اين يضع رجلهُ وقد تهشمت رجلاهُ وسال منهما الدم وكل ما وقف يضربونهُ حتى وصلوا الى باب مغارة داخلية فاعترضهم رجل هنالك وقال لهم من انتم قالوا نحن من جملة اصحاب لويجي فامبا واعطوهُ العلامة المعروفة فتركهم حتى انتهوا الى داخل المغارة فوجدوا الرئيس جالسًا وبين يديهِ الشموع موقدة ومن حواليهِ جماعة من اصحابهِ . فقال لهم اهل احضرتم الشخص الذي امرتكم باحضاره . فاجابهُ بيبينو واضعًا المشعل بوجه دنكلار نعم يا سيدي هذا هو . فقال حيث الان يظهر انهُ تعبان فخذهُ الى السرير لينام فساروا بهِ ووضعوهُ في غرفة صغيرة لها باب صغير فدخلها وجد فراشًا من القش موضوعًا فيها فتعجب من عمل اولئك اللصوص وجلس على ذاك الفراش وجعل يفتكر في ماذا يؤول اليهِ امرهُ فكان تارة يرى الموت نصب عينيهِ وطورًا يتصور العذاب والجوع الى غير ذلك الاَّ انهُ طرق ذهنهُ اخيرًا ما كان سمعهُ من البارون فرنان عندما وقع بين ايدي اللصوص كيف انهم طلبوا منهُ فدية ولم يؤذهِ احدمنهم واذ ذاك ارتاح بالهُ ونام مفتكرًا انهُ يفدي نفسهُ بالمال مهما طلبوا منهُ ونام تلك الليلة متيقنًا بالخلاص ولم يستيقظ في الغد الا وقت الضحى فجلس من النوم ينتظر حضور من ياتي اليهِ ليدعوهُ الى الرئيس ليتناول على مقدار الفدية فاقام مدة دون ان ياتيهُ احد [illegible]

الوحوش فقال لا ريب انه من الامركان الذين ياكلون لحوم البشر وقد خاف على نفسه منه غير انه اطمئن لما وجده ياكل خبزًا وجبنًا و بصل . فناداهُ اني جئت ياهذا الرجل فارجوك ان تاتيني بما آكله فلم يلتفت اليه ولا رد عليه بل نفر فيه وشتمه ودام في آكله . فرجع دنكلار الى القرابين ونام عليه الى ان مضى اربع ساعات وتغير الخفير واتى اخر فنظر اليه فوجدهُ لطيف الذات عليه سمة الرقة واللين . فدنا منه وحياه فاجابه وكان الحارس ياكل لحمًا مقليًا وفاكهة فتاقت نفس دنكلار الى الاكل وكاد يهجم عليه لولا خوفه منه . فقال له دنكلار امل يوجد هنا آكل لذيذ فاني جائع قال نعم كل ما طالبه ياسيدي ناتيك به انما بالثمن . قال هذا هين فاني ادفع لكم الثمن وان كان من الواجب عليكم ... المأسورين . قال ليس العادة هنا ان نطعم احدًا ولو هلك جوعًا ما لم يدفع ثمن ما ياكله هكذا تنبيهات رئيسنا فلا يجب ان نخالفها . قال ليس الان وقت تطويل الكلام فانقذني فاني اكاد اهلك جوعًا لاني نحو ٢٤ ساعة لم اذق طعامًا . قال مر ياسيدي بما تشتهي نفسك . قال اتني بفرخة مقلية او سمكة او طير و بعضًا من الخبز . قال سمعًا وطاعة . وفي الحال نادى احد رفاقه نامرهُ ان ياتي بما طلب فاتاهُ بفرخة مقلية بالسمن موضوعة في صحن من الفضة على صينية ثمينة المقدار فما صدق ان نظر الاكل امامه حتى جلس على ركبتيه ومد يدهُ وفي نيته ان ينهش الفرخة فاعترضه الحارس وقال له ارجوك ياسيدي ان تدفع الثمن قبل ان تبتدئ بالاكل لان العادة عندنا هكذا . قال لا باس وعلى ما اظن ان طعامكم هنا ارفع قيمة من طعام اللوكندات فخذ هذه الليرة . ثم اخذ ليرة من جيبه واعطاها الى الحارس واراد ان ياكل فقال له مهلاً ياسيدي انك لم تدفع لي باقي الثمن بل دفعت لي هذه الليرة من اصل الحساب فان كان لا يوجد معك الباقي فاعطني سندًا به فلا ... انك رجل مؤتمن . فتعجب دنكلار وقال هل من اجل ثمن فرخة نفتح لها الدفاتر ابواب ... لها من والى ونكتب سندات وكامبيالات . قال هذه العادة في لوكندتنا الا اذا كان الحساب كله معك فادفعه نقدًا يكون اوفق . قال كم ثمن الفرخة . قال الف ليرة دفعت واحدة فيكون الباقي ٩٩٩ ليرة فحملق فيه دنكلار واصفر وجهه ثم قال له دع عنك المزح فانا لا اطيق احتمله الان لاني جيعان . واراد ان يقطع الفرخة فقال له الحارس اني لا امزح بل اخبرك الصحيح فاما ان تدفع لي واما ان ارجع الاكل الى محله . فقال كيف لا تمزح وتقول ان ثمن الفرخة الف ليرة . قال هكذا نبيعها فان شئت فاشترها والا فردها فان مثلك مثل بقية الناس الا نعرف كم نقاسي من التعب في تربية الفراخ في مثل هذه البرية . فقال ان كلامك هذا لا يدخل العقول فخذ هذه الليرة الثانية ودع عنك المزاح . فاخذ الحارس الليرة وقال ياسيدي بقي عليك من الثمن ٩٩٨ ليرة فكان ... ان يتبسم او ... اشارة تدل على المزح ولذلك تاكد دنكلار اخيرًا ... فحمق ... وقال ... خذ فرختك لا ... ارك الله فيكم وفيها . فاخذها الرجل واقام دنكلار في زاوية

المكان نحو نصف ساعة حتى خارت قواه وضعف عزمه ولم يعد يقدر على المكان ... الحارس وقال له ماذا تريدون مني الان. قال قل انت ماذا تريد فانا الملك الطوع من العبيد . قال اريد ان تقول فاتني بالاكل . قال اهل جعت ياسيدي . قال الا تعلم بجوعي . قال فماذا تريد ان تاكل الان . قال اتني بقليل من الخبز اليابس حيث الخبز عندكم ثمين بهذا المقدار . وفي الحال اتاه برغيف صغير . قال وهذا الرغيف كم ثمنه . قال الالف ليرة المعينة وصل منها ليرتان فيكون الباقي ٩٩٨ ليرة على التمام . فصاح دنكلار من ملء راسه وقد كاد يجن هل ثمن رغيف واحد الف ليرة . قال هكذا اصطلاحنا ان اكل ضيفنا رغيفًا او ارغفة او غير ذلك فلا بد له من دفع الالف ليرة . فقال الاحسن ان اموت جوعًا لتروا ماذا يفيدكم ذلك فيما بعد . قال لم ... الله فنحن لا نتعهد لك اذنعى واذا مت فمن يدك ولا يضر علينا شيء فان شئت ان ... دفع الثمن بالتمام قال من اين اتيكم بالثمن وهل يمكن ان احمل عشرين الف فرنك في جيبي . قال ... معك حوالة بستة ملايين فرنك وهذا المبلغ يكفيك لستين دجاجة مقلية . ففهم اذ ذاك دنكلار انهم يعلمون بامره فصبر برهة دون ان يفوه بكلمة ثم قال للحارس . هل اذا اعطيتكم الالف ليرة تاتوني بالطعام وتطلقون لي الحرية قال اعندك شك بذلك فاكتب لنا تحويلاً على محل الخواجات تومسون فتقبضه من هناك . فكتب دنكلار تحويلاً بالباقي فاتوه بالفرخة فقطعها فوجدها دقيقة لا تساوي الثمن فاكل قسمًا منها وابقى قسمًا اكله في الغد ولذلك زاد به العطش من الاكل . فاخبر الحارس انه يريد ان يشرب فقال له ياسيدي ان الخمر هنا اثمن جدًّا من الاكل . قال اني لا اطلب خمرًا بل اريد شربة من الماء القراح . قال الا تعلم ان الماء هنا اثمن من الخمر ايضًا . فقال دنكلار رجعنا الى المحاولة . قال واي محاولة فاذا شئت ان تشتري زجاجة من الخمر فانا ... فقال كم تساوي الزجاجة . قال ٢٥ الف فرنك . فقال لا ريب في انكم تقصدون سلب ما معي شيئًا فشيئًا . قال ربما كان كذلك فكر رئيسنا . قال ومن هو رئيسكم . قال هو الذي اخذناك اليه بالامس قال اني ارغب مواجهته فهل تسمح لي ان اذهب اليه او يحضر هو الى هنا . قال اظن انه ياتي هو الى هنا . ثم بعد مضي دقائق حضر وقال لدنكلار ماذا تريد يا ايها الموسيو . قال اريد ان اسالك ماذا تريدمني لاطلاق سبيلي . قال نريد منك الستة ملايين فرنك . فلما سمع دنكلار طلبه كاد يغمى عليه وهان عليه فقد نفسه وحفظ ماله وبعد ان امعن برهة افتكر ان ياخذ الرئيس بالمداهنة والمخادعة فقال له ان كرامة اخلاقكم تحملكم ياسيدي على الرفق بي فاني لا املك كل هذا المبلغ واذا كان ليس في قلبكم شيء من الرحمة فخذ روحي وارحني من هذا العنا . قال حاشاي من ان امد يدي اليك بسوء لاننا ممنوعون عن ذلك . فقال ومن يمنعكم عن القتل . قال يمنعنا من لا يسعنا مخالفته وهو المالك الجبار على الليل والنهار . فقال ان كان الرب الخالق يمنعكم عن القتل افهل يرضى بهذه الاعمال

قال نعم فهو المنتظر الجار ولولا انك مرتكب ذنبًا كبيرًا ما اوصلك الى محل العذاب والانتقام . قال حاصل الامر اهل يكفيك مني مليون فرنك . قال كلاّ . قال اني ادفع اليك مليونين قال لا اقبل الا بكامل المبلغ الذي بيدك فلا خلاص لك الاّ به . قال الاوفق ان اموت ولا ادفع كل المقدار لاني اذا دفعته اصبح فقيرًا واعيش عيشة مرة . قال الرئيس تبصر في امرك وانظر في العواقب فانك اذا لم تدفع المبلغ الان يلزمك ان تدفع مليونًا من الفرنكات كل يوم ثمن طعام وخمر . قال اذا كنتم ممنوعين عن قتلي كيف تتركوني اموت جوعًا . قال حاشا ان ندعك تموت من الجوع . حينئذٍ فهم دنكلار ان جل غايتهم اخذ الدراهم منه . فقال اني لا ادفع فدية ولا ادفع بارة ثمن طعام ولا اخرج من يدي شيئًا ما لم امت جوعًا او تقتلوني فقال له الرئيس افعل ما تريد فلا حرج عليك ثم تركه وذهب وبقي دنكلار يتقلب على فراش القش وهو يقول في نفسه سبحان الله كثير من الناس يقعون في ايدي اللصوص فيتخلصون اما بالحياة او بالمال نظير البيردومرسرف . وكثيرًا ما عزم على قتل نفسه بيده الاّ انه لم يطاوعه قلبه ولم يتجاسر على ذلك ثم خطر له ان يفتكر في ان يتخذ طريق الفرار وبعد التبصر لم يجد وسيلة لذلك وقد استد في وجهه كل مذهب . وبقي على ذلك اليوم الثاني وهو يامل الخلاص الى ان خار من الجوع فدفع مليون فرنك فاكل وشرب والحاصل صار كل يومين ياكل مرة ويدفع المليون حتى لم يبقَ معه سوى خمسة الاف فرنك . فتكاثرت عليه الهموم والغموم وايقن بالفقر والعوز واذ ذاك انكسر خاطره وصغرت نفسه فالتفت الى الله تعالى وصار يتضرع اليه ويبكي وقد قيل في المثل الانسان لا يناجي ربه الا وهو تحت الحمل . وبقي دنكلار في التضرعات والبكاء والصلاة مقدار ثلاثة ايام دون انقطاع وبعد ذلك اشتد عليه الجوع فاعطاهم ما هو باقٍ عنده من المال فرمقهم وصار يطلب الاكل فلا ياتيه احد به ولا جاءه احد فلما يئس من الوصول الى ما يبتغي اذ ذاك بالاعدام وسلم نفسه لعناية المقادير وبقي على هذه الحال الى اليوم الخامس على ان جهله يحكم الاضطرار فصب نفسه الى الحارس وقال له اني بالرئيس بالحاجة فاني اقلعني من النزاع فنادى له الرئيس فحضر وكان الوقت ليلاً . فقال له ماذا تريد . قال ارجوك باسم ان تاخذ كل ما هو باقٍ معي من الدراهم وتدعني اعيش في هذه المغارة الى ان يسمح الله بانقضاء اجلي . قال اهل تشعر الان بالم العذاب والجوع . قال اني اشعر بذلك ولا اظن ان احدًا لاقى مثل ما لاقيت . قال قد لاقى كثيرون اعظم مما لاقيت . فقال له رجل من جانب الزاوية اهل تبت الان عن شرورك وذقت لوعة السجن والجوع . فجفل دنكلار عند سماعه هذا الصوت وجهد ان يحقق وجه صاحبه فلم يقدر . فقال له ماذا عملت يا سيدي من القبائح حتى اتوب . قال اتنكر ما فعلته في حياتك يا جاهل . قال اني اتذكر اني فعلت كثيرًا من القبائح ولان اتوب الى الله فهو الرب الرحيم فقال المتكلم حيث شعرت الان بقبائحك وندمت عليها فاني اسامحك واغفر لك ذنوبك ثم رفع

الحراس ودخلوا به الى داخل السور فلما وقع نظر دنكلار عليه عرفه فقال له ياسيدي الكونت . فقال له ليس انا الكونت كما تزعم بل انت تعرفني واعرفك في الاصل قبل ان اصير كونتًا . قال من انت اخبرني الا بالكونت . قال انا الذي لقيت منك اكبر المصائب حيث سعدت على وظيفتي وكسبت الموده والمحبة وسلمتني الى اعدائي وذلك حينما كنت رئيسًا في المركب فرعون وبعملك هذا بقيت ١٤ سنة ومات والدي جوعًا وحزنًا وخسرت خطيبتي التي اجتهدت نفسك لتزوجها بفرنان ومع كل ذلك فاني انقذتك من الهلاك لاكون قد عاملتك بطيب اصلي وحاصل الامر اذا كنت لم تعرفني تمامًا فانا ادمون دانتاس رفيقك في المركب فرعون . فلما سمع دنكلار هذا الكلام لم يبدِ جوابًا ولا تكلم بكلمة بل رمى بنفسه على قدميه وهو يقبلها . فرفعه ادمون وقال له اشكر الله الذي لم اعاملك كما عاملت دوفيلفور وفرنان لان الاول بعد ما فقد ولده وزوجته قتل نفسه والاخر بعد ضياع شرفه وموت اولاده وزوجته خسر عقله . واما انت وان تكن جرثومة عذابي منك انما قد عفوت عن نفسك ويكفيني ما اوقعته بك حيث ذهب كل مالك وفارقتك بنتك الوحيدة هربًا من ان تتزوج باللص الذي خسرت كثيرًا لاوهمك انه شريف وقد حكم عليه الان بالموت بعد ان ظهر انه ابن دوفيلفور بالزنا من زوجته . «ثم شرح له ما توقع لدوفيلفور وبنديتو» . واما الخمسة ملايين فرنك التي سرقتها من مال الايتام والفقراء وهربت متنكرًا ان تنجو بها فقد رُدَّت اليهم . فالآن كل واشرب ولا تخف ضررًا وابقِ معك الخمسة الاف فرنك فهي تكفيك . ثم التفت الكونت الى الرئيس وقال له اطلق هذا المسكين . فقد كفاه ما لاقاه . فتعجب دنكلار لما راى كل الحاضرين يخافون الكونت ويهابونه وتعجب من فعل الزمان كيف اوصل هذا النوتي الى هذه الدرجة العظمى ولما كان الجرر طوا عيني دنكلار وقادوه بعيدًا عن محلهم واطلقوه فسار ماشيًا حتى انتهى الى عين ماء جارٍ فاجتاز لما راى خيالة فيه وقد ابيض شعر راسه فتاسف على حالته وسار الى سبيله حزينًا كئيبًا مفارقًا فقيرًا ومع كل ذلك فانه كان يشعر بفضل ادمون و يندم على مبادئته بالشر دون سبب موجب . ولم يعلم بعد ذلك ما كان من حال دنكلار

٢٠ لا بد ان يكون قد انتظر القارئ الوصول الى معرفة ما وقع لمكسيمليان ابن موريل وفالنتين ابنة دوفيلفور التي كانت ماتت وما كان من هذا القبيل فنقول . انه في ذات يوم كان البحر رائقًا هاديًا والهواء لطيفًا تامًا والجو صافيًا زاهيًا اذ شوهد من جزيرة مونتو كريستو مركبًا اتيًا اليها وهو يشق البحر وعلى مقدمه الشاب الكريم الطباع ابن موريل صاحب الكونت وفي جانبه قبطان المركب يتحادثان . وقبل ان تقرب المركب من الجزيرة سمع صوت اطلاق بندقية . ففي الحال امر القبطان مكسيمليان ان يطلق بارودة . وقال له هذه جزيرة مونتو كريستو وان الوعد بيني وبين الكونت اني اذا سمعت من الجزيرة صوت البارود وكنت قد اتيت بك اجيبه بالمثل . فاطلق اذ

ذلك مكسيمليان بابيه محاوراً الكونت . وفي نحو ١٠ دقائق وصلت المركب الى الشاطئ فنزل جميعهم الى البر وهنالك سال مكسيمليان اين يوجد صديقي الكونت فقال له القبطان سيدي في منعطف الطريق فيهناك البر فسار قليلاً وبينما هو سائر شعر برجل قد وضع يده على كتفه وقال له اهلاً بصديقي وصاحبي وابن سيدي موريل مات من الان وصاعداً ابي لانك اطعتني فيما طلبته منك وكنت اليّ ركون الولد لابيه . فقبل مكسيمليان يديه وقال له انت ابي واعز من ابي لاني ما علمته مني من حين معرفتي بك حتى الان وما عاملتني مع ابي لم يعامله احن الاباء واشفقهم . انما ارجوك ياسيدي ان تجيبني الى ما اسالك اهل يمكن ان اعيش بعد مضي الثلاثين يوماً حيث الوقت المؤجل قد دنا فاشكر الله الذي اوصلني اليك لاموت بين يديك . فتبسم الكونت من كلامه وقال له هلمّ اقم عندي من الثلاث ساعات الباقية من هذا النهار وبعد ذلك يفعل الله ما يشاء . فقال له ارجوك ياسيدي الكونت ان تسمح لي ان اقول لك الان مواعيدك في هذا الامر فارغة وعديمة الجدوى وانك حتماً في ترغيب مطاولتي فدعني اودعك الان والتمس منك ان ترسل جسمي فتدفنه بالقرب من حبيبتي . قال هل عزمت الان ان تميت نفسك قال بكل تأكيد . قال اذا كان لا بد من ذلك فاني ادعك تميت نفسك تمهلاً لانك لو ضربت نفسك بالسلاح لربما تعذبت قبل ان تموت واما ادفع لك معجوناً متى اكلته تموت دون ان تشعر بالم او وجع هذا اذا كانت لا يمنع فيك النصيحة ولا تصغي الى كلامي وتدع عنك الاوهام وحب فالنتين لاني متكدر من عملك جداً متاسف عما انت فيه فاذا قبلته مني فاني اهبك مائة مليون فرنك تعيش بها متنعماً وتختار لك احلى نساء العالم . قال كل ذلك لا اشتهي لان بودي ان افتكر بها ان فالنتين كانت حبيبتي وكانت تعد في بعملي حبيها وانها ماتت وقد تاكدت ياسيدي الكونت انك قصدت ان تطاولني ثلاثين يوماً وفي ظنك اني اسلو او يخف حزني فمعاذ الله ذلك فانه كلما طال زمان فراقها زاد شوقي اليها وربما حزنها في كبدي فارجوك اخيراً ان تدفع لي هذا المعجون الموت اذا كنت تحبني

ولما انتهيا الى المغارة جلس مكسيمليان في احدى الغرف فاتاه الكونت بصندوق صغير واخرج منه علبة من الذهب مرصعة بالجواهر الثمينة ثم اخذ من تلك العلبة ملعقة من المعجون صغيرة ودفعها الى ابن موريل وقال له في هذا المعجون الموت فافعل ما انت فاعل فاني بذلت الجهد فيك فلم تقنع ولا قبلت النصيحة . فاخذ مكسيمليان الملعقة من الكونت واراد ان يضعها في فيه فنظر الى الكونت موجده قد اخذ قليلاً من ذاك المعجون واراد ان يفعل كفعله فمسكه من يده . فقال له لا تفعل ذلك ياسيدي . قال له لا بد لي ان اموت معك ولا يهون عليّ وانت ابن موريل ان تموت وحدك وابقى بعيداً عنك وعن ابيك . قال لا تفعل ياسيدي فانك رجل غني يمكنك ان تعيش باموالك بعيداً من الناس ولست مرتبطاً بحب احد ولا تدعوك الضرورة

الى ذلك فهابزاد مثلك في هذه الحياة نافع لكثير من الناس فاما انا فلا بد لي من الموت فانا بشعوق وشغف وصول الى فالنتين لانه لابد ان اخبرها بما فعلت فهي من الجميل . ثم اكل مكسيمليان المعجون وما استقر في جوفه حتى تغيرت هيئته وصارت تتراءى له خيالات واشباح ونظر الى الكونت فوجده يكبر ويصغر وتخيل له ايضاً ان الحائط قد انشق وخرج منه شخص موشح بثياب الجمال ثم شعر بحلول ثبات طويل . فقال ماهذا قد دنا ها هو قريب مني ثم اراد ان يرفع يديه فلم يقدر ووقع على ظهره الى الحائط . وكان هذا المعجون من الحشيشة المعروفة بحشيشة الفقراء فجعل يتكلم وينادي فالنتين والكونت يضحك عليه . ثم دعا الكونت فالنتين فحضرت فامرها ان تجاوبه فجاوبته بكل رقة ورمت نفسها عليه الا انها وجدته لايعي . فقال لها الكونت اهل علمت عظم حبه فلا ريب انه صديق امين كابيه محافظ على الصداقة وها اني اقول لك يافالنتين الان انكما من الان فصاعداً انتما سعيدان فتعيشان مع بعضكما بكل راحة وطمانينة والحمد لله الذي قدرني على مساعدتكما وساعدني الى ان اجمعكما فانظري كيف قبل الموت ليلحق بك . فقالت فالنتين الله يجازيك عنا خيراً واني لا اقدر من الشكر لك ولصديقتي عائدة التي اعتنت بي كل هذه المدة . فاتت عائدة ومدحت له محبة فالنتين ثم خرج الكونت بعد ان قال لفالنتين اني اتمنى لكما التوفيق من رب السماء وتركها عند مكسيمليان فاقامت عنده تقبله وتناديه الى نحو الساعة السادسة من الليل حيث كان الكونت اخبرها انه في تلك الساعة ينتبه . ولما انتبه وجد نفسه لم يمت فصاح لين وعدك ايها الكونت انها انا باقٍ حي ولم اموت ثم توجه الى المائدة واخذ سكيناً واراد ان يضرب نفسه بها . فمسكته فالنتين وقالت له مهلاً يا حبيبي يامكسيمليان ها انا فالنتين قد عدت اليك قد ارجعني الله اليك بواسطة الكونت انا فالنتين يا مكسيمليان . فلما سمع صوتها تامل فيها فتاكدها فصاح ووقع الى الارض فرفعته الى صدرها وهي تقبله الى ان هدأ روعه وبالها من ساعة كانت لهما بعد ذلك البعد وانقطاع الرجاء . ورحم الله مجنون ليلى حيث يقول

وقد يجمع الله الشتيتين بعدما يظنان كل الظن الا تلاقيا

وبعد ان اقاما مدة من الزمان اخذته فالنتين وخرجت تتنزه به في شواطىء الجزيرة وهنالك اخبرته بما فعل معها الكونت من حين سقوه السم وهي مريضة الى حين اخراجها من القبر وارسالها مع عائدة الى تلك المغارة فتعجب المسيو موريل من اعمال الكونت وقدرته . وبينما كانا يتمشيان وجدا نوتياً جالساً على شاطىء البحر قد دنيا منه . فقال لهما ان الكونت قد اعطاني هذا الكتاب لكما . اخذه مكسيمليان وقراه واذا به ما معناه . هوذا المركب قبطانه يعقوب ينتظركما ليذهب بكما الى ليفورنو حيث ان نوارتيه جد فالنتين ينتظركما هناك ليبارك لكما . واني اهديكما كل ما هو موجود في المغارة من اثاث وقماش وغيره واهديكما ايضاً املاكي في باريس وقصوري مع ما فيها من الامتعة والجواهر

فاوصيكما بالتقوى وبخوف الله لتعيشا بالراحة وما انا ذاهب الى نابولي فاهلاً ابعالي والسلام

فانتهى مكسيمليان من همة الكونت. ثم قال للقبطان ارجوك ان تاخذ ...... نابولي فنقلا

ما في المغارة وسافرا الى نابولي وهناك اجتمعا بالكونت وشكراهُ على ...

وكان اتي الى هناك بوسبو بجارته وهناك شرع في عمل العرس

وتزوج مكسيمليان بفالنتين وتزوج الكونت بمائدة

وولدالهُ منها ولد سماهُ الفيكونت دومونتوكريستو

واقام بقية عمره مرتاح البال بعمل الخير

والاحسان فسبحان من يغير

الاحوال ويأتي

بالفرج العاجل